المجلد السادس عشر | الجزء الأول والثاني

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤١ م

المحرم وصفر سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً: في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري، وفي جميع الأقطار ٤٠٠ قرش سوري

مطبعة الترقي بدمشق

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجابها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها . ويسرّها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها على ما كانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها .

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشبة ، وكله أمل أن يظلّ السلامُ العالم فيتصل بأعضائه في الغرب والشرق ، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم .

يحتاج العلم الى الهدوء والاستقرار فإذا متع حَفَدته بذَرْو منهما وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له . ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم ، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم ، ما ثناهم هول الوغى عن نفع قومهم بثمرات عقولهم ، ووجدوا في العمل سلوى ، وفي بث الفكر واجبًا يوفونه . والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم ، وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاء تامًا

ولقد اطرد صدور مجلتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فعجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأميركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسياوية الباريزية يوم كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة .

احتمل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان المثبطات ، ولقي أيضًا شيئًا كثيرًا من المنشطات . فما وهى في الأولى ولا زها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ما انقطع من سند أحاديثه بفضل من مهدوا له السبيل لإتمام مقاصده ، شاكرًا لهم مناصرتهم . والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييدًا ، والله الملهم والمسدد .

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م

عدد	الاسم	محل الاقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق
٢	الدكتور أسعد الحكيم	〃
٣	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
٤	السيد خليل مردم بك	〃
٥	» رشيد بقدونس	〃
٦	» سليم الجندي	〃
٧	» شفيق جبري	〃
٨	» عارف النكدي	〃
٩	الشيخ عبدالقادر المبارك	〃
١٠	» عبدالقادر المغربي	〃
١١	السيد عزالدين التنوخي	〃
١٢	» فارس الخوري	〃
١٣	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٤	السيد معروف الأرناؤط	〃
١٥	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٦	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب
١٧	» راغب الطباخ	〃
١٨	» عبد الحميد الجابري	〃
١٩	» عبد الحميد الكيالي	〃
٢٠	السيد سوريوس افرام	حمص
٢١	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
٢٢	فؤاد باشا الخطيب	〃
٢٣	السيد بولس الخولي	〃
٢٤	الشيخ عبدالرحمن سلام	〃
٢٥	السيد عمر الفاخوري	〃
٢٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	بيروت
٢٧	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢٨	الدكتور نقولا فياض	〃
٢٩	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٠	الشيخ أحمد رضا	النبطية
٣١	الشيخ سليمان ظاهر	»
٣٢	» سليمان أحمد	اللاذقية
٣٣	السيد ادوارد مرقص	·
٣٤	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٥	السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
٣٦	» عبدالله مخلص	·
٣٧	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٣٨	الأب انستاس الكرملي	〃
٣٩	السيد كاظم الدجيلي	〃
٤٠	» معروف الرصافي	〃
٤١	» طه الراوي	〃
٤٢	الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق	مصر
٤٣	» عبد العزيز البشري	·
٤٤	السيد خليل ثابت	·
٤٥	أحمد بك أمين	·
٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	·
٤٧	» محمد لطفي جمعة	·
٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	·
٤٩	أحمد لطفي السيد باشا	·
٥٠	السيد خير الدين الزركلي	·

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المعلوف	مصر	٧٠	السيد هيس	سويسرا
٥٢	السيد خليل مطران	«	٧١	» هوتسما	هولاندة
٥٣	» عباس محمود العقاد	«	٧٢	» أراندونك	〃
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	«	٧٣	» كرينكو	انكلترا
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس	٧٤	» بروكلمن	المانيا
٥٦	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس	٧٥	» هارتمان	〃
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	» ميتفوخ	〃
٥٨	السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	الهند	٧٧	» سترستين	السويد
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران	٧٨	» اوستروب	الدانيمارك
٦٠	السيد عباس اقبال	〃	٧٩	» موجيك	فينا
٦١	» مارسيه	تونس	٨٠	» ماهلر	بودابست
٦٢	» ماسه	الجزائر	٨١	» كوفالسكي	بولونيا
٦٣	» كي	فاس	٨٢	» كراتشكوفسكي	لينيغراد
٦٤	» دوسو	باريز	٨٣	» موزل	براغ
٦٥	» ماسينيون	«	٨٤	» ماكدونالد	اميركا
٦٦	» بوفا	«	٨٥	» هرزفلد	〃
٦٧	» كولان	رباط (مراكش)	٨٦	» كرسيكو	فنلاندا
٦٨	» آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)	٨٧	» فيليب حتي	اميركا
٦٩	» لوبس	لشبونة (البرتغال)			

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٨	السيد سليم عنحوري	دمشق
٢	〃 مسعود الكواكبي	«	٩	〃 عبد الله رعد	〃
٣	السيد مالنجو	«	١٠	السيد أمين الريحاني	بيروت
٤	الشيخ سليم البخاري	«	١١	السيد حسن بيهم	«
٥	السيد الياس قدسي	«	١٢	الأب لويس شيخو	«
٦	〃 أنيس سلوم	«	١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
٧	〃 جميل العظم	«	١٤	السيد جبر ضومط	«

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
١٥	السيد عبد الباسط فتح الله	بيروت	٣٩	السيد اوجينيو غريفيني	مصر
١٦	السيد جرجي يني	طرابلس الشام	٤٠	« رفيق العظم	«
١٧	الدكتور صالح قنباز	حماة	٤١	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
١٨	الاب جرجس شلحت	حلب	٤٢	السيد رنه باسه	«
١٩	السيد جرجس منش	«	٤٣	السيد ميشو بلاير	طنجة
٢٠	السيد قسطاكي حمصي	«	٤٤	السيد زكي مغامز	الاستانة
٢١	الشيخ كامل الغزي	«	٤٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٢٢	السيد ميخائيل الصقال	«	٤٦	السيد فران	باريز
٢٣	الشيخ خليل الخالدي	القدس	٤٧	« كليمان هوار	«
٢٤	السيد نخلة زريق	«	٤٨	السيد جويدي	ايطاليا
٢٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم	٤٩	السيد نلينو	«
٢٦	الشيخ جميل صدقي الزهاوي	بغداد	٥٠	السيد هومل	المانيا
٢٧	الشيخ محمود شكري الآلوسي	«	٥١	السيد ساخاو	«
٢٨	الشيخ احمد الاسكندري	مصر	٥٢	السيد هوروفيتز	«
٢٩	احمد زكي باشا	«	٥٣	السيد مرتين هارتمان	«
٣٠	احمد شوقي بك	«	٥٤	السيد مونته	سويسرا
٣١	السيد أسعد خليل داغر	«	٥٥	السيد سنوك هورغرنيه	هولاندة
٣٢	حافظ ابراهيم بك	«	٥٦	السيد مرجليوث	انكلترا
٣٣	الشيخ محمد رشيد رضا	«	٥٧	السيد بفن	«
٣٤	السيد مصطفى صادق الرافعي	«	٥٨	« براون	«
٣٥	أحمد كمال باشا	«	٥٩	السيد بول	الدانيمارك
٣٦	أحمد تيمور باشا	«	٦٠	السيد بدرسن	«
٣٧	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	«	٦١	السيد اغناطيوس غولدصيهر	بودابست
٣٨	الدكتور يعقوب صروف	«	٦٢	الدكتور سعيد أبو جمرة	البرازيل

خزائن الكتب العربية في الخافقين

هذا سفر عظيم عني الأستاذ الفيكنت فيليب دي طرازي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بتأليفه منذ أكثر من خمسين سنة فجاء في أزيد من ألف وثلاثمائة صفحة كبيرة ، وهو يعمل فيه منذ عشر سنين ليعده للنشر ، وقد ضمنه أبحاثاً مشبعة عن خزائن الكتب العربية قديمها وحديثها ، وذكر أخبار مؤسسيها ومعززيها والعاملين فيها في أربعة أقطار المعمورة .

هذا كتاب فريد في بابه مبتكر في موضوعه لا أعلم أديباً من أدباء العرب ومؤرخيهم سبق إلى تأليف مثله ، فصنف مؤلفنا مفصلاً عن خزائننا العربية وعن مؤسسيها ومحتوياتها وعما آل اليه أمرها . ويظهر لي من لا تحته أنه منطو على خرائد وشوارد وعلى طرائف ولطائف ، ولقد طالع زهاء سبعمائة كتاب من مؤلفات الأوائل والأواخر ، فغربلها وانتخلها حتى صفى منها ما صفى كما يشاهد حقيقة الأمر في الهوامش التي علقها على الكتاب من بدايته إلى خاتمته . وقد سدد به ثلمة فوهاء ، في التاريخ والأدب معاً . وانا توخيت في هذه العجالة أن أطلع أبناء الضاد على ما ملكوا في سالف الأحقاب وعلى ما يملكون اليوم من الكنوز العلمية الغالية الأثمان .

* * *

دعا المؤلف كتابه : « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وضمنه ١٨ باباً . قد يكون كل باب من أبوابه الواسعة كتاباً قائماً برأسه .

فالباب الأول انطوى على مقدمة وسبعة فصول ذكر المؤلف في الفصل الأول خلاصة علوم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، فوصف وصفاً دقيقاً حفظهم وتدوينهم وخطوطهم وأنديتهم ومجالسهم وأسواقهم الأدبية واستفحال دولتهم .

وتبسط في الفصل الثاني في وصف القرآن الكريم وتأثيره ، واجماع الملوك

والأقطاب على تكريمه وتعظيمه . وأورد خلاصة ما كتبه عنه علماء النصارى . وعدد المتاحف التي انطوت على أقدم الكتب القرآنية وأثمنها وأجملها وأغربها .

وتكلم في الفصل الثالث عن حالة البلاد الشرقية قبل الفتح العربي .

وخصص الفصل الرابع بثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب ولغاتهم ومدارسهم وكتبهم وخزائنهم وعدد في الفصل الخامس نقول العرب عن العلوم الدخيلة منذ عهد أمير المؤمنين عبد الله المأمون العباسي فصاعداً

وبحث في الفصل السادس مصادر العلوم الدخيلة ومشاهير نقلتها عن اللغات الهندية والفارسية واليونانية والسريانية والعبرية وغيرها . وانتقل إلى ذكر آل بختيشوع الذين كانت لهم مكانة عظيمة في بلاط الخلفاء العباسيين خلال ثلاثة قرون . ولم يغمض عن ذكر من جاراهم في هذا الميدان كأبي قرة وابن ماسويه والكندي وحنين بن اسحق وهلم جراً ، واتخذ خاتمة لهذا الفصل كلمة اثبتها في كتابي « القديم والحديث » عنوانها « فضل نقلة علوم الأعاجم » .

وختم هذا الباب بفصل سابع وصف فيه عصر النهضة العربية الذهبي . فاسترسل في ذكر ثقافة العرب وترقي العلوم بين ظهرانيهم وتأسيسهم المدارس والمراصد والمستشفيات والمتاحف . ونوه بمبالغة الخلفاء في تكريم العلماء والأدباء وعدد مشاهير الكتبة في تلك الحقبة المباركة .

هـذا هو الباب الأول ، وقد أفرغه المؤلف الفاضل في أسلوب لذيذ جذاب لا يكاد يطالع القارئ فصلاً من فصوله إلا ازداد رغبة في مطالعة بقيته ، ثم سرد المؤلف في الباب الثاني أخبار تكوين الخزائن العربية وانتشارها واندثارها ، وأشار الى حرص العرب الأقدمين على تدوين آثارهم وأخبارهم ، وتسابقهم في اقتناء المخطوطات وجمعها ، وتنافس أدبائهم وخطاطيهم ومجلديهم في تعزيز الخزائن العامة والخاصة ، وأثبت أن المؤرخين لم يتصدوا لنشر كتاب خصوصي جامع يضمنونه أخبار الكتب العربية سابقاً وحاضراً .

وانتقل المؤلف الى الباب الثالث بعدّد أخبار الخزائن الإسلامية العامة ، وقد بلغ عددها في كتابه ٢٩٥ خزانة خصص لها ٣٣ فصلاً ، فذكر خزائن بغداد والبصرة وكربلا والنجف والموصل واربيل وماردين وميافارقين وآمد وحلب وحماة والمعرّة وكفرطاب . ثم أحصى خزائن دمشق وطرابلس الشام وفلسطين وشرق الأردن . وانتقل الى البلاد العربية فوصف خزائن مكة المكرمة واليمن والحجاز والحويزة . ثم راح إلى بلاد فارس فكتب عن خزائن مرو ومراغة وشيراز وجنذة وخراسان وفيروزاباد والريّ ونيسابور وطوس وازدشير وسمرقند واصبهان وخوارزم وهمذان وهراة وبخارة . ثم تكلم عن الخزائن العربية في الهند وغيرها .

وتبسط المؤلف في ذكر دور كتب القاهرة والاسكندرية وسائر الأقاليم المصرية خزانة خزانة قديمةً وحديثةً . وانتقل الى شمال افريقية فسرد أخبار خزائن تونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس وسبتة والرباط . ولم يفُتْه وصف خزائن الأندلس والإلماع الى حضارتها العربية وسابق عزها . وختم هذا الباب بذكر المخطوطات العربية في دور كتب الاستانة والروملي والاناضول الخ . ولم يغمض المؤلف في كل من هذه الفصول الممتعة عن ذكر ثروة تلك الخزائن العامة وذخائرها ومعارضها ومطبوعاتها ومديريها وخزنتها واعتناء الملوك والامراء والادباء بتعزيزها .

وفي الباب الرابع وصف المؤلف الخزانة العربية الخاصة التي أسسها افراد المسلمين وأدباؤهم ومشايخهم وعلماؤهم في مختلف الأنحاء ، فتوسع في وصفها توسعه في وصف الخزانة الاسلامية العامة ومنها خزانة أنشئت في مدن غير المدن التي أحصاها المؤلف في سياق كلامه عن الخزائن العامة . نذكر منها خزائن بيروت وجبل لبنان وجبل عامل ودوما ونابلس ويافا وعكا وخليل الرحمان الخ . ثم عدد الخزائن الخاصة في المغرب الاقصى وصحاري افريقية ، فكان مجموع ما أحصاه

٣٥٩ خزانة اسلامية خصوصية وصف كلا منها وصفاً جيداً ، وذكر أخبار مؤسسيها وأحصى عدد مجلداتها يوم عزها وما حل بها من الرزايا على كرور الازمنة .

وأخذ المؤلف بعد وصفه الخزائن الاسلامية عامة وخاصة يعدد في الباب الخامس أهم الخزائن النصرانية العربية في بلاد الشرق . فوصف مجموعات النساطرة واليعاقبة والملكيين والموارنة والاقباط ومجموعات السريان والكلدان والارمن والبرتستان ، وقد اناف عددها على ٢٠٠ خزانة أنشئت في القصور والاديار والمدارس وبيوت الافراد في مدن سورية ولبنان وفلسطين وما بين النهرين والعراق ومصر وشمال افريقية . فهناك خزائن دمشق وصيدنايا وافاميا وانطاكية وجبل سمعان ، وخزائن بيروت وبتدين والشرفة وبكركي والبلمند ، فخزائن الكرمل والقبر المقدس ودير مارسابا ودير مار مرقس ودير مار يعقوب فخزائن الاقباط بالاسكندرية .والقاهرة وأديار وادي النطرون وطورسيناء ، فخزائن الرها وآمد وملطية وماردين ودير الزعفران ودارا ونصيبين وطور عبدين وسعرت فخزائن المدائن ودير قني وبغداد واورمية وقود شانيس وتكريت والموصل ودير الشيخ متى ودير الربان هرمزد ، وخزائن تونس والجزائر والمغرب الاقصى وطرابلس الغرب الخ . وقد جرى المؤلف في وصف هذه الخزائن جمعاء مجراه في وصف الخزائن العربية الاسلامية .

وتطرق المؤلف في الباب السادس لوصف خزائن بيروت العامة كخزائن الاتحاد والترقي والحرب العظمى والمجلس البلدي والقضاة وغرف القراءة ونقابة الصحافة ونقابة المحامين وغيرها .

واسترسل في الباب السابع في وصف الخزائن العربية باوربا فذكر اهتمام البابوات والملوك بتعزيز اللغة العربية بمطابعهم ، وتعليمهم اياها في جامعاتهم ، وشرائهم المخطوطات العربية أحيانا بما يوازي ثقلها ذهباً . وتجهيزهم منها مجموعات نفيسة تستحق الاعتبار ، واعتنائهم بادخار الكتب العربية اعتناء جزيلاً . وأيد بيناته بما أثبته أنا في كتابي «خطط الشام» عن كيفية تسرب مخطوطات بلادنا الى

دول أوربا على يد فريق ممن كان يرجع اليهم أمر المدارس والجوامع ، فخانوا عهود الأمانة واستحلوا بيع ماتحت ايديهم بأبخس الأثمان .

ثم وصف المؤلف معارض المخطوطات العربية النفيسة في دور كتب أوربا ونوه بالثروة العربية في خزائن عواصمها ولا سيما دار كتب الاسكوريال باسبانيا ودار كتب الامبروسيانية في ميلانو .

وأحصى كذلك احدى عشرة خزانة عربية أنشأها فريق من السوريين في أوربا كمجموعة رشيد الدحداح وخليل غانم وجان دي طرازي بباريس وعبد الله مراش في مرسيليا وحبيب زيات في نيس ، ولويس صابونجي ورزق الله حسون بلندن . وروفائيل جروة بالبندقية الخ . وعدد كذلك عشرين خزانة أنشأها كبار المستشرقين في برلين وباريس وروما وميلانو وبالرمو واسوج ولشبونة ومدريد ، وأحصى فهارس المؤلفات العربية في دور كتب اوربا وذكر عدد مخطوطات كلٍّ منها .

وحصر المؤلف بحثه في الباب الثامن بذكر الخزائن العربية في أميركا ، فقال بأن الكتب العربية في خزانة نيويورك تعد أغنى دار للكتب العربية في العالم الجديد على الاطلاق لانضاهيها في الشرق خزانة سوى دار الكتب المصرية ودار الكتب الازهرية بالقاهرة وخزانة الآباء اليسوعيين ببيروت .

وخص الباب التاسع بالخزائن الاسرائيلية ، فكشف النقاب عن جهود اليهود في خدمة اللغة العربية على عهد الخلفاء العباسيين والفاطميين . وسرد أخبار مشاهير علمائهم في العراق ومصر وفارس والاندلس . ثم تطرق لذكر خزائنهم سابقاً ولاحقاً خزانة خزانة . ووصف دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية في القدس فصرح باحتوائها على أكثر من ٣٥٠٠٠٠ مجلد بينها ٥٠٠٠٠ مجلد ونيف تتضمن ابحاثاً شرقية .

وبعد مافرغ المؤلف من تعداد الخزائن العربية اسلامية ونصرانية واسرائيلية في مختلف الاقطار أخذ يدوّن في الباب العاشر أخبار غلاة الكتب وهواتها من

المسلمين . فذكر منهم ملوكاً وأمراء ووزراء وعلماء ووجهاء أربى عددهم على السبعين وكلهم رفعوا ألوية المعارف بما اكتنزوه من الاسفار العربية ، فحرصوا عليها حرصهم على أغلى الدرر واتخذوها في قصورهم وأنديتهم ومنازلهم من أحاسن الزينة وافخرها ، وأضاف المؤلف إلى ذلك تنفاً من طرائفهم وغرائبهم ، ولخص تراجمهم واحداً فواحداً وفقاً للتسلسل التاريخي بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة .

وانتقل المؤلف إلى الباب الحادي عشر فسرد فيه تراجم غلاة الكتب وهواتها من المسيحيين قديماً وحديثاً . فعدّد منهم زهاء العشرين ممن كلفوا بجمع المخطوطات منذ صدر الاسلام حتى زماننا الحاضر ، وأتى كذلك على طُرَفٍ من أخبارهم ونوادرهم .

ولما انتهى المؤلف الى الباب الثاني عشر اتسع في الكلام عن خزنة دور الكتب منذ عصر الارتقاء العربي فذكر مناقبهم وثقافتهم وخدمتهم للمعاهد الكتابية وحصر تراجمهم في عشرة فصول مبتدئاً بخزنة الكتب في سورية ولبنان فالعراق ففارس فمصر فشمال إفريقية فالاندلس فاليمن فالحجاز حتى الهند . فكان مجموع اولئك المشاهير الذين قاموا على الخزائن في تلك الأمصار أكثر من سبعين خازناً .

وأردف هذا الباب بباب ثالث عشر تحدّث فيه عن مشاهير الخزّنة الشرقيين في أوربا وأميركا ، فصرّح بتفوقهم في المعارف ، وأشار الى تعزيزهم مقام الشرق في الغرب ، وقال انهم برهنوا للعالم أجمع على أن الشرقيّ لا يقل عن الغربيّ جدارةً و كفاءةً . وقد أحصى من أولئك الجهابذة عشرة خزّنة : ثلاثة في الخزانة الواتكانية وخازنين في الاسكوريال ومدريد باسبانيا ، وخازنين في المتحف البريطاني بلندن ، وخازنين في القسطنطينية ، وخازناً في مكتبة برينستون بأميركا الشمالية .

وبحث في الباب الرابع عشر عن المخطوطات العربية والعاملين فيها ، فأفرد لذلك ١٥ فصلاً وهي : ١ : مزايا المخطوطات العربية وتفائسها ٢ : الوراقة والوراقين

٣ و٤ : نوابغ الخطاطين والخطاطات وغرائبهم ٥ : النساخة والطباعة وبواكير المطابع والمطبوعات العربية شرقاً وغرباً ٦ و ٧ : مشاهير النساخ المسلمين والنصارى قديماً وحديثاً ٨ : الضبط والإتقان في نساخة الكتب ٩ : التنافس في تأليف الكتب والاستكثار من نسخها تعميماً للمعارف ١٠ : صناعة تجليد الكتب وانتقالها الى أوربا على يد العرب ١١ : أشهر أسواق الكتب في البلدان العربية ١٢ : تجار الكتب ودلالوها وسماسرتها وكساد تجارتها ١٣ : عشاق المخطوطات وصرعى الكتب ١٤ : سخط أحبار النصارى على سراقي مخطوطاتهم ١٥ : اعارة الكتب واستعارتها وأقوال الشعراء فيهما · وضمن المؤلف هذه الفصول الخمسة عشر فروعاً شتى بلغت ٨٣ فرعاً ، وانطوت تلك الفروع على موضوعات نادرة لم يتعرض لها أحد قبله ·

وخصص الباب الخامس عشر بالمخطوطات العربية المصورة فوضعها في ١٨ فصلاً افتتحها بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين وفي نشأته عند العرب · ثم أورد أسماء المخطوطات العربية المصورة هكذا : مخطوطات الكيميا المصورة · فمخطوطات الطب فالأدب فالتاريخ والرحلات فالعلوم الحربية والبحرية فالعلوم الصناعية والميكانيكية فالجغرافية فالدين الاسلامي فالدين المسيحي فالنجامة والعلوم السحرية فالهندسة فاللغة فالنبات فالفلك فالفروسية والصيد والبيطرة فالموسيقى وعلى هذا الاسلوب لم يترك المؤلف مخطوطاً عربياً مزداناً بالصور إلا تحرى استقصاء البحث عنه في خزائن الشرق والغرب فوصفه وصفاً مشبعاً ، ونوه بمزاياه وأشار الى ما تفرد به والى مكان وجوده ·

واسترسل في الباب السادس عشر في تعداد الرزايا التي حلت بالكتب وخزائنها الشهيرة منذ العصور الخوالي حتى اليوم ، وخصص لها أربعين فصلاً سردها حسب تواريخها على ما يلي ١ : اجهاز البرابرة والملوك القدماء على الكتب ٢ : حريق خزائن الاسكندرية وروما والقسطنطينية ٣ : إحراق كتب الآراميين

والعبرانيين والوثنيين والمجوس ٤ : اتلاف الكتب النصرانية في العصور الغابرة ٥ : محو كتب الفرس واحراق مصاحف القرآن الكريم ٦ : احراق الفرق الاسلامية كتب بعضها بعضاً ٧ و ٨ : ذكرُ من غسل كتبه أو دفنها ٩ : احراق بعض المسلمين خزائنهم ١٠ : اغراق الخزائن خاصة ١١ : رزايا كتب بغداد والبصرة ١٢ : اتيان الحاكم بأمر الله على كتب النصارى واليهود ١٣ : اتلاف خزائن الفاطميين في القاهرة ١٤ : احراق خزانة سيف الدولة في حلب ١٥ : نكبات الجامع الأموي ١٦ : اتلاف الافرنج عدة خزائن في غزواتهم الصليبية ١٧ : احراق مصاحف وخزائن جمة في بلاد فارس ١٨ : انقضاض صاعقة على كتب المسجد الحرام بمكة ١٩ : احراق اسمعيل شاه مصاحف أهل السنة وكتبهم ٢٠ : اجتراف السيول كتب بغداد ومكة والموصل ٢١ : احراق ابن الابار البلنسي واحراق كتبه معه ٢٢ : اكتساح المغول خزائن ما بين النهرين والعراق والشام وتركستان والهند ٢٣ : بيع مخطوطات الخزانة الفاضلية بارغفة خبز ٢٤ : احراق كتب ابن حزم الأندلسي ٢٥ : فواجع خزائن الأندلس والاسكوريال ٢٦ : غارات تيمورلنك على خزائن بلاد الهند وفارس والعرب ٢٧ : قضاء الاسبانيين على كتب الجامع الأعظم بتونس ٢٨ : احراق مطران غوا البرتوغالي كتب النساطرة الملباريين ٢٩ : مصائب مكتبات انكلترا ٣٠ : اغراق مخطوطات جمة في الأنهار والبحار ٣١ : غارة الجزار على كتب جبل عامل ٣٢ : غائلة مخطوطات صيدنايا . ٣٣ : احراق الفلاحين بمصر مدارج قديمة ليشموا طيب رائحتها ٣٤ : تبديد كتب جامع ازبك بن ططخ بين الانقاض ٣٥ : رزايا خزائن لبنان وسورية ٣٦ : جوائح خزائن طور عبدين وما بين النهرين وسعرت واتخاذ رقوق مخطوطاتها أحذية ٣٧ : مصائب خزائن كريمون وتورينو بايطاليا ٣٨ : فظائع الشيوعيين في خزائن اسبانيا ٣٩ : احتراق خزانة مونتال بانكلترا ٤٠ : الاجهاز على الكتب ودورها أثناء الحرب العظمى وبعدها في النمسا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وتركيا وروسيا وبولونيا والبلقان وغيرها .

واشتملت هذه الفصول الأربعون على نحو ٢٥٠ فاجعة من الوف الفواجع التي المت بالكتب ، وقد وصفها المؤلف وصفاً مؤثراً وأحاط بتفاصيلها من جميع الأطراف ، ولم يشأ أن يتوسع أكثر من ذلك في سرد أمثال تلك الفواجع حباً بالاختصار .

ولم يغفل المؤلف أيضاً عن ذكر بعض الكوارث الأدبية التي حلت بالكتب ، وتكلم عنها بالتفصيل بما أوتيه من علم وطول نفس في البحث ، وبما تهيأ له من الخبرة الطويلة في إدارة دار الكتب اللبنانية مدة عشرين سنة . فأفرز الباب السابع عشر لسرد تلك الكوارث المؤلمة فأجاد وأفاد . وقد حدثنا في الفصل الأول عن أعداء الكتب والخزائن ، وذكر في الفصل الثاني لصوص الكتب ، وأنحى باللائمة في الفصل الثالث على العابثين بالكتب المخطوطة . وذمّ في الفصل الرابع تصرف الرهبان في مجموعات الأديار . واستقبح في الفصل الخامس قلة الأمانة في حفظ الكتب . واستهجن في الفصل السادس احتيال بعضهم في حرفة الأدب . وأبدى في الفصل السابع عوامل تأسفه لما فقده عالم الأدب بسبب ذلك من الكنوز .

ولهذا الباب كسائر أبواب الكتاب فروع جمة فصل فيها المؤلف ما انتاب الكتب ودورها من الكوارث . فروى كثيراً من حوادث لصوص الخزائن وخونتها ، وقرّع تقريعاً أليماً من يحرّف المخطوطات أو يعبث فيها أو ينتحلها لنفسه . وعنف تعنيفاً مراً من يتغاضى عن صيانة الكتب أو يتهاون في نظافتها . وقبح خصوصاً من يختلق المشاكل ويلفق الأكاذيب لتنكيس رايات الأدب ومناهضة المجاهدين في تعزيزها .

وقد ألحق المؤلف كتابه هذا المبتكر بباب أخير هو الباب الثامن عشر فشرح فيه فصلاً فصلاً أحوال دار الكتب اللبنانية ببيروت . وأعرب عن

جهوده المتواصلة في تكوينها وتجهيزها وادارتها ، وتكلم عن تسجيله إياها باسم الحكومة اللبنانية ، ووصف رحلاته الى مختلف البلاد حبًا برقيها واعلاء شأنها ، وذكر انشاءه فيها معرضًا فنيًا للتحف والمخطوطات القديمة ، وألمع الى اهتمامه بتصوير ٦٠ صورة تمثل كبار حملة الأقلام وأرباب الفن من المسلمين والمسيحيين في بيروت ولبنان . ثم ذكر انشاءه في سبيلها كتابًا مبتكرًا عنوانه « ارشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وأضاف الى ذلك فصلاً فيمن تبرعوا لتلك الدار وفي كبار زوّارها وفي كتابها الذهبي . وألمع باحصاءات شتى الى ادارتها وأشار الى بنايتها الجديدة وافتتاحها رسميًا . واختتم الكتاب بفصل ذكر فيه اعتزاله منصب ادارة المكتبة وأقوال الجرائد في ذلك .

هذا هو الكتاب الفريد الذي جدّ صديقي العالم طرّازي في جمعه ووضعه . وأنفق الدنانير في انشائه ، وقتل الليالي في تنسيقه وضبطه . وهو بلا ريب ثمرة ناضجة من ثمرات أبحاثه الدقيقة ومطالعاته المستمرة مدة تنيف على نصف قرن . ولم يتوخّ المؤلف من تعبه هذا كله الا أن يخدم العلم ويعرّف أبناء الضاد ثروةَ الآباء والأجداد . جزاه الله عن عمله أفضل جزاء ومدّ له في الحياة ليرى كتابه وقد أخرج للناس يجنون فوائده .

محمد كرد علي

أسماء منتخبة لمسميات حديثة

(١) القَنْعُ

قال في اللسان القِنع والقِناع [1] الطبقُ من عسيب النخل يوضع فيه الطعام والجمع أقناع وأقنعة وفي حديث الربيع بنت مُعوّذ قالت أتيت النبيّ (ص) بقناع من رطب واجرٍ من زغب قال القنع والقِناع الطبق الذي يؤكل عليه وقال غيره ويجعل فيه الفاكهة وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتي بقناع جرد . الجرد صغار القثاء وقيل الرمان ايضاً ويجمع على أجرٍ وفي النهاية أيضاً من حديث عائشة أنه كان ليهدى لنا القناع فيه كعب من اهالة فنفرح به

وحكى ابن برى عن ابن خالويه القناع طبق الفاكهة خاصة وقيل القنع الطبق الذي يؤكل فيه الفاكهة وغيرها . فيصح اطلاق القنع أو القناع على الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام واكثر ما يكون من عسب النخل أو من قصبٍ أو من خيزران

(٢) الخفاء

في اللسان . والخفاء رداء تلبسه العروس على ثوبها فتخفيه به وكل ماستر شيئاً فهو خفاء له والأخفية الأكسية الواحد خفاء . وفي التاج وقال الليث هو رداء تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيء غطيت به شيئاً من كساء ونحوه فهو خفاؤه يصح اطلاق الخفاء على الثوب الذي تلبسه المرأة فوق ثيابها وهو المسمى بالكبوت

(١) ويرى المجمع الاكتفاء بقنع وليترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها .

(٣) المِيدَع

في اللسان · المِيدَع كل ثوب جعلته ميدعًا لثوب جديد تُودِّعه به أي تصونه ويقال مِيدَاعةٌ · وجمع الميدع موادع · واصله الواو لأنك ودَّعت به ثوبك أي رفهته به · وقال الأصمعي المِيدع الثوب الذي تبتذله وتودِّع به ثياب الحقوق ليوم الحفل وانما يتخذ المِيدعُ ليودَّعَ به المصونُ وأصله من تودَّع فلان فلانا اذا ابتذله في حاجة وتودَّع ثياب صونه اذا ابتذلها

وفي النهاية التوديع ان تجعل ثوبًا وقايةً لثوبٍ آخر او تجعله ايضًا في صوان يصونه به

يصح اطلاقه على برنس المسافر

يصون المسافر ثوبَه من غبار السفر ودعكته بثوب آخر يلبسه فوقه ليقيه به ويسمى البرْنس وبرنس السفر وهو كثير الاستعمال في هذا العصر فيصح أن يطلق عليه اسم الميدع بهذا الاعتبار

(٤) السَّفَنُ

جاء في اللسان قال أبو حنيفة السَّفَنُ قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يُسحجُ بها القدْح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السَّفَن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدْحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف قال الأعشى

وفي كل عام له غزوة تحكُّ الدوابرَ حكَّ السَّفَنْ

وقال الليث وقد يجعل من الحديد ما يُسَفَّن به الخشب أي يحك حتى يلين

والظاهر ان اصل المعنى القشر

وقال الراغب السَّفْنُ نحت ظاهر الشيءُ كَسَفْن الجلد والعود

وفي الأساس سفن العودَ قشرَهُ وبَرَى العودَ بالسَّفَن وهي مبراة السهام قلت التسكين للمصدر والتحريك للاسم

يصح اطلاقه على الورق الخشن في أحد وجهيه بسبب ما يلصق عليه من فتات الزجاج ونحوه ويستعمل لصقل وجه الخشب وما دهن وصبغ من ألواح ونحوه لتملاسَّ وتزول خشونتها ويسمى ورق البَرْداخ وورق الزجاج وكما يقال في الفعل بَرْدَخه ينبغي أن يقال سَفَنَه

(٥) الحَسَك

جاء في التاج بعد أن قال أنه نبت « وعند ورقه شوك ملزز صعب ذو ثلاث شعب ويعمل على مثال شوكه اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر وربما اتخذ من خشب فنصب حوله . زاد الصاغاني . فَتبثُ في مذاهب الخيل لتنشب في حوافرها

يصح هذا لما يسمونه الأسلاك الشائكة وهي التي يستعملونها في الحرب وفي السياج وهي كما ترى ينطبق عليها وصف الائمة للحسك إلا أنها كانت تلقى منثورة في الحرب وهذه تنصب منظومة بأسلاكها للحرب وللسياج

(٦) الجناح

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته وسمي جانبا الشيْ جناحيه فقيل جناحا السفينة وجناحا العسكر وجناحا الوادي وجناحا الإنسان لجانبيه

وفي التاج الجناح الكنف والناحية والجناح الطائفة من الشيْ والروشن

يصح اطلاقها على الجزء المستقل من أجزاء طبقة البيت

وهذا الاستعمال شائع ذائع في عامة البلاد العربية فيما أحسب ولكني رأيت مجمع اللغة العربية الملكي قد اختار للجزء المستقل من الطبقة في البيت اسم الشقة

لأنها متعارفة في مصر لهذا المعنى لكنها متعارفة باسم الجناح ايضاً كما رأيت في عامة بلاد العرب على ان اصل معنى الشق في اللغـة الصدع والخَرْم الواقع في الشيء يقال شققته بنصفين ومن هنا اطلق الشقّ على النصف وفي اللسان الشق والشِقّة بالكسر نصف الشيء اذا شق واصل معنى جنح مالَ الى جانب والقسم المستقل من أجزاء الطبقة ناحية او طائفة منهـا مالت في وضعها الى جانب من جوانب الطبقة فيكون اسم الجناح اولى به

(٧) الحيفة او الطريدة

قال في اللسان وتحيَّفت الشيء مثل تحوَّفته اذا تنقصته من حافاته . والحيفة الطريدة لأنها تحيَّف ما يزيد فتنقصه حكاه أبو حنيفة .وقال في مادة (طرد) والطريدة قصبة فيها حُزّة توضع على المغازل والعود والقِداح فتنحت عليها وتبرى بهـا ، أبو الهيثم الطريدة السَفَن وهي قصبة تُجوَّف ثم يُنقَر منها مواضع (وفي التاج ينقر) فيتبع فيها جذب السهم وقال ابو حنيفة الطريدة قطعة عود صغيرة في هيئة الميزاب كأنها نصف قصبة سعتها بقدر ما يلزم القوس والسهم .

وفي التاج (و) الحيفة (خشبة) على (مثال نصف قصبة في ظهر قصبة تبرى بها السهام والقسي) وهي الطريدة سميت حيفة لأنها تحيف ما يزيد فتنقصه

وقال في مادة (طرد) نحو ما جاء في اللسان

يصح ان تطلق الحيفةُ على الاداة التي تبرى فيها الأقلام الرصاصية بادارتها فيها فيخرج القلم وقد حيفت جوانبه وبُري بَرْيَ القِداح وأنْ تطلق الطريدة على ما يسمونه بارَخراطة عند النجارين وهي التي يُبرى بها العود بادارته على حدّ شفرة حادة تأخذ من حافاته وهي معروفة في بلاد الشام كثيراً ورأيت مجمع اللغة العربية الملكي وضع المبراة لاداة بري الأقلام المعروفـة بالمطوه ***Canif*** والبرّاءة للاداة التي تبرى بها أقلام الرصاص المعروفة بالبرّاية .

والوضعان المذكوران متقاربا اللفظين مع تقارب معنييهما ·

ولكني ارى أن الخيفة اخف لفظاً فلندع الميراة لما وضعها له مجمع مصر. ولنطلق الخيفة على المعنى الثاني تقليلاً للاشتراك ودفعاً للاشتباه

(٨) الدَّسْكَرَة

قال في اللسان الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي قال الاخطل

في قباب عند دَسكرة حولها الزيتون قد ينعا

(وقيل هذا البيت لأبي ذهبل وقيل ليزيد وقيل للأحوص) وكيف كان فهو يذكر منزلاً في ضاحية دمشق بين الرياض والغياض وفي التاج « الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم كذا في المغيث في غريب الحديث لأبي موسى قال الليث يكون للملوك ومثله في جامع القزاز ج دساكر وفي النهاية : الدَّسكَرَةُ بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم وليست بعربية محضة ·

ويصح أن تطلق على ما يسمونه بالڤيلا · والدسكرة اذا صح انها غير عربية فهي معربة في الزمن الاول

وقد كان اطلق مجمع اللغة العربية الملكي على الڤيلا الطزر بعد أن ذكر ما جاء في اللسان في مادة طزر من انه البيت الصيفي وفي مادة طرز انه بيت الى الطول وانه البيت الصيفي وانه معرب تِرْز .

فكان لدينا اذاً بمعنى البيت الصيفي كلمتان [طَزَر] بتقديم الزاي على الراء وزان سبب [وطِرْز] بتقديم الراء على الزاي وزان حِمل فهل هما لغتان أو احداهما محرفة من الاخرى ، قالت مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في الجزء الثاني ص ٦٧

(وربما كانت الطِرْز محرفة عن الطَرَز لاننا اذا رجعنا الى عبـارة التاج في تفسير الطَرَز وعبارة المخصص في تنسير الطرْز رأينا تماثلا تامًا في التعبير ممـا يدل على نقل المتأخر عن المتقدم فصاحب التـاج يقول الطَرَز بالتحريك البيت الصيفي بلغة بعضهم وصاحب المخصص يقول الطرز البيت الصيفي بلغـة بعضهم ثم بنى المجمع على ترجيح هذا القول ووضع الطَرَز للبيت الصيفي وهو ما يعرف بالڤيلا ولا يخفى أن صاحب التاج متأخر عن صاحب المخصص وصاحب التاج نقل عبارة الازهري انه معرب عن الطِرْز وانه هو البيت الصيفي وانه بيت الى الطول كل ذلك في مادة طرز بتقديم الراء على الزاي فكيف بعد هذا صح لنا أن نجعل نقل المتأخر (صاحب التاج) انما كان بتقديم الزاى على الراء ونحكم على وقوع الغلط في عبارة صاحب المخصص [إذ المفهوم من كلام الجملة والمجمع انه نقلهـا مصححةً بالطَّزَر] ان ذلك أراه موضع نظر وبحث ، والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطزَر بثقلها وما صحبها من التهجان كاد يكون عامـًا فيما رأيت ولم يختر الطِرْز وهو يؤدي نفس المعنى المراد وموافق للاصل الفارسي

احمد رضا

الراديو وأثره في نشر اللغة

استزارني يوماً احد مديري المدارس فرحب بي وعرّفني بالأفاضل من أساتذة مدرسته · وهنالك جرى ذكر اللغة العربية ووجوب العناية بنشر الفصحى بين النشء وتعميم ملكتها في نفوسهم · وأدّى بنا الحديث الى تعداد الوسائل التي يحصل بها ما ذكر · فكان مما اتفقنا عليه أنّ (الراديو) اصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثراً في نشر اللغة : فإن اصغاء الجمهور اليه · واهتمامهم بتفهم أخباره · وتداول تلك الاخبار بينهم يحكيها بعضهم الى بعض ويرويها بعضهم عن بعض · كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فان سمعوا الكلمات صواباً حفظوها وروَوها صواباً · وإلا وَعوْها وأدّوها خطأً ·

يسمعون من (الراديو) مثلاً قوله (بقيتْ جيوشُ اليونان وَحدُها تقاتل في تلك المنطقة) فاذا هو يلفظ كلمة (وحدُها) مرفوعةً على ظن أنها صفة للجيوش مع انها دائماً منصوبة على الحال بمنزلة قولنا (منفرداً) · ويسمعونه يقول (أغرقت الطائرات باخرةً حَمولتها خمسة آلاف طن) بفتح حاء (حَمولتها) وهو خطأ صوابه ضمها : إذ أن المراد بها الأحمال التي تحملها الباخرة · أما الحمولة بفتح الحاء فالدابة تحمل الأحمال ·

وقد وافق مدير المدرسة الفاضل على ما كان يدور في المجلس من هذا الحديث ثم أيده بملاحظاته الخاصة التي اعتاد أن يدوّنها عن تلامذته · وقال ان الكثيرين منهم اصبحوا يستعملون من فصيح الكلام وصحيح الاساليب مالم يكونوا يعرفونه لولا اصغاؤهم الى (الراديو) · كما أنهم احياناً يرتكبون اخطاء في نطق كلمات تسرّبت اليهم من فم (الراديو) ذلك المخلوق العجيب الذي اصبحت له اليد الطولى في نشر اللغات · وتصوير مختلف اللهجات

ثم خفَّ المدير الى حيث الطلاب وأتى بواحد منهم وناوله من على المنضدة جريدة يومية وقال له أسمع الاستاذ ·

فانبرى الطالب يقرأ علينا بصوتٍ جهير ونبرات متزنة · وكنا نراه إذا اخطأ في نطق كلمةٍ اعتذر بأنه هكذا سمعها من الراديو · وكان مما قرأه علينا من إذاعات الراديو هذه الجملة : (قصفت الطياراتُ المدينةَ بعنفٍ وبقيت النيران مستعرة فيها طيلةَ النهار الى المساء)

ففتح الطالب وهو يقرأ الجملة نون (نَيران) وجعها على وزن حَيران · وكسر ميم (مساء) وجعلها بوزن نِساء · وشدَّد الراء من (مستعرة) وجعلها بوزن (مستمرَّة) فصححنا له خطأه الذي التي تبعته على عاتق الراديو · وقلنا له : النيران مكسورة النون جمع نار كما ان الجيران والفيران أولها مكسور وهما جمع جار وفار · وكذلك (مساء) ميمه مفتوح وكلمة (مستعرة) راؤها مخففة على وزن مفتقرَة : لأنها اسم فاعل من استعرَتْ النار اتقدت · فهو من (افتعل) ومشتق من السعير · ولو كانت (مستعرة) مشددة الراء لكانت من باب (استفعل) وكانت مشتقةً من العرّ (بتشديد الراء) وهو الجرب · ولَفظَ التلميذ كلمة (عَنف) بفتح العين كما سمعها من الفاضل مذيع بيروت · فنصحَ له بعض الحاضرين أن يلفظها بضم العين لا بفتحها فقلتُ له ان الضم هو المشهور بيننا ولكن الفتح جائز كما نصوا عليه ·

* * *

ثم انتقل الجدل بين الحاضرين الى كلمتي (طيلة) و (قصف) هل هما فصيحتان فيما يستعملان فيه ؟ وسألوني رأيي في أمرهما فقلت :

عجبًا لهذا الحظّ الذي رُزقته كلمة (طِيلة) فان الناس أولعوا بها إلى ما وراء الغاية · فيقولون طيلةَ النهار · وطيلةَ الدهر · أي مدتها الطويلة · وهذا

الاستعمال خطأ او هو على الأقل غيرُ مطابقٍ للاستعمال الفصيح : فان أهل اللسان انما يعرفون (الطيلة) بمعنى العمر لا بمعنى طول المدة فاذا أرادوا طول المدة قالوا مثلاً « لا اكلك طولَ الدهر او طَوالَ الدهر » بفتح الطاء . ويقولون (بتُّ سهران طُول الليل أو طَوال الليل) ولا يقولون (لا أكلك طيلةَ الدهر) ولا (سهرتُ طيلةَ الليل) واذا اراد البلغاء استعمال كلمة (الطيلة) قالوا هكذا : (أطال الله طِيلةَ فلان) أي أطال الله عُمرَه . فالطيلة اذن انما تستعمل بمعنى العمر .

وأراني جريئاً على القول بأن (الطِيلة) لا يحسن استعمالها في غير المقام الذي استعملها فيه البلغاء وهو مقام الدعاء . فيقول احدنا لأخيه (اطال الله عمرك وفسحَ في طيلتك . أو أمدَّ الله في طِيلتك) ونحو ذلك ولا اظنني سمعتهم يستعملون (الطيلة) في غير هذا التركيب او ما ضُرب على غراره . فلنا أذن مندوحة عن كلمة (طيلة) بكلمتي (طُول) و (طَوال)

بقي علينا فعل (قصفتْ الطياراتُ المدينةَ) وهذا الفعل وهو (القصف) بهذا المعنى مما استحدثه أو ولده الراديو وفرضه علينا فرضاً . ولعلنا لم نسمعه الا في هذه الحرب . وفي عهد المذيعين المفوّهين . وكأنَّ المذيع الأول منهم أراد أن يترجم لنا بالقصف كلمة (*Bombarder*) الإفرنسية فيكون التعبير العربي مشابهاً للتعبير الافرنجي في وحدة اللفظ بعد ان كانوا يقولون (اطلقت الطيارة القنابلَ) و (ألقت القذائفَ) فاكتفوا بكلمة (قصفت) مكان الكلمتين . ثم انَّ معنى القصف في اللغة الكسر : قصفَ فلانٌ العود كسره وريح قاصف شديدة تقصف الأشجار . فهو فعل يتعدّى الى مفعول . ثم استعمل فعلُ القصف مجازاً في جلجلة الرعد فيقولون رعدٌ قاصف أي شديد الصوت مجلجل . وقصفَ الرعدُ اشتد صوته . وقد لاحظ القارئ إنّ فعل (قصف) في استعماله المجازي اصبح لازماً بعد

ان كان متعديا . وربما سأل سائل : ماهي المناسبة بين المعنى الحقيقي وهو الكسر وبين المعنى المجازي وهو اشتداد صوت الرعد ؟؟ المناسبة هي أن المرء وهو يسمع جلجة الرعد يخيل اليه ان شيئًا يتكسر ويتقصف في عنان السماء ومن هذا المعنى المجازي اخذ رجال الإذاعة فعل (قصف) اللازم الدال على اشتداد صوت التنابل الملقاة من الطيارة . لكنهم حوّلوه من اللزوم الى التعدية للمفعول فهم يقولون (قصفت الطيارة المدينةَ) بعد ان ضمنوا فعل (القصف) معنى القذْف والرمي . فتأويل (قصفت) الطيارة المدينة اشتد صوت الطيارة قاذفةً المدينةَ بقنابلها قذفًا له صوت يشبه قصف الرعد في شدته . والتضمين كثير الورود في كلام العرب . وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة عليه . فهذا الاستعمال الجديد لفعل (قَصفَ) الذي استحدثه المذيعون نقبله منهم ونشكرهم عليه . لكننا نحتفظ لأنفسنا حق الرجاء لهم في التثبت من بعض الكلمات الأخرى والرجوع الى المعاجم في ضبطها وليس ذلك عليهم بالأمر العسير كما نلتمس من المذيع الأكبر مذيع لندن خاصةً ان يقتصر في قلقلة الحروف الأخيرة من الكلمات على حروف (قطب جد) الخمسة : فلا يتلقل الميم من كلمة (النظام) ولا اللام من كلمة (القتال) ولا النون من كلمة (الألمان) وذلك وفقًا لما تقرر في (علم التجويد) وتفاديًا من مخالفة أصول الأداء العربي .

***

ونذكر بهذه المناسبة كلمة أو تعبيراً جديداً اصطلح عليه (الديبلوماسيون) المعاصرون وأملاه علينا في هذه الأيام المذيعون ولم نعهد اننا سمعناه قبل هذه الحرب القائمة :

ذلك أن من خاض غمراتِ الحرب بالفعل سموه (محارباً) وضده (الحيادي او المسالم) وهو الذي لا ناقة له في الحرب ولا جمل - ثم رأى هؤلاء الديبلوماسيون

انهم في حاجةٍ الى اعتبار حالةٍ ثالثة لا يصح ان يوصف صاحبها بالمحارب ولا بالمسالم الحيادي فاصطلحوا على تسميته (باللاّمحارب) . وكأنهم يريدون بتوصيفه بالحرب ثم نفيها عنه بحرف النفي (لا) أن ظروفاً استثنائية او جغرافية جعلته على أهبة الحرب والاستعداد لها . او على وشك الدخول فيها عند اول فرصة . أو انه لا يخلو من ميلٍ في نفسه الى احد الفريقين المتحاربين

فالحالات اذن ثلاث (حيادي) (*neutre*) محارب (*en état de guerre*) لا محارب (*non belligérant*) ويظهر ان هذه الكلمات العربية الثلاث انما اصطلح عليها المذيع الاول او الديبلومامي العربي الاول ترجمة للكلمات الافرنجية الثلاث وقد قام في وضع هذا الاصطلاح بوظيفة المجمع العلمي فالشكر له على كل حال .

* * *

ومن لطيف الاتفاق ان يقع نظري على كلمتين في لغتنا العربية تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و (اللاّمحارب) .

وهما كلتا (عُدى) بضم العين و (عِدي) بكسرها : وقد فسروا ذات الضم بالأعداء الذين تقاتلهم . وفسروا الثانية ذاتَ الكسر بالأعداء الذين لا تقاتلهم . فالعدى بالضمّ المحاربون بالفعل . والعدى بالكسر اللامحاربون لكنهم مستعدّون لها متهيؤون .

وقد رأيتُ هذه التفرقة بين كلمتي (عُدى) و (عِدى) في (محيط المحيط) للبستاني ووافقه عليها صاحب اقرب الموارد . لكنهما لم يشيرا الى المصدر الذي اعتمدا عليه في حكاية هذه التفرقة المليحة التي نحن في حاجة اليها والى امثالها من الاوضاع الجديدة . ثم راجعتُ اللسان والتاج والصحاح والأساس والمصباح فلم اعثر على تلك التفرقة بين الكلمتين المذكورتين غير ان اللغويين قالوا كلاماً

في معنى (العدى) بالكسر أحسبه السبب الذي حمل صاحب المحيط على اعتبار هذه التفرقة :

فقد قال اللغويون ان (العدى) مكسورة العين تكون بمعنى الغرباء الأجانب عنك . وذكروا شاهداً عليه قول الشاعر :

(إذا كنتَ في قومٍ عِدًى لستَ منهمو
فكل ما عُلفتَ من خبيثٍ وطيب)

فلعل صاحب المحيط استنتج من هذا التفسير لكلمة (عِدى) المكسورة انها بمعنى الأعداء الذين نلابسهم على علاتهم ولا نُثير عليهم حرباً ولا قتالا . فتبقى كلمة (العدى) بالضم لأولئك الذين نصارحهم العداوة ونناجزهم القتال بالفعل . والكلمتان تستعملان وصفين فيقال هؤلاء قومٌ عُدى . وأولئك قوم عِدى . واذا اريد المصدر جاز لنا ان نقول (عُدَوية) من عُدى (بضم العين) اي (محاربة) ومن عِدى المكسور نقول (عِدَوية) بكسر العين اي (لا محاربة)

على ان المجال مازال واسعاً امامنا للتثبت من هذه التفرقة بين الكلمتين ومن طريقة استعمالها وبعد ذلك يتسنى للمجامع العلمية وضع قرار بقبول تينك الكلمتين اللغويتين واستعمالها في الاصطلاحين الجديدين او بعدم قبولها بالمرّة والاكتفاء باستعمال الكلمات التي شاعت على لسان الراديو اعني (المحارب) و (اللامحارب) و (السلام) .

المغربي

ابناء علي بن نصير الدين الطوسي

اطلعت اتفاقاً على نسب قديم الخط كتب في ورق صقيل يتضمن اسماء ابناء علي بن نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي الشهير المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م ولكن هذا النسب لا يحمل شارة رسمية او صفة علمية اذ لا توقيع عليه لأحد وانما يزعم حامله وهو الشيخ صالح بن قاسم ناصر الدين من قرية دالية الكرمل بالقرب من حيفا ان هذه نسبتهم وانهم ينتسبون الى نصير الدين الطوسي وان تحرّف اليوم الى ناصر الدين

وهذه الأسرة من الأسر المعروفة بين آل معروف وقرية دالية الكرمل أنشئت منذ مائة وثمانين عاماً أنشأها مهاجرة الدروز الذين جاؤا اليها من الجبل الأعلى في أرجاء حلب - كما يقولون واستوطنوها من ذلك التاريخ ومن أسرها المعروفة ايضاً حسون والحلبي .

والى القارئ الكريم نصّ هذا النسب بحروفه وعلى علاّته واغلاطه على ان نذيله ببعض آراء وملاحظات

« اللهمّ صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين صلاة دائمة الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . وقد نقلت هذه النسبة المباركة عن خط الشرف علي بن مولانا الامام الولي نصير الدين الشريف علي بن محمد الطوسي وذكر انها نقلت عن خط أبيه نسبة قديمة ذكر تاريخها في شهر رجب المرجب من شهور سنة خمس وخمسمائة ونقلت . . . . (١) الذي نقلت عن خط الشرف علي ولما نقلها الشرف علي عن خط ابيه نصير الدين المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالأنساب الشريفة العلوية فسار بها الى مدينة دمشق المحروسة خلد الله تعالى ملك

(١) خرم مقدار ست كلمات

مالكها لتكن في يده اثباتاً لشرفه واستخارة يرحمة الله تعالى سكن دمشق المحروسة وطال[١] له المكان لشرف علي ورزقه الله البنين والبنات من الذكور عزّ الدين ولقبوه بعزّ الدولة وكاسب وشجاع الدين وعزائم وعبد الله وتقرّروا وتناسلوا وطاب لهم المكان وبقي في الشام وبلادها منهم فروع كبير[٢] وكان لعزّ الدولة اولاد ذكور منهم فارس الدولة وكال الدولة وسلمان الدولة ومحمود الدولة وحاتم الدولة وعبد العزيز وكان لكاسب علي واسماعيل وبنّا وخلف ومحمد ومزهر وسما[٣] مزهر من جملة اولاده وكان مولد احمد بن مزهر في ساعة عكس فلقبوه بها ولما كبر سنه انتقل الى بلاد حلب وسكن بقرية بشتدلايا ثم عمر قرية تسما[٤] تلتيثا وصار له فروع كثير[٥] الى يومنا هذا ولشجاع الدين ايضاً عبد العزيز وحاتم وعلي ومحمد ولعزائم الشرف علي وعزّ الدين حسين وشهاب الدين احمد ومعن وحصن ونجم الدين ومحمد وشرف الدين علي ومنهم تفرّعت الطوائف المشهورة الآن بنو كاسب وبني شجاع وبني عزائم وبني فوارس والمعنية والحصنية ومنهم في بلاد الشام كثير وفي بلاد حلب ولهم فروع كثيرة متفرقة في البلدان والقرى منهم في بلاد بيروت وبلاد صيدا وبلاد صفد وبلاد حوران وحماة وحمص والمعرّة واعمال حلب ايضاً ومنهم الآن بيوت وطوائف مقرّرة في اماكن معلومة الى يومنا هذا وهم يعرفوا بأولاد البزيرية الى الآن في الأنساب والتواريخ المؤرخة في الكتب السابقة فقد ثبت وصحّ بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة جمال الدين مفتي المسلمين ثقة الملوك والسلاطين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم صدر الدين ابي الربيع سليمان بن سوس البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها ادام الله ملك مالكها وذلك في نهار الاثنين الرابع والعشرين

(١) لعلها وطاب . (٢) لعلها كثيرة .

(٣) و(٤) يعني سمي وتسمي ولها أمثال كثيرة فيما يلي (٥) يريد كثيرة .

من شهر صفر الخير من شهور سنة عشر وسبعمائة ثبوتاً شرعياً واعتباراً مرضياً بالبينة العادلة المرضية التي بمثلها أيضاً ثبت بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة حاكم الحكام فخر الأنام صدر مصر والشام بقية السلف الكرام مؤيد الشريعة محمد الأربجي الحنفي الحاكم بمدينة دمشق المحروسة سنة احد عشر وسبعمائة وانه قد ثبت ايضاً بين يدي مولانا وسيدنا الشيخ الامام العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين ثقة [1] الملوك والسلاطين خالصة مولانا امير المؤمنين سليمان بن الشيخ الامام العالم العلاّمة بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة سنة ثمان وسبعمائة هو انه قد ثبت عندهم وصحّ لديهم أحسن الله اليهم اتصال نسب الشرف علي المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالانساب الشريفة العلوية من اولاد كاسب الى بلاد جلب علي وخلف واسماعيل فتقرر اسماعيل بن كاسب في قريةٍ من أعمال حلب تبع قضاء مرمين تسما بنش وخلف تقرر في قرية مرتحوان وعلي تقرّر في بنابل وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا ومنهم فروع من توجه الى ناحية الشرق الى بلاد البارة من اعمال حلب ايضاً المحروسة وأما بدّا بن كاسب تقرر بقرية تسما دلفا من اعمال حلب وحلال الدولة [2] تقرّر بقرية تسما بشندلنتة من اعمال حلب واما شجاع الدين وعبد العزيز ومحمد ويكنى جيقة [3] وحاتم تقرر في مدينة الشام وكمال الدولة ومحمود اولاد عزّ الدولة توجهوا الى بلاد حلب وتقرروا في قرية تسما تلتيثا المذكورة ايضاً وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا . وكلّ من لقب بالدولة نسبة لعزّ الدولة وكان لسليمان بن فارس الدين ولدات الدين [4] الواحد منهم سماه سعيد والآخر اسماعيل تقرر في قرية في اقليم دربل تسمى بقعسم واما علي فارس الدين والدولة [5] انتقل

(١) في الأصل ثقة ثم تصححت إلى ما يشابه بركة (٢) لعله جلال الدولة
(٣) لعله حيقة (٤) لعله ولدان اثنان (٥) لعل الدولة هنا زائدة

الى بلاد حلب وتقرر في قرية من اعمال سرمين تسما باثنتا وصار له فروع كثيرة الى يومنا هذا ·

واما شرف الدين علي وعز الدين الحسين إبنا عزائم سكنوا مدينة حماة وتقرروا بها مدة من الزمان وتناسلوا وطاب لهم المكان فخلف عز الدين الحسين ولدين نجم الدين محمد وشرف الدين علي فلحقوا بعمومتهم اولاد كاسب واقاموا بها يقرؤا القرآن ويكتبوا المصاحف الى يومنا هذا ولم يتقرروا في بلاد حلب في قرية واحدة كلهم · ثم ان شرف الدين علي عاد الى مدينة دمشق المحروسة ومات بها رحمه الله تعالى وخلف ايضاً ولدين وهما عز الدين الحسين وشرف الدين علي وعز الدين بن شرف الدين خلف اولاد ذكور وسماهم نجم الدين وشرف الدين وثبت اتصال نسبهم في النسبة السابقة المنقولة عن خط الشرف علي ايضاً لدى مولانا العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين علي بن سليمان بحلب المحروسة سنة خمس وثمانمائة ادام الله ايامه وختم بالصالحات اعماله وعاد علينا من بركاته وانفذ امره واحكامه في مجلس حكمه وقضائه بحضرة السادة العدول ثبت الله اشهادهم ورحم الله آباءهم واجدادهم وغفر الله لنا ولهم ولكافة المسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين الطيبين وصحبه اجمعين ·

نقلت هذه النسبة الشريفة العلوية عن النسبة المذكورة نهار الاربعا في شهر رمضان المبارك من شهور سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام وهذه الاشخاص المذكورة في هذه النسبة جميعاً من سلالة الشرف علي بن الشيخ محمد الطوسي من سلالة النبي نوح عليه السلام مسلسلين واحداً بعد واحد إلى آخر الأئمة الفاطميين رضي الله عنهم اجمعين تم وكمل ·

آراء وملاحظات

١ : ان اهم ما يلفت النظر في هذه النسبة ان تكون منقولة عن نسخة قديمة مؤرخة في رجب سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م بينما هي لا تتضمن نسبة كاتبها نصير الدين الطوسي بل تتعلق بنسبة ابنه علي الذي يقول انه نقلها عن النسبة المكتوبة بخط ابيه .

٢ : وفي ترجمة النصير الطوسي المدونة في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي يذكر انه خلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر احمد ويقول ان علياً ولي غالب مناصب ابيه ، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن وقدم هذا الأخير الشام مع غازان وحكم في اوقافها تلك الأيام واخذ منها جملة ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد فأساء السيرة فعزل وصودر وأهين فمات غير حميد ، وأما الفخر احمد فقتله غازان لكونه اكل اوقاف الروم وظلم . وهذا ينفي قدوم علي الى الشام كما تزعم النسبة فمن اين جاء اولاد علي اليها واستوطنوها .

قد يرد على الذهن ان يكون اولاد علي جاؤا الشام مع عمهم الأصيل حسن وظلوا فيها بعد قفوله عنها ، ولكن النسبة تجعل الوارد الى الشام صدر الدين علي وهو لم يأتها بل مات اما في مراغة لأنه كان يتولى الرصد فيها بعد وفاة والده ، واما في بغداد التي انتقل اليها والده وصحبه وتلامذته كما يقول ابن شاكر .

٤ : أردنا ان نستوثق من وجود القرى التي جاء ذكرها في النسبة فسألنا عنها زميلنا المفضال الشيخ محمد راغب الطباخ من مؤرخي حلب فقال ان شدلايا وتلتيتا (ويقال لها الآن تلتيتا بتائين بينهما ياء) من قرى جبل الزاوية التابع لبلدة ريحا ، وان بنش قرية كبيرة تبعد عن ادلب فرسخاً يمر بها المسافرون من حلب الى ادلب ، وان مرتحوان شمالي معرة مصرين وهي تتبعها وتبعد عنها فرسخاً . قال ويوجد بها وفي الجبل الأعلى الذي هو قريب منها دروز .

٥ : وسألنا الشيخ ايضاً عن قاضي القضاة بحلب علي بن سليمان المذكور اسمه في النسبة انه كان سنة ٨٠٥ ، فقال ان الشيخ كامل الغزي صاحب نهر

الذهب في تاريخ حلب استقصى اخبار القضاة ، ولكنه لم يذكر بينهم ذلك القاضي وقال الطباخ نقلاً عن ابن خطيب الناصرية من كتاب مخطوط : ان علي بن سليمان البرواناه الرومي ولي نيابة دار العدل فجلس بها وبين يديه القضاة فحكم وامضى الأمور على السداد وتوفي سنة ٧٠٩ هـ قلنا والفرق بين التاريخين يزيد على مئة سنة ، وعبارة المؤلف تنمّ على ان دار العدل هذه كانت في القاهرة عاصمة الملك .

٦ً : عندي ثبت فيه اسماء بعض قضاة دمشق من سنة ٥٨٧ الى سنة ٧٣٢ هـ ولم اجد بينهم اسم سليمان بن سوس البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها وسليمان بن بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة ، وقد يكون الثبت لم يتناول جميع القضاة فلا نستطيع الحكم على القاضيين المذكورين هل كانا على قضاء دمشق في التاريخين المحررين في النسبة ؟

٧ً : ولعلّ أغرب وأعجب مافي هذه النسبة هو ما جاء في خاتمتها من ان أبناء الطوسي من سلالة النبي نوح عليه السلام وانهم تسلسلوا واحداً بعد واحد الى آخر الأئمة الفاطميين .

لذلك نرى ان في نشر هذه النسبة التي تحتوي على أسماء كثير من القرى والاشخاص فائدة تاريخية اذا ايدتها بعض الحوادث والأخبار المطوية في بطون الكتب والاسفار .

عبد الله مخلص

الريال المزيف

ويح الفقير فما تراه يلاقي　　سدت عليه منافذ الارزاق
عصفت به وبسربه ريح الشقا　　فتساقطوا كتساقط الاوراق
فاذا بصرت به عجبت لشمعة　　كالزعفران تجول في الاسواق
علق المجاعة مص بعض دمائه　　وتعسف الحكام مص الباقي

. . .

اخذ الشقا بدها فسارت خلفه　　والليل ممدود على الآفاق
سارت ، فماس الخيزران بقدها　　ورنت ، فذاب السحر في الاحداق
وتلوح آثار النعيم بخدها　　كالفجر قبل تكامل الاشراق

. . .

اخذ الشقا يدها فان هي فكرت　　بمصيرها صعقت من الاشفاق
ووهت عزيمتها فألقت نفسها　　فوق الثرى وشكت الى الخلاق
تشكو بدمعها وذل فؤادها　　وبما تحس به من الاحراق
يارب ! قالت وهي جاثية له　　ان شئت حل من الحياة وثاقي
قد عشت عمري ما عرفت بريبة　　وعبدت بعدك عفتي وخلاقي
والآن والأيام ملأى بالأذى　　قد اصبحت وقراً على الاعناق
زوجي يحارب في التخوم وطفلتي　　فوق الفراش تزيد في ارهاقي
من امها تبغي الغذاء لجسمها　　من امها تبغي الدواء الواقي
وطرقت ابواب الكرام فأوصدوا　　ابوابهم فرجعت بالاخفاق !. . .

. . .

سام الفتى عرضي ! فيالك من فتى　　كاسي الغنى عار من الاخلاق
هب ان اختك والزمان اصابها　　مثلي اصابت سافل الاعراق
افكان سرك ان ترى احسانه　　ثمن العفاف لضمة وعناق
خفف على عنقي الضمينة واتئد　　اني رأيتك آخذاً بخناقي !

ان الريال غنى ولكن عفتي فوق الغنى ونفائس الاعلاق

. . .

أأصون عرضي؟ وابنتي؟ وحياتها؟ وعلاجها يحتاج للانفاق
انا ان اعف قتلتها فعلام لا تحيى بماء تعففي المهراق
لا ! لا تموت فانها لبريئة حسناء ماشبت عن الاطواق
اني مفارقة ابنتي او عفتي فعلى كلا الحالين من فراق
والذنب للايام في حدثانها والذنب للاخلاق غير رواقي !.

. . .

رباه حلمك فالمصايب جمة وانا بواحدة يضيق نطاقي
لو شئت موتاً لابنتي لأخذتها وجعلت طهري قدوة لرفاقي
لكن اردت بقاءها واردت لي فقري ، انظمئني وانت الساقي!
ستعيش بنتي وليكن ما شئته ستعيش ... لكن من لهي العشاق

. . . . .

ومشت لموعده بماء جفونها الـ ـقرحى وجمر فؤادها الخفاق!.

. . .

لو صوروا اللؤم الذميم فمثلوا (ذاك الفتى) عدّوا من الحذاق
ترعى السفالة في مجاهل قلبه وتطل ان شبعت من الآماق
ومتى يحاول حجب مكنوناته يلبس محياه حجاب نفاق
قنص الفتاة بفقرها وشقائها « وبما تكابد من اسى وتلاقي !»
حتى اذا اختليا انثنى بوصالها وقد انثنت بريالها البراق

. . .

رجعت وفي يدها الريال ورأسها لجنائها متواصل الاطراق
وكأنها خطرت لها ابنتها وما تلقاه من الم الطوي المقلاق
فأصابها مثل الجنون فتمتمت : بشراك اني عدت بالترياق

هو ذا الريال فانه نعم الذي يهب الشفاء لنا ونعم الراقي
هوذا الريال وقد تألق ماحق دجن الهموم وقد اردن محاقي !
هوذا الريال ولم يكن لولا ابنتي ليسومني نكراً عن الاطلاق !

. . .

ومضت الى الطباخ تلجم مابها لفتاتها من لاعج الاشواق
قالت ـ وأدته الريال ـ الا اعطني بعض الغذاء ، واردد على الباقي
اسرع فانك ان تؤخرني تذق من جوعها بنتي امر مذاق !

. . .

نقف الريال باصبعيه وجسه وانهال بالارعاد والابراق
قبحاً لوجهك . . .
سيدي أتسبني عفواً وتحسبني من السراق ؟ .
ـ لا فالريال مزيف . . .
ـ أمزيف ! . . . صاحت وقد سقطت من الارهاق

. . .

سقطت على قدم الشقا فبكت لها عين العلى ومكارم الاخلاق
وبكى عفاف الآنسات عفافها خلل السجوف بمدمع مهراق
يا طير عفتها فدبتك طائراً هلا حذرت حبائل الفساق

. . .

طلعت عليها الشمس وهي سجينة وفتاتها ضيف على الاسواق
اما الاثيم فلا تزال شباكه منصوبة لنواعس الاحداق
يسقى الرحيق بأكؤس ولواحظ والله يكلأ ـ «وهو نعم الواقي!»

بشارة الخوري

مخطوطات ومطبوعات

جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة

الصلاح الصفدي من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية هذا الكتاب ، أوله : الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن ... قال وبعد فهذه اوراق أودعتها أزاهر ما حضر ذاكرتي ، وأدرج ضمنتها جواهر ما قذفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخبت منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة ، وأنبته في رباها الزاهرة ، والتزمت ان أورد فيها مارق معناه وراق لفظه وشقّ الإتيان بمثله وشاق حفظه . وهذا الاسلوب حافظ عليه اهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه اهل الذوق السليم من الناظمين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أقماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المسامع وأطرب ، وأسرى في القلوب وأسرب ...

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر والقابها قال ان الشعر إن أثني به على حيّ فهو مديح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد

قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله تعالى : لو لم يمدحه الا بهذا البيت وحده لكان قد أبقى له ما لا يخلقه الزمان . وقال الشيخ تاج الدين الكندي : ما أجل هذا البيت وأحسنه ! مدح في مدح ، تركب من وجهين بلفظ جزل لطيف ، وذلك انه بنى البيت على ذكر انه استباحه من المادبة ، ثم تلقاه في آخره بسرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه .

وإن أثني به على ميت فهو رثاء وتأبين كقول التميمي في ابن زياد :

ردت صنائعه عليه حياته   فكأنه من نشرها منشور

قال بعض الأفاضل ما مات من قيل فيه مثل هذا البيت .

ولو ذكر فيه لؤم او جبن او بخل او ماهو ملحق بذلك فهو هجاء كقول بعض العرب[1] :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم   قالوا لأمهم بولي على النار

زعم بعضهم انه لم يسمع أشد هجواً من هذا البيت وذلك أنه وصفهم بالبخل من كون نارهم تطفأ لئلا يهتدي الأضياف الى طلب قراهم ، ثم انه بالغ في وصفهم بشدة البخل ، لأنهم يطفئون النار ببول أمهم ، حرصاً منهم على الماء . ثم انه وصفهم بالجبن والكسل ، لأنهم يتركون أمهم تتولى خدمتهم ليلاً ، ولم يأنفوا من ذلك ، ثم انه وصفهم بالعقوق ، وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا الخطاب السنيه ، ثم انه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث ان نارهم في القلة الى غاية تطفأ ببولة المرأة ، وقد تكلف بعضهم واستنبط منهم أشياء أخر بعيدة التأويل اضربت عنها . ولو ذكر اخلاف وعد ومطل وقلة وفاء وامثال ذلك فهو عتاب . والكتاب كله على هذا النحو وهو في ٢٠٣ صفحات صغيرة .

محمد كرد علي

(١) هو الأخطل (الديوان طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ٢٢٥)

الذخيرة لابن بسام

كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة جزيرة الأندلس من اشهر كتب الأدب في الغرب ، فهو ككتاب يتيمة الدهر للثعالبي في الشرق ، وضعه صاحبه ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وكان اماماً في الصناعتين صناعة النظم وصناعة النثر . والكتاب يحمل صفحات اطالت حجمه ، ولكنها ابانت عن اقتدار المؤلف وايثاره الاستقصاء ، وثبت بها ان اهل الاندلس ما كانوا يقلون عن اهل الشرق بأدبهم الذي تقرأ فيه طابعهم .

وقد حمل هذا الجزء الأول ترجمة المستعين بالله سليمان بن الحكم والمستظهر بالله وابن دراج القسطلي وعلي بن حمود وابن برد الاكبر والوزير عيسى بن سعيد القطاع وعبد الوهاب بن حزم والفقيه ابي محمد بن حزم ومنذر بن يحيى التجيبي وابن شهيد وابن الاقليلي وابن زيدون وابن حناط الكفيف وغير ذلك من الحوادث السياسية . واستوفى تراجم الأمراء الفصحاء والشعراء والأدباء والعظماء .

ومن مطالعة هذا السفر يتجلى الأدب الأندلسي كل التجلي . ويعرف مما نقل المؤلف في كتابه عرضاً ان حملة الأقلام واعلام الشعراء كانوا يتأدبون بآداب الأقدمين والمحدثين من العرب ، وكانت معرفتهم ثاقبة بأدب كل من نبغ في عصرهم في الشرق . وقد تسقط لأدبائهم على آراء غريبة ، ولا عجب فطابع كل ادب مقتبس من بيئته ، ولهذا كان ادب الأندلس غير ادب بغداد ودمشق والفسطاط .

من ذلك ما رواه ابن بسام للوزير عامر بن شهيد : « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها ، وأروق لِبْساتها ، ومن كان جسمه مستولياً على

نفسه — من أصل تركيبه — والغالب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتي منه في حسن النظام ، صورورائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتشغف النفوس ، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أساً لم تعرفه ، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير حسن (ص ١٩٧) .

وقال ابو عامر (٢٠٢) : « وكما أن لكل مقام مقالاً فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ، ولا تهش لسواه ، وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك للكلام نقل وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ، فالصنعة معهم أفسح باعاً ، وأشد ذراعاً ، وأنور شعاعاً ، لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دورانا ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، فرقت الطباع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى اهله باللطائف صلف ، وبرقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابها . »

لا جرم ان حرص الاندلس على الأخذ من الشرق وأدبه ، ووقوفه بالمرصاد لمراقبة حركته العلمية كان من الخير للأدب ، مثال من ذلك صغير ، ولكنه يدل على أمر عظيم ، قال ابن بسام : (٣٦٥) وكان ابن جهور كسر دنان الخمر ، وكان مدحه أيضاً يومئذ يمثل ذلك عبد الرحمن بن سعيد المصغر بشعر أوله :

كسرت لجبر الدين أوعية الخمر فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر
عمدت الى الشر الذي جمعوا له ففرقت منه ، فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبردتُ جملتها ، وانما ذهب الى عكس قول من تقدم من عباث الشعراء من ذم صب الشراب ، ومن أشيره قول بكر بن حارثة الكوفي ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى السلطانُ لا يكن للذي أهان الهوانُ
سكبوا في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفرانُ
صبها في مكان سوء ، لقد صا دف سعد السعود ذاك المكان
من كميت يبدي المزاجُ لها لؤ لؤ نظم والفصل فيها جمانُ
فاذا ما اصطبحتها صغرت في القد در عندي من أمه الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصـ بر عن بعض نفسه الانسانُ!

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات فقال للمنشد : « من حق الفتوة أن اكتبها قائماً ، وما أقدر الا ان تعمدني » لنقرس كان به . قال المحدث : نعمدته وقام فكتبها . »

ومن ذلك قطعة ظفر بها ابن بسام لسليمان بن الحكم الأموي الذي بويع بالخلافة سنة اربعمائة « عارض بها هارون الرشيد » فتشعشعت بها الكؤوس ، وتهادتها الأنفاس والنفوس ، قال هارون الرشيد :

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكانِ
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن ، وهن في عصياني !
ماذاك إلا أن سلطان الهوى — وبه قوين — أعز من سلطاني

فقال سليمان المستعين :

عجباً يهاب الليث حد سناني وأهاب لحظ فواتر الأجفان
فاقارع الأهوال لا متهيباً منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى زُهرُ الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري من فوق أغصان على كثبان

هذي الهلال، وتلك بنت المشتري حسناً، وهذي اخت غصن البان
حاكمت فيهن السلوّ الى الصبا فقضى بسلطانٍ على سلطاني
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني في عزّ ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذلل للهوى ذلُّ الهوى عزٌّ وملك ثاني
ما ضرّ أني عبدُهن صبابةً وبنو الزمان وهن من عُبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان .»

ومن فوائد هذا الجزء ما صدر عن المظفر بن ابي عامر بقلم ابن برد الأكبر من كتاب يدل على مبلغ حرص الاندلسيين على اللغة وجمال الخط والوضع قال في معنى استكتاب الجهلة (٨٧) (... فلم يبلغ ان يُحكم الخط فيقيم حروفه، ويراعي المِداد فيجيد صنعته، ويميز الرّق فيحسنَ اختياره، وعجزُه الحزم النافذ والحكم الصادع، بان يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والاعداد في رؤوس رسومها، بخطوط أيدي القواد والعمال، من كان منهم كاتباً فبيده، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف، وان تكون تسمية طبقات الأجناد فيها بينة الحروف قائمة الخطوط ... على أنه إن ورد لأحد من الخدَمة بعد وصول ذلك العهد اليه كتاب اعتراض او عمل في رَق رديّ، أو بمداد دني، او خط خفيّ، فيه لحن، او كتاب على بشر في عدد، او رأس رسم مالم يخفَ او يقع في حشو الكتاب ويعتذر منه، ليبطلن سعي كاتبه فيما كتب، وليعاجلن بعقوبة العزل واغرام المال الثابت عدده في ذلك القنداق ... وان قوماً من خدمة الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دنيّ الرُّقوق دقةً من هممهم ودناءة في اختيارهم، وجهلاً بأن الخط جاه الكتاب وسلك الكلام ... وانا أعطي الله عهداً لئن ارتفع اليّ — بعد بلوغ عهدي هذا اقصى حدود المملكة وانتهائه أبعد أقطار الطاعة — كتاب على الصفات المذمومة، والاحوال المسخوطة، من رَق او مداد او خط لأوفينّ لصاحبه بما قُدّم اليه من الوعيد .»

قسم المؤلف كتابه أربعة اقسام : قسم لاهل قرطبة وما صاقبها ، وآخر لأهل الجانب الغربي من مدن الأندلس ، وذكر اهل اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، والثالث اهل شرق الاندلس ، واستوعب القسم الرابع من طرأ على جزيرة الاندلس من مشهوري الآفاق ممن نجم في عصره بافريقية والشام والعراق . واعتمد على ما كتبه ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم في الحوادث السياسية واقتصر على ما كان من شعر معاصريه ، ولم يعرض لمن كان قبله لأن من سبقه من المؤلفين وضعوا لذلك الكتب فلم يحب ان ينازعهم .

تصدى المستشرق الفرنسي ليفي پروڤنصال للبحث عن الكتاب واختار مصر لنشره ، فألف القسم العربي في كلية الآداب من جامعة فؤاد الاول لجنة من طلابها النابهين تعد الكتاب للنشر ، ثم تعرض اعمالها على لجنة قوامها اصدقاؤنا الاساتذة الدكتور طه حسين بك واحمد امين بك والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والسيد عبد الحميد العبادي والدكتور عبد الوهاب عزام والسيد ليفي پروڤنصال ، فخدم الكتاب بذلك اجل خدمة ولم تقع فيه غير هنات قليلة لا يخلو منها كتاب قديم يراد احياؤه على الطرائق العلمية الحديثة .

وكان السيد پروڤنصال اطلعني على بعض تعاليق على هذا السفر وضعها بالفرنسية على عادة علماء المشرقيات منذ القديم ، وكانوا يضعون ملاحظاتهم على ما يحبون نشره من كتبنا بلغاتهم الغربية ، وأصبحوا منذ عهد قريب يجعلونها بالعربية لغة الكتاب ، فطلبت اليه أن يكتب ملاحظاته بالعربية ، ولفت انظار لجنة نشر الكتاب الى ذلك فوافقوا على رأيي ، ولطالما لاحظت على بعض العلماء المستعربين من الغربيين في هذه المجلة ، كلما نشروا كتاباً لنا وجعلوا مقدمته وحواشيه بلغاتهم ، ذاكراً لهم ان الكتاب لا تتناوله أيدي المستشرقين فقط ، بل أيدي ابناء العرب ، ومنهم من لا يحسن اللغات الاوربية ، فكتابة التعليقات بغير لغة الكتاب الاصلي ضرب

من العنت يحرم بها قسم عظيم من الراغبين في الاستفادة من الكتاب ، وكان الاستاذان ريتر ونيبرغ هما اللذان سنا هذه السنة الحسنة للمستشرقين فجملا ملاحظاتهما ومقدماتهما بالعربية على ما نشرا من الامهات ، ومنها الوافي بالوفيات للصفدي ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري والانتصار للخياط .

وقد وعد المقدم للكتاب الدكتور طه حسين ان يصدر الكتاب في مجلدات ثمانية لكل قسم من أقسامه مجلدان ثم تصدر اللجنة بعد تمامه مجلدين احدهما يشتمل على فهارس في موضوعات الكتاب وما فيه من الاعلام والثاني يشتمل على ملاحظات مفصلة تمس النص وتتصل بالنسخ المختلفة وبالمراجع التي يرجع اليها المؤلف في تأليفه ورجع اليها المصححون في تصحيحهم وعلى معجم الالفاظ والاصطلاحات الاندلسية التي لا توجد او لا توجد الا قليلا في كتب الشرق ، فنرجو لهم اتمام هذه الامنية ونشكر لجامعة فؤاد الأول عنايتها باحياء هذه المعلمة الاندلسية على نفقتها وللجنة التأليف والترجمة والنشر على طبعها لها في مطبعتها على المثال المتقن الذي عودتنا عليه من اصدار مطبوعاتها النافعة .

محمد كرد علي

ديوان طفيل بن عوف الغنوي

وديوان الطرماح بن حكيم الطائي

عهدت لجنة ذكرى «جيب» الى المستشرق الكبير الاستاذ ف . كرنكو المعروف بين قراء العربية بسالم الكرنكوي بتحقيق وتخريج هذين الديوانين المجموعين في مجلد واحد محفوظ في المتحف البريطاني ورد في آخره انه كتب سنة ثلاثين واربعماية .

أما الديوان الأول فهو ديوان الطفيل رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي . عدد قصائده عشر مع شرح موجز للسجستاني ، عدا ما استدركه الاستاذ كرنكو فجعله ملحقاً للديوان وهو ما عثر عليه من شعر الطفيل مما لم يذكر في الديوان .

والطفيل هذا شاعر جاهلي فارس ينتسب الى قبيلة غني من قيس بن عيلان ، قاد قبيلته وأغار بها على طيئ . وشعره يمثل حياة البادية في الجاهلية ويكاد يكون سجلاً للاحداث الخطيرة التي شهدتها قبيلته ، يذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد واطراف الشام وحروبها مع طيئ وموالاتها لبني الحارث بن كعب وبني جعفر وبني سعد بن عوف ويفخر بمساعيها ويرثي شيوخها .

واكثر ما يحتفل به من المعاني وصف الخيل والتفنن في نعتها والثناء عليها والافراط في حبها والاكثار من ذكرها حتى سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وعد من اشهر من وصفها وجعله صاحب الأغاني اوصف العرب للخيل . قال عبد الملك بن مروان : « من أراد ركوب الخيل فليرو شعر طفيل » . وله في وصف الابل ما هو دون ذلك .

وهو في اكثر شعره جاد ، مقتصد في غزله متصاون فيه قليل اللهو لا يكاد يعبث ، يصف الغارات وبلاء قومه فيها ويتغنى بالشجاعة والكرم والعفة والمآثر

ويفخر بها ويحض عليها ولذلك أحبه رجال الجد والعمل كمعاوية وعبد الملك ، فقد روي عن معاوية انه قال : « دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم » وروي عن عبد الملك انه قال لولده واهله : « أي بيت ضربته العرب ووصفته اشرف حواء واصلاً وبناء ؟ فقالوا فاكثروا وتكلم من حضر فأطالوا ، فقال عبد الملك : اكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقول فيه :

وبيت تهب الريح في حجراته . بارض فضاء بابه لم يحجب
سماوته أسمال برد محبر وصهوته من اتحمي معصب
وأطنابه ارسان جرد كأنها صدور القنا من باديء ومعقب
نصبتُ على قوم تُدر رماحهم عروقَ الاعادي من غرير وأشيب »

ويأتي بعد ديوان الطفيل ديوان الطرماح بن حكيم الطائي وعليه شرح موجز ولكن لم يذكر فيه اسم جامعه ويظن الاستاذ كرنكو انه الطوسي احد من جمع شعر الطرماح ، وعدد قصائد الديوان ثمان ، ويليها ذيل جمعه الاستاذ كرنكو وفيه طائفة صالحة من شعر الطرماح مما خلا منه الديوان .

والطرماح ينتهي نسبه الى طيءٌ وهو من فحول الشعراء الاسلاميين ولد في الشام حوالي منتصف القرن الأول ونشأ بها وانتقل من الشام الى الكوفة مع جيش من جيوش اهل الشام ، وفي الكوفة مال الى مذهب الخوارج فاعتقده أشد اعتقاد واصحه حتى مات عليه . وذهب من الكوفة الى بلاد فارس واقام بالري يشتغل بالتعليم ، وعاد في آخر ايامه الى الكوفة وتوفي فيها بعد انقضاء القرن الأول بقليل .

كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلم الأدب . وشعره وأخباره تدل على استقامة وجد وحزم وتقوى شأن اكثر الخوارج ، فلم يكن يميل الى العبث واللهو بل يغلب عليه الجد والعفاف . وهو مع علو همته وانفته فخور تياه يفخر بنفسه ونسبه ويتعصب للقحطانية على العدنانية ويعتز بقبيلته واسلاميته وشاميته واشعاره في ذلك غير قليلة .

وتغلب على شعره الجزالة حتى تنتهي في كثير منه الى الغريب والعويص ويظهر عليه أثر الاسلام واضحاً جلياً . تقرأ شعره فترى نفس شاعر فارس سمح سمح المروءة حمي الأنف كبير النفس حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل الزلفى والتكسب بل يرسله معبراً عما يختلج في نفسه من بواعث الشعر فيصف ويتغزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها أحداً ولم يرث بها أحداً بل قالها لوجه الشعر .

وإلهام البادية في شعره أظهر — مع أنه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس — اذ ترى فيه لمع السراب وتشم منه عبق الشيح والقيصوم وتسمع عزيف الجن ورغاء الابل وهو يعد من أكثر الشعراء تتبعاً لغريب اللغة وعويصها ولغته في قسم كبير من شعره أشبه بلغة الرجاز الذين كانوا يباهون بالغريب مثل العجاج وابنه رؤبة وابي النجم ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره بل في قسم منه .

ومن مختار شعر الطرماح قوله يفتخر :

لقد زادني حباً لنفسيَ انني بغيض الى كل امرئٍ غير طائل
واني شقي باللئام ولا ترى شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرف دونه ودونيَ فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل
أكل امرئٍ ألفى اباه مقصرا معادٍ لاهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى ولا يضطني من شتم اهل الفضائل
وما منعت دار ولا عزّ اهلها من الناس الا بالقنا والقنابل

ولقد ترجم الاستاذ كرنكو الديوانين المذكورين مع ما استدركه عليهما الى اللغة الانكليزية وجعل لهما مقدمة ضافية وفهارس للقصائد والمقطوعات والاعلام والمظان ومعجماً لمفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تنم على علم وفضل وبراعة .

خليل مردم بك

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الثاني شباط سنة ١٩٤١ صفر سنة ١٣٦٠

سخيف عاداتنا (*)

تتبدل العادات بتبدل الدول والمدنيات ، وتفعل في تلوينها كثرة المهاجرات والرحلات ، ويندر ان تتفق عادات بلد مع بلد أو اقليم مع اقليم . ومن العادات في ديارنا ما هو جميل لا ضرر فيه ، ومنها ما هو قبيح يحمل أضراراً . وكلامنا هنا على هذا النوع الأخير الذي يتأذى منه أرباب الذوق وعشاق النظام . وبغير التعليم لا سبيل الى نبذ العادات السخيفة ، فالتعليم تخمد المنازع ، وتقل الفوارق ، ويشيع بين المواطنين كل حسن نافع .

من عاداتنا في اللقاء أن يباغت الرجل صاحبه في بيته أو في محل عمله في الوقت الذي يناسب الزائر وقد لا يناسب المزور . ومن النادر ان يستأذن الطارق ، كأن يقرع الباب بلطف ، ويقف ريثما يسمح له بالدخول ، وقد نسيت عادة الاستئذان ، وكانت مستحكمة عند أجدادنا في القرون الماضية ، فعدنا نقتبسها اليوم من الافرنج . ومن المؤسف ألاّ تكون لنا اوقات معينة للزيارات ، ولقاء الاخوان والمعارف ، وان نترك مثل هذه الأمور الجوهرية فوضى ، وقد جعل بعض السيدات في المدن يوماً خاصاً لاستقبال صويحباتهن وذوي قرباهن ، فنقدمن في هذه المأثرة رجالهن .

كان الرجل اذا دخل مجلساً يوسعون له فقط ، فيسلم ويسلمون على عادة العرب في الجزيرة الى اليوم ، وكان يندر القيام للزائر الا اذا كان لعظيم مجمع على عظمته ،

(*) محاضرة الأستاذ محمد كردعلي في راديو الشرق (بيروت) مساء يوم ١ شباط ١٩٤١

يقومون له مرة واحدة ، وألفوا لعهدنا ان ينتصبوا قائمين لمن كان ذا حرمة في ذاته كلما دخل المجلس وخرج منه ، ولو تكرر ذلك عشر مرات ، يزعمون انهم يكرمون صاحبهم بذلك ، وقد يكون الرجل في بيته ، وجماعته يحاولون اكرامه ، واجلاسه في المكان الذي يتخيلون انه رفيع ، وما أرى وجهاً لإكرام الرجل في داره ، وواجبه هو ان يحتفي بضيوفه وزواره .

واذا دخل المجلس صاحب شأن في الدولة فالحفاوة به تزيد على الحفاوة بغيره ، وكلما كان الداخل رب جاه وغنى ، او ممن يخشى شره وان كان لا يرجى خيره ، يزيد الاحتفال به والاقبال عليه ، فيهبُّ كل من فيه هبة رجل واحد ، ويأخذون بيده ليجلسوه في المكان الممتاز بينهم ، او الذي يتوهمون انه ممتاز ، وقد تكون المقاعد كلها متشاكلة ، لا فرق بين ما كان منها عند الباب ، وما جعل في صدر المجلس ، فيقف الحضور على الأقدام دقائق حتى تتم هذه العملية ، وتسمع خلال ذلك الايمان والحلف بالمولى وبغيره ، ويفعلون مثل ذلك اذا انتووا الدخول الى مجلس او الخروج منه ، فاذا اجتمعوا يتعب أهل المجلس حتى يرضى الداخل ان يتخذ مقعده الذي يجري الاتفاق على ان يخصوا به زائرهم وجليسهم ، ويقتنعون بأنهم قاموا باجلال صاحبهم ، وفي الغالب انه لا يتم ذلك كله حتى يشدوا الداخل من يده أو يدفعوه في صدره ، اذا أبى مطاوعتهم على ما يخصونه به من الاكرام .

ولطالما ابتعدت عن الوقوع في حكم هذه العادات القبيحة التي تؤذي القادم على المجلس ، وتعطل وقته وأوقات من اجتمع فيه ، وقد لا انجو من هذا التكريم الذي لا معنى له الا بعد اسماع من يحاول شدي كلاماً قاسياً أدفعه به عني ، فأجلس حيث ينتهي بي المجلس ، على ما اهوى لا على ما يهوون ، لا استجيز اخذ مقعد أحد بعده المسكين مكاناً مشرفاً له ، ولا اختار موضعاً يأتي بعد لحظة شخص أكبر مني ، أو شيخ معمم متزمت أو احد من في قبضتهم الرواتب والمناصب من الحكام ، فاضطر الى أن اتنازل عنه مرغماً .

وكانت لطبقة الاعيان في مجالسهم عادة من أقبح ما يسجل من انواع العادات ، سرت اليهم من الترك العثمانيين غالباً ، وذلك ان تبدأ عملية أخرى ، بعد العملية المتقدمة التي كان فيها الدفع والجر والحلف ، لا تقل عن عملية اجلاسه غرابة ، وهي انهم اذا جلسوا يسودهم السكوت بضع ثوان ، وناظورة المجلس ، ومن كان في طبقته ومقامه يتغامزون ، ويسترحم الواحد من صاحبه ان يبدأهم بالسلام . فيصرف المتشاكلان في السن وقتاً حتى يتم السلام ، وينال الكبير في نظرهم هذا التشريف ، وينفض هذا الاشكال . وبعد ذلك يحق لأهل المجلس أن يسلم بعضهم على بعض . وكادت هذه العادة تبطل وهي من أسخف ما ألف المتنطعون .

وتجيء بعد ذلك مشكلة أخرى وهي تقديم القهوة للحاضرين ، وفيها ما يعبث أيضاً بآداب المعاشرة ، ويضيع على الحضور وقتهم . فيأتي من يقدر الخادم او الخادمة انه كبير المجلس ، ويخصه اول الحاضرين بالفنجان الأول ، فلا يرضى اخذه فينشأ المناول يتنقل بما يحمل من ضيف الى ضيف ، فيأبى كل من يقدم اليه ... فنجانه ، ويشير بأن يخص بهذا الشرف من هو اكبر منه ، وتبدأ الأيمان والرجاآت وقد يقوم بعضهم من مكانه ويحمل فنجاناً الى آخر يراه لائقاً بالاكرام ، وعندئذ يستقر الرأي على أن يتناول المقدمون أقداحهم ويتمتع الباقون بأخذها ، وذلك بعد أن ينفد الصبر وتبرد القهوة والشاي وغيرهما . وفي الغرب يتناول المرء ما يعرض عليه ، وقد يؤثرون السيدات بالتقديم ثم يأخذ الرجال بدون تفريق بين كبير وصغير ، ويرجع ذلك الى تقدير الساقي ؛ وقد اقتبسنا عن شيوخنا عادة البداءة بالميامن ، فيقدم الساقي القهوة او غيرها آخذاً من اليمين اي يمينه ، ولو كان المتناول الاول وليداً او وضيعاً بالقياس الى من في صدر المجلس ، وهي عادة مستحسنة توفر على الناس أوقاتهم وحلفهم وسخافاتهم ومشكلاتهم .

ومن منكر عاداتهم اذا اجتمعوا ان يخلطوا بين الأحاديث ، وقد يهمس الجار

وجاره ويخرجان عن ادب الجماعة ، هذا اذا لم يتكلموا كلهم معاً بحيث يضيع النظام ، كما كانت تختلط اصوات النسوان في الحمام .

ومن أبشع ما ألفوا من العادات عادة لهم يطبقونها في الشارع ، وذلك أن احدهم اذا لقي أحد معارفه ، وقد يكون هذا مع صاحب له أو أكثر ، ووقته يحفزه للاسراع ، فيستوقفه ويسأله أسئلة عرضت لخاطره في تلك الساعة ، ورفاقه ينتظرون الفرج لحل عقاله ليحل عقالهم معه ، وقد يكونون مثله ضيقاً وقتهم ، ويحاولون الوصول الى عملهم مسرعين . وربما كان ايقافه هذا لسؤاله عن الحوادث التي تنشرها الجرائد كل يوم ، او لأخذ رأيه في مسألة سياسية تشغل بال الناس ، ويحتاج الجواب عليها الى بضع دقائق أو اكثر ، او للتوسط لمبطل او للسؤال عن عاطل الى غير ذلك من التافهات .
وكثيراً ما كان يستوقفني بعضهم فأمتنع من الوقوف ، وهم يقسمون عليّ بكل مغلظة من الأيمان أن أجيبهم الى سؤالهم في دقيقة واحدة فلا اجيب ولا أقف ، وجوابي وأنا مسرع الخطى ، ان الكلام في الموضوع لا يتأتى في الشارع وان مثل هذه المسائل يبحث بها في خلوة ، وفي وقت فراغ .

كنت في وزارتي الأولى خارجاً من داري صباحاً قاصداً مكتبي على قدميّ . وكان الشارع مكتظاً بالخلق ، والطريق يجري تعبيده ، والمعبدة [1] ذاهبة جائية ، وقضبان الحديد الطويلة محمولة على العجلات ، وعربات النقل تحمل الاحجار والاسمنت والجص ، والفلاحون آتون بحاصلاتهم الى الاسواق على بهائمهم ، ومركبات الترام واقفة لا تستطيع ان تتقدم ولا أن تتأخر . في هذه الحال من الازدحام الخطر اقترب مني أحد معارفي من متقاعدي ضباط الجيش العثماني ، وسألني حلّ قضية لأحد اقاربه ، فقلت له : تعال الي مكتبي نبحث في المسألة . فقال : أود أن تعطيني رأيك الأخير وتعاهدني على ان تسير بما يلتئم مع مصلحة نسيبي . فأجبته ان المسألة تحتاج الى ان ارجع الى اضبارة القضية ، وأظنني قلت ومراجعة القانون ، فقال : أنا اطلب منك ذلك لأملي فيك ، فقلت الآن يتعذر

(١) بالتشديد : آلة التعبيد

ذلك ، فأنت ترى أننا في خطر من هذا الزحام ، والفكر مصروف الى التوقي من الصدمات . فتأفف من كلامي ، وعندها قلت له متألماً من قلة ذوقه وتقديره للحال: أنت تخرجت من مدرسة نظامية ، وتوليت أموراً ادارية في الجيش فيما أحسب ، وتعرف أكثر من غيرك معنى الرجوع الى المعاملة الجارية ، فما هذا التحكم ؟

ويكثر مثل هذا المعجز ، وكانوا يلتمسون مني في الطريق أن اقضي لهم أشغالهم كما قد يطلبون الى الطبيب أن يعطيهم تذكرة يضعها لمداواتهم ، ويقرظونني ويقولون إن مسألتهم مهما كانت صعبة فبيدي حلها ، أو ما أشبه ذلك من عبارات الاغراء . كأن الوزير جاء ليعمل لأرباب المصالح بدون التقيد بالقوانين ، وليرضي كل انسان بما يحب بالحق والباطل . ولذلك اضطررت في الوزارة الثانية الى استصحاب شرطي ، وبخاصة اذا كنت وحدي سائراً على قدمي ، والعوام قد يرهبون الشرطي اكثر من الوزير ، لأن الشرطي يدفع عن مخدومه من يقع في نفسه دفعه ، وينحيه عنه بلطف أو بالعنف واذا اقتضى الحال يلطمه ويكتب فيه محضراً او ضبطاً ، أما الوزير المسكين فلا يستطيع عمل شيء من هذا ، وغاية ما يتطلب من حلم المراجعين ان يشخصوا اليه في مكتبه ، ومكتبه مفتح الباب لهم ساعات طويلة من النهار ، وهو وديوانه مستعدان لحل المشاكل ، وقد تقدم لهم القهوة والشاي والمرطبات ولفائف التبغ ويلاطفون ويؤانسون .

ووقاك الله من سخافات القوم في دعواتهم ، وفيها تتجلى درجاتهم في المدنية ، وتقرأ نفسياتهم الغريبة . فقد يدعو الرجل أحباباً او معارف له من مختلف الطبقات لا رابطة تربطهم ، ولا سبق لهم ان تعارفوا ، ويتفق ان يكون في المدعوين بعض المتعادين المتخاصمين او المتنافسين المتباغضين ، فتحصل سكتة في الجلسة ، ويقطب ، بعضهم وتهيج أعصاب آخرين ، ولا يهنأوهم الطعام والشراب ، ولا يطيب سمرهم وحديثهم وقد يقذف بعضهم بعضاً بتعريض مؤلم ، ويسمعه الفاظاً جارحة ، فيتألم المقذوف ، وتنقبض صدور من لا غرض لهم من المدعوين لسماع أشياء هم في غنى عن سماعها

في مثل ذاك الوقت ، وهو وقت سرور وراحة ، وصاحب البيت يحار في ارضاء ضيوفه ، ويحاول التوفيق بين المتعادين .

وفي العادة ان يأتي المدعوون بعد الميعاد الذي ضربه لهم صاحب الدعوة ، وكثيراً ما يتخلف بعضهم الساعة والساعتين عن الوقت المقرر ، وصاحب المأدبة لا تسمح نفسه ان يقدم طعامه لمن اجتمع فيشتد بهم الجوع ، ولا يدرك الداعي انه باكراه من حضر على انتظار من تخلف يحتقر من لبى الطلب في الوقت المعين ويضيع عليهم اوقاتهم ، وقد تكون لهم مواعيد أخرى ، ولا يأذن باطعام مدعوويه الا اذا تم الحشد كله وربما حدثته نفسه أن يرسل ولده او خادمه يسأل عن المتخلف ويستحثه ، وفي الغالب ان المتخلف لا يعتذر شفاهًا ولا كتابة ، وعلى هذا يستلزم تناول وجبة من الطعام ان يصرف المدعوون بضع ساعات .

ومن المستحيل ضبط المواعيد بين كل الطبقات في هذا الشرق القريب ، لأن القوم ما عرفوا التوقيت ، وربما كان ضبط المواعيد مما يستغربونه ، وكلما تقدموا اشواطاً في مضمار الحضارة يحسنون المحافظة علىَ أوقاتهم وأوقات غيرهم . ومسألة المواعيد من المسائل التي شغلت جانباً من وقتي ، وكنت آلم من الاخلال بها ، وقد تغلبت عليها ، وغرستها في صدور بعض الناشئة بصعوبات كثيرة ، ومن المتعذر التنظيم وسط الفوضى . وقد لقنت من أحاطوا بي ورأستهم ، وان شق عليهم عملي بادئ بدء ، ان يراعوا المواعيد ابداً لما في فوضى الاوقات من الضرر لهم ولغيرهم ، حتى لا يثبتوا بالاخلال بالأوقات انهم شعب منحط .

وتراهم الى اليوم متى اجتمع المدعوون على الخوان يشد بعضهم بعضاً ، فيجلسون من يحاولون اجلاسه في مقام التكرمة ، ثم يجلسون الأمثل فالأمثل بحسب نظرهم او عرفهم . وعاداتهم في تناول الطعام قد دخلها تحسين كثير ، فتراهم لعهدنا كالغربيين يجعلون أمامهم اطباقاً لكل شخص ، ومعها كأسه ومنديله ، وسكينه وملعقته وأدوات أكله ، يتناول كل انسان الكمية التي يبغيها ، يضعها في طبقه من الصحن

الكبير الذي يقدمه الخادم او غيره ، او يكون علي متن المائدة مع سائر الصحون والاطباق ، وكان المدعوون كلهم قبل ٠٠٠ سنة يتناولون المرق والحساء وجميع السوائل من اناء واحد على نحو ما كانوا يتناولون المائعات ويشربون من اناء واحد ، وكان والدي وانا طفل يخص كل انسان من أسرته او ممن يدعوهم باناء يجعل لنا فيه حصتنا من المرق والحساء ، وبعض المدعوين يستغرب ذلك منه . وكانت سكاكينهم اصابعهم ، وملاعقهم حنناتهم ، والملاعق اذا وجدت فتكون من الخشب غالبًا ، ولا يزال لها اثر في بيوت الفلاحين المعدمين ، واذا طعموا او شربوا سمعت لهم قرقرة على صورة مستنكرة تدل على جشع ونهم وسوء أدب وتهذيب

ومن عاداتهم اذا تناول احدهم كأس ماء أن يبادره الحضور كلهم بقولهم (هنيئًا) فاذا شرب على المائدة ثلاث مرات وكان مواكلوه عشرة أشخاص فقط يضطر الى أن يجيب كل واحد بمفرده (الله يهنيك)

ومن عادات الغرب الجيدة التي سرت الينا التأني في تناول الطعام واجادة المضغ والبلع ، وقلما يسمع من احدهم صوت ماضغيه عند التهام اللقمات او عند تناول الماء او الشراب او الحساء أو المرق . ومعيب ان ينفخ احد على الشاي او اللبن الساخن او القهوة او غيرها حتى تبرد ، وعليه ألاَّ يتناول أشياء من الطبق العام الا بملعقة خاصة بالطبق نفسه ، ويدخر ملعقته وشوكته لطبقه الخاص ، فيأخذ ما يأخذ جرعة جرعة بدون ان يسمع صوت لما يكرع ويَشرُق ، ولا يمد يده زيادة عن اللزوم ولا يقف على قدميه لتناول ما بعد عنه من الاطباق والابازير والمشهيات والخبز والماء وغير ذلك مما يجعل على الخوان عادة ، وله أن يطلب ذلك بأدب وصوت خافت الى مجاوره ومواكله القريب وهذا يرى من واجبه ان يخدمه في ذلك ولو كان كبير المنزلة ، واذا تعديت حدود مقعدك لحاولت تناول شيء بعيد عنك يعد عملك احتقاراً له .

ومن ابشع ما يأتيه بعضهم التجشؤ بصوت عال ، والتنخع بما يسمع صداه ، وان يعيد المتنخع طيّ المنديل الذين التي فيه نخامته ؛ اما البصاق على الارض والتمخط باليد كيف اتفق ، وادخال الأنامل في الأنف لاخراج النخامات او ادخال اليد في الاذن لاستخراج اوساخها فمن أبشع العادات وأضرها ، فعلى ادارة الصحة منعها ومعاقبة من يأتيها من العامة . وعلى المجالس البلدية أن تعاقب في المدن والقرى كل من يخرج الى السوق بمنامته (بيجامته) فثوب النوم لا يجوز أن يظهر به في الشارع إنسان يحترم نفسه .

ومما يستنكر أن يضع الجالس يديه على المائدة ويضغط عليها بكليته وان يؤذي جاره برجليه ويديه . ويستنكرون تشديد الداعي على احد مدعوويه لتناول لون لا تميل اليه نفسه ، والزيادة من لون تخطاه وما استطابه ، واكراهه على أخذ قطعة من الحلوى يعتقد ان معدته لا تحتملها وتضطره من الغد الى مراجعة الطبيب . وكم تحلف أيمان وطلاقات في مثل هذه الاحوال حتى ينزل المدعو على ارادة الراغب ويتناول بالاكراه ما يحب له صاحب المائدة .

ومن عاداتهم في المآتم وخصوصاً في دمشق أن يجري العزاء ثلاث ليال على الميت ، فيأتي الى داره أصحابه ومعارفه ويستقبلهم اولاده واخوته وأبناء عمه وأهله ، ولا يجري حديث سوى السلام ثم تناول القهوة واللفائف ، على حين أن آل الفقيد هم في حاجة ماسة الى من يسليهم ، ويحول مجاري أفكارهم ، ويهون عليهم مصابهم ، والرجال في هذا الباب كالنساء ، الا أن النساء لا يتناولن القهوة ولا اللفائف في وسط الجمع ، وهذا من أسخف ما يبدون أيضاً كأن المعزين يقولون بلسان الحال : ها قد جئناكم وعزيناكم . هذا ولو جلسوا دقيقة واحدة ، والغالب أن الجلوس لا يتجاوز مقداره دقائق قليلة ، واذا كان المعزى به جليل القدر بين قومه ، فالمعزون به كثيرون ، والمكان معها اتسع لا يستوعب القادمين في ساعة واحدة .

هذا وصف قليل من عاداتنا وهو موضوع جدير بأن تكتب فيه الكتب والرسائل وتوضع في بيانه الخطب والمحاضرات ، ومن حسن الحظ أن عادات الافرنج التي تعبوا أحقاباً في اصلاحها حتى وصلت الى ما وصلت اليه من الكمال في الجملة أخذت تسري الينا من حيث لا نشعر ، وتدخل علينا من طرق مختلفة ، من طريق الاختلاط بالغربيين او بالرحلة والسياحة او بالهجرة ، او من طريق التعليم في المدارس ومن الاختلاف الى الفنادق والمطاعم التي ينزلها الاجانب ، وقد تسوغنا بعضها وتمثلنا بعضها ، لما حوت من اليسر والنفع . فمن عاداتهم الحسنة التأنق في تناول الطعام على الموائد ، وايراد أجمل الاحاديث عليها ، والتلطف بكل ما يؤكل بأداة ليسلم من مس الايدي ما أمكن ، هكذا يتناولون الابازير والتوابل والسكر والحلويات ، ويحتاط المتآكلون فلا يأتي أحدهم ما يؤذي جليسه وعلى العكس يخدمه ويتعهده ولا يرتكب ما يخالف به قواعد الصحة وآيين الذوق السليم .

لا جرم أن تأصيل هذه العادات يحتاج باديء بدء الى تعب حتى تتعلمها البيوت اولاً وينشأ عليها البنون والبنات ، وهي تتوقف على معدات وأدوات ، وعلى عقل يدبرها وتربية تتمثلها . ولا يحصل الهناء في العيش بغير ترتيب ونظام . ومهما صعب الأخذ بهذه المذاهب فهي محمودة العاقبة لمن يمارسها ، محببة الى نفس كل عاقل تسمو نفسه الى الكمال ، وترغب في مراعاة قواعد الصحة والذوق لتتم له شروط الرفاهية والنعيم . ومن دواعي الاغتباط ان رأينا هذه العادات تسري في القرى التي كثر فيها العائدون من المهجر او الذين ألفوا الاختلاط بالعناصر الغربية كأهل الساحل وسكان الحواضر الكبرى . وقد شهدتها في بيوت ما كنت أظنهم اقتبسوها . في امثال الافرنج : قل لي من تعاشر أقل لك من أنت . ثم قاسوا عليه معنى آخر فقالوا : قل لي ما تأكل أقل لك من أنت ، ونحن نقول أرني كيف تعاشر أقل لك من أنت .

محمد كرد علي

المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب

هو كتاب لغوي كثير الفوائد تأليف الشيخ برهان الدين ناصر ابن ابي المكارم عبد السيد بن عليّ المطرّزي صاحب (المغرب) و (الاقناع في اللغة) و (الايضاح في شرح المقامات الحريرية) و (مختصر اصطلاح المنطق) و (المصباح) في النحو .

ولد برهان الدين سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) بجرجانية خوارزم وقرأ على أبيه عبد السيد ببلده ورحل في طلب العلم فدخل بغداد سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) وتفقه على البقالي تلميذ الزمخشري فكان اماماً في الفقه والعربية واللغة وتوفي سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) .

وقفت على نسخة منه نفيسة في احدى المكاتب نسخها بقلمه بخط فارسي جميل بالحبرين الاسود والاحمر حسام النجاري سنة ٩٩٧ هـ (١٥٧١ م) وقابلها وصححها من نسخة مضبوطة كتبت سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) . وهي من مخطوطات الكونت رشيد الدحداح اللبناني نزيل باريس وناشر بعض الكتب فيها

وهي بقطع الثمن الكبير في ٤٢٨ صفحة وعلى هوامشها تعاليق كثيرة لغوية ذات فوائد جديرة بالمطالعة ، وفي أولها وآخرها بحوث ذات شأن وللمغرب ذيل بعنوان (رسالة في النحو) من صفحة ٤٠٠ — الى آخر الكتاب وفيها ضوابط كثيرة في الصرف والنحو واللغة ، والالفاظ مرتبة على حروف الهجاء بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها .

نخبة من الكتاب

في صدر الكتاب قبل المقدمة بحث في (الزنديق) ننقله بحروفه وهو من (مجموعة شهاب الدين افندي المتقاعد في المصر) جاء فيه ما نصه :

زنديق

ليس من كلام العرب انما تقول العرب رجل زندق وزندقي أي شديد البخل ، واذا أرادوا ما تقول له العامة (ملحد) قالوا (دَهري) واذا ارادوا السن قالوا (دُهري) بالضم للفرق بينهما ، والهاء في زنادقة وفرازنة عوض عن الياء عند سيبويه

قال ابو حاتم : هو فارسي معرّب (زنده كرد) اي عمل الحياة لأنه يقول ببقاء الدهر ودوامه

وقال الرياشي : هو مأخوذ من قولهم (رجل زندقي) أي نظار في الامور

وقال غيره : معرّب (زنده) اي الحياة — وقيل : هو معرب . أي متدين بكتاب يقال لهُ : (زند) ادعى المجوس انه كتاب زرادشت ثم استعمل في العرف لمبطن الكفر

وقال الجوهري : الزنادقة الثنوية وتزندق الرجل والاسم الزندقة

وفي القاموس : هو معرب زندين — وقيل : هو وهم والصواب معرّب (زنده)

وفي المغرب : هو من لا يؤمن بالوحدانية والآخرة

وعن ثعلب : هو الملحد الدهري — وعن ابن دريد : هو القائل بدوام الدهر معرب (زنده) كتاب لمزدك — وخطأ بعضهم من قال : انه معرب زندي لأن الياء لمطلق النسبة والهاء لنسبة مخصوصة مثل بنفجه وبنفشه وليس بشيء ، ولعبد الوهاب البغدادي :

بغداد دار لاهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيقِ
اصبحتُ فيها مضاعًا بين اظهرهم ... كأنني مصحف في بيت زنديقِ

— وفي المثل : (اظرف من زنديق) انتهت

وهذه نخبة من الألفاظ المشروحة في الكتاب :

الأُتون

مقصور مخفف على (فَعول) موقد النار ، ويقال له بالفارسية (كُلْخن) وهو للحمّام ويستعار لما يطبخ فيه الآجر ، ويقال لهُ بالفارسية (تونْتق) و (راشون)[1] والجمع (أتاتين) بتاءين باجماع العرب عن الفراء

الأُزَج

بيت يبنى طولاً يقال لهُ بالفارسية (أوستان) و (سَغْ) و (كَمرا)

الإزار

ضرب من اجود التمر . قولهم (اتزر) عامي والصواب (إيتزر) افتعل من الازار اصلهُ (ائتزر) بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء افتعل . و (تأزير الحائط) أن يصلح أسفله فيجعل له ذلك كالإزار ومنهُ قوله: أزّر حيطان الدار الموقوفة مازورات

إطار

اطار الشفة ملتقى جلدتها ولحمتها مستعار من اطار المنخل او الدفّ وذكر الازهري: كان عمر بن عبد العزيز (رح) سئل عن السنة في قص الشارب — فقال : أن تقصه حتى يبدو الإطار — واما (اللطار) كما وقع في بعض نسخ احكام القرآن فتحريف ظاهر .

أوى

وابواء خشب الفحم ان تلقي عليه التراب وتستره به مأخوذ منه — وعليه قوله: يحسب بثمن الحطب وأجر الابواء واجر الموقد واجر الاتون

البيوتات

جمع بيوت جمع بيت وتختص بالاشراف

(١) في الأصل (داشوزد) وصحح في الحاشية بالراء

الخجالة

الخجالة من خطأ العامة والصواب الخجلة (او) الخجل

الزطّ

الزط جيل من الهند اليهم تنسب الثياب الزطية [1]

زمّله

في ثيابه ليعرق اي لفهُ

الشمراخ

هو في عدة السنة الشمسية ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وربع اليوم الا جزءاً من ثلاث مائة جزء من يوم

وفي القمرية ثلاث مائة واربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدسه وفضل ماينهما عشرة أيام وثلث وربع عشر يوم بالتقريب على رأي بطلميوس [2] .

ضبّب

اسنانه بالفضة اذا شدها بها

الطحانة

وفي كتب الشروط الطحانة ما تسيره الدابة والطاحونة ما يديرهُ الماء . ودلوها ما يجعل فيه الحبّ

(١) الزط من أسماء النَوَر أو النجَر وهم من قبيلة (جتّ) الهندية كانت كثيرة الثورات فطردت وتفرقت إلى بلاد فارس أولاً فسموها (الزطّ) ولها أسماء كثيرة في البلدان التي احتلتها في آسيا وافريقية واوروبا واميركا .
(٢) هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو الصواب .

العباية

كساء واسع مخطط والعباءة لغة فيها والجمع عباء

الفالج

في التهذيب : الفالج نصف الكر الكبير • و (الفلج) المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) • ومنه حديث عمر (رض) انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله اي فرضاها وقسماها وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجه كان طعاماً

وقيل : (الفلج) القسمة عن شمر • يقال : فلجت المال بينهم أي قسمته • وفلجت الشيء فلجين أي شققته نصفين •

ومنه (الفالج) في مصدر المفلوج لأنه ذهاب النصف (عن أبي دريد) • و (الافلج) المتباعد ما بين الرجلين • واما (المفلج) الاسنان فلا يقال الا أفلج الاسنان (ابن مسعود) • و (استفلحي) بامرك أي فوزي بامرك واستبدي به من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب • ومدار التركيب على الشق والقطع • ومنه الحديث (بالحديد يفلح) • و (الافلح) المشقوق الشفة السفلى وبه سمي ابو القعيس او اخو ابي القعيس عم عائشة (رض) من الرضاعة ، وفي غير الحديث استفلجي بالجيم من الفلج وهو الظفر .

فلع

تفلّع رأسه اي تشقق وأما تفلعت اليد اذا تشققت فهو بالقاف (عن النوري)

القثاء

معروف • و (القثد) الخيار (عن ابن الاعرابي) وتفسير القثاء بالخيار تسامح

القدح

(عن الليث): أكال يقع في الشجر والاسنان ·

و (القادحة) الدودة التي تأكل الشجر والسن و (عن الغوري والجوهري): القادح سواد يظهر في الاسنان وانشد بيت جميل:

رمى الله في عينيْ بثينة بالقذى وفي الغرّ من انيابها بالقوادح
رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضرْ ظواهر جلدي وهو في القلب جارحي

قمع

السرّة ما يلتزق بها حول علاقتها، ومنه قمع الباذنجان وأصله من القمع وهو ما يُصبّ فيه الدهن، ومنه: ويل لاقماع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون

القنب

قال الكرخي في القنب: انه لحاء خشب ويجبّ في حبه وهو (الشهدانج) — قال الدينوري في (كتاب النبات): القنب فارسي وقد جرى في كلام العرب وهو نبات تدق سوقه حتى ينتثر حثاهُ (أي تبنه) ويخلص لحاؤهُ · ويقال حبال القنب وهو الذي يتخذ من الكتان واسم بزره بالفارسية (زغبرة)

قنعَ

فم مقنع الاضراس أي يمالها الى داخل

الماذيانات

هي جمع الماذيان وهو أصغر من النهر وأعظم من الجدول فارسي معرّب · وقيل ما يجتمع فيه ماء السيل ثم تسقى منه الارض ·

مشت

المرأة مشأ كثر أولادها · وناقة ماشية كثيرة الأولاد · ومنه الماشية والمواشي على التفاؤل وهي الابل والبقر والغنم التي تكون للنسل والقنية

نمص

النمص نتف الشعر ومنه (المنماص) المنقاش

نام

إنامة الزراجين دفنها وتغطيتها بالتراب مجاز

الوغم

ما بقي من الطعام في الفم

(الوكادة) بمعنى التوكيد غير ثبت (وعلى الهامش) قوله : لم يكن منك الوكادة أي التأكيد · ولا يوجد في كتب اللغة ولا في استعمالات العرب · الاّ أن المصنف ثقة في اللغة يكفي استعماله ، فهو مصدر من وكد وكده أي قصد قصده ، استعمله في التأكيد لما بينهما من (التلبس) (من شرح الكشاف لسعد الدين) ·

هذه أمثلة قليلة من (كتاب المغرب) تظهر شيئاً من أسلوبه وأما كتاب الذيل في آخره فهو (رسالة في النحو) ذات فوائد في تأنيث الأسماء وجمعها واختصاصها تشتمل على فوائد كثيرة ونوادر وشوارد في الاشتقاق والاصول

وهذا الكتاب أشبه بكتاب (المعرّب) للشيخ أبي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وقد وقعت لي نسخة كاملة منه بقطع النصف منقولة عن نسخ اقدمها نسخة بخط محمد بن صدقة بن علي بن صدقة سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وعليها خطوط العلماء الذين نقلوها وقرأوها على المؤلف ·

ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات ، ولا سيما في خزائن مجامعنا العلمية لتساعد على الاوضاع الحديثة وتكشف القناع عن أسرار الاستعمالات قبلاً ، ومن أواخرها كتابا (غلطات العوام) و (التعريب) لابن كمال باشا وفي خزانتي منهما نسختان مضبوطتان ، وهناك مؤلفات كثيرة في هذا الباب لا محل الآن لتعدادها ووصفها .

ولقد كتب كثير من علمائنا المتأخرين والمعاصرين بحوثاً مفيدة في الوضع والتعريب في الجرائد والمجلات والكتب ، ولا سيما المجامع العلمية في الشام ومصر ومجلاتها واختلفت الآراء في كثير منها فلا ينتشر الا ما كان موافقاً لذوق اللغة والعصر وقريباً للافهام ووافياً بالغرض وبقي الآخر مهملاً . واللغات تحتاج الى التوسع بما يوافق اساليبها ولا يضر باصولها من الأوضاع أو التعريب عن اللغات كما فعل أسلافنا في العصور الأولى وما بعدها والله الموفق الى سواء السبيل بمنه وكرمه .

المعلوف

عائشة الباعونية

تمهيد

حفزني الى نشر ترجمة عائشة الباعونية الدمشقية في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية حوافز عدّة أهمها هذه النهضة النسائية القائمة على ضفاف بردى والتي نرجو ان تنجب لنا أمثال عائشة وسميتها ومواطنتيها عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني ابن المنصور الدمشقية ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية ، بل مثل امّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وزوج النبي الكريم التي علمتنا من أمور ديننا ما لم نعلم ، وروت لنا ما يربي على الألفين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، واشتركت في الوقائع والكوائن وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، راجحة العقل ، سريعة البديهة ، بل كان بيانها السحر الحلال .

ومن تلك الحوافز ان يعلم فتياتنا النواهض ان الله لا يضيع أجر عامل ، وان التاريخ يحفظ للمرأة حقها كما يحفظه لشقيقها الرجل ، والنساء كما قال الرسول الأعظم شقائق الرجال وان العلماء يقدرون المرأة الفضلى حق قدرها ، ويحلونها المحل الأرفع من التجلة والحرمة الوافرة في حياتها ، كما أنهم يترجمون لها ويوفونها قسطها من الاجلال والاكبار بعد مماتها .

ومنها أن يتعلمن الجرأة وركوب مراكب الاغتراب في طلب العلم ونيل الأماني من المترجم لها ، التي حملت الى القاهرة وهي في ميعة الشباب فنالت الحظ الأوفر من العلوم ، ثم دخلتها وولدها لقضاء مأرب له وهي كهلة ، وقارضت العلماء الشعر فقرّظوها وأثنوا عليها بما هي أهله .

وان يقلدنها بذلك الطموح الذي حملها على الذهاب الى حلب للمثول بين

يدي السلطان الغوري أحرص الملوك المصريين على كرامة امته واشدهم اندفاعاً في الدفاع عن بلاده في السنة التي جاست بها جيوش العثمانيين خلال ديار الشام ، ووطئت سنابك خيولهم ارضها في مرج دابق ، وقضت على سلطانه الواسع العريض فيها وفي مصر والحجاز مما نستدل معه على ان الباعونية كانت لا تبالي بالحوادث والكوارث وهو ما نتمناه لفتياتنا اليوم .

ومنها أن نعلم ان المترجم لها قد أنشأت المولد النبوي الشريف سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م ، وانها نظمت بديعيتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م وان نقرأ كلامها العذب الذي اختتمتها به .

ومنها ان الذين ترجموا لها من المتأخرين مثل البستانيين[1] وزينب بنت علي فواز العاملية[2] وادوار فنديك[3] وجرجي زيدان[4] ومحمد كرد علي[5] ويوسف اليان سركيس[6] كانوا عيالاً على من تقدمهم من المترجمين كما كان مثلهم محمد ذهني[7] وشمس الدين سامي[8] الأعجميين اللذين ترجما لها ولم يلموا بجميع أحوالها .

لذلك كله أردت أن انقل من كناشي ما كنت دونته عن بديعية الباعونية واردفها بترجمة حياتها عن أقدم مترجميها فأقول :

نسخة مخطوطة من البديعية وشرحها . — كنتُ اطلعت في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس على نسخة مخطوطة من بديعية عائشة الباعونية وشرحها نقلت

(١) دائرة المعارف جزء ١١ صفحة ٤٦٩

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٢٩٣

(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٣٦١ و ٣٩٣

(٤) تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ٢٧٤

(٥) خطط الشام ج ٤ ص ٦٠

(٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٥١٩

(٧) مشاهير النساء « أي شهيرات النساء » بالتركية ج ٢ ص ١٠

(٨) قاموس الأعلام ج ٤ ص ٣٠٥٦

عن نسخة المؤلفة التي نظمتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م ، وقد نقلها ناسخها في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م وهي السنة التي توفاها الله فيها وذيلها بما كانت كتبته المؤلفة بآخرها اذ قالت :

كلمة المؤلفة الختامية . — « نجزت كتابتها بمنة الله تعالى على يدي أضعف اماء الله تعالى وأحوجهن الى رحمته ، من أهّلها الله تعالى لمدح خير بريته وأشرف اهل الاصطفاء لرسالته ، عبده الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم وعظم بهذه القصيدة المذكورة والمنظومة التي أرجو من كرم الله تعالى أن تكون في الملإ الأعلى مشكورة خادمة المقام المحمدي المصطفوي سراً وعلناً ، والمغمورة منه بالحسنى وزيادة آلاءً ومنناً ، عائشة العائشة باتصال مدده المترويّة على يده بنت خادم شريعته يوسف ابن خادم شريعته أحمد بن ناصر الباعوني الشافعي لطف الله بها وبولدها وبالمسلمين والمسئول من الله تعالى أن يجدي عوائد مبراته واحسانه ولطائفه وحنانه أبداً أبداً باقياً سرمداً . »

وكتب ناسخها بعد ذلك :

تعليق الناسخ . — علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده أفقر عباد الله وأحوجهم الى مغفرته محمد بن احمد بن يحيى الانطاكيّ ستر الله عيوبهم وغفر ذنوبهم . »

تقريظ أحد متملكيها . — وكتب أحد من تملكوا تلك النسخة يقول للمحرر السيد أبي بكر :

أتت ببديعٍ لو رآه ابن حجةٍ لأذعن انّ الفضل حازته عائشهْ
فقد عشتِ في روض الجنان عزيزة كما كنت في روض البلاغة عائشهْ

كتب المترجم لها المطبوعة . — وبالرغم من شرح بديعيتها المسمى الفتح المبين في مدح الأمين طبع أولاً في بولاق سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م وبهامشه رسائل

بديع الزمان الهمذاني ، وثانياً في مصر بهامش خزانة الأدب لابن حجة الحموي سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م فاننا عرضنا له بهذه الكلمات التي استفدنا منها معرفة تاريخ نظم البديعية وشرحها .

وعلى ذكر البديعية نقول أن مؤلفها في « مولد النبي » عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم قد طبع أيضاً في دمشق سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م

مؤلفاتها المخطوطة الموجودة الآن . ولم يبق من مؤلفاتها الباقية الى الآن بدون طبع سوى ديوانها المسمى « فيض الفضل » منه نسختان احداهما كتبت سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م ونسخة ثالثة كتبت أيضاً في السنة المذكورة في الخزانة التيمورية ، وفي تلك الخزانة الغنية أيضاً نسختان مخطوطتان من شرحها على بديعيتها الأولى كتبت سنة ١٠٢٦ هـ ١٦١٧ م ضمن مجموعة ، والثانية حديثة كتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م

كتاب بخط المؤلفة . — ولعلّ من أجمل ما تحويه الخزانة التيمورية هو المولد النبويّ الذي أنشأته وأسمته « المورد الأهنى في المولد الأسنى » والنسخة بخط يدها كتبتها سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م وقد ذكر لي المرحوم صاحبها بكتابه أن خطها في غاية الحسن وانها صارت تلحق بآخر النسخة تواريخ مواليد أولادها ، وكانت متزوّجة من أحد الشرفاء لأنها كلما ذكرت ميلاد أحدهم قالت ولد لي السيد الشريف فلان في تاريخ كذا

ترجمتها . — أما ترجمتها فلخصناها عن كتاب الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥١ م وهو أقدم من ترجم لها قال[1] :

« عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الشيخة الأديبة العالمة العاملة امّ

(١) نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة .

عبد الوهاب الصوفية الدمشقية بنت الباعوني احدى أفراد الدهر ونوادر الزمان فضلاً وعلماً وآداباً وشعراً وديانةً وصيانةً .

تنسكت على يد الشيخ السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي[1] ثم على خليفة المحيوي يحيى الأرموي ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً وأجيزت بالافتاء والتدريس ، وألفت عدة كتب منها الفتح الخفي[2] يشتمل على كلمات لدنية ومعارف سنية ، وكتاب الملامح الشريفة والآثار المنيفة ، يشتمل على انشادات صوفية ومعارف ذوقية ، وكتاب در الغائص في بحر المعجزات والخصائص ، وهو قصيدة رائية . وكتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية ، وهي أرجوزة اختصرت فيها منازل السائرين للهروي ، وأرجوزة أخرى لخصت فيها القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي وبديعية وشرحها وغير ذلك ومن كلامها الخ . »

وبعد أن نقل عبارة لها وصفت فيها نشأتها الصوفية قال : « ولما دخلت القاهرة ندبت لقضاء مأرب لها يتعلق بولد لها كان في صحبتها المقر ابو الثناء محمود بن أجا الحلبي صاحب دواوين الانشاء بالديار المصرية فأكرمها وولدها وأنزلها في حريمه وكانت قد مدحته بقصيدة أولها :

روى البحر أسباب[3] العطا عن نداكمُ ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم

فعرضها على شيخ الأدباء السيد الشريف عبد الرحيم العباسي القاهري[4] فأعجب بها فبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه فأجابت عنها بقصيدة مطلعها :

وافت تترجم عن حبر هو البحرُ بديعة زانها مع حسنها الخفرُ

ثم أورد لها قصيدة لامية مطلعها

(١) في الدر المنثور في طبقات الخدور ص٢٩٣ الخوارزمي

(٢) في الأصل الحنفي وما نخاله إلا من خطأ الناسخ (٣) في شذرات الذهب المخطوط أصباب

(٤) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحمد العبادي العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ١٥٥٦م وترجمته في الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية المطبوع بهامش وفيات الأعيان طبع بولاق ج ١ ص٦٦٥ وكذلك في ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للخفاجي ص ٢٦١

قل لمن بالقريض يزّ الفحولا وانثنى عن قصورهم مستطيلا

وقصيدة أخرى مطلعها :

ليهنك مجد طارف وتليد يخصك آباء به وجدود

وغير ذلك الى أن قال :

« وذكر ابن الحنبليّ : أن صاحبة الترجمة دخلت حلب في سنة ٩٢٢ والسلطان الغوريّ بها لمصلحةٍ لها كانت عنده فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيوفيّ وتلميذه الشمس السفيريّ وغيرهما، ثم عادت الى دمشق وتوفيت بها في هذه السنة ا هـ .»

وقد ترجم لها أيضاً عبد الحي بن احمد بن محمد العكري بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م في كتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » وذلك بنقله ترجمة الغزّي المتقدمة لها .

وتعرّض صاحب شذرات الذهب لذكرها في ترجمة محمود بن أجا صاحب ديوان الانشاء بمصر المتوفى سنة ٩٢٥ هـ ١٥١٩ م[1] فذكر نزولها بداره بالقاهرة ومدحها له وما كان من اكرامه لها .

مؤلفاتها الأُخرى . — ومما يؤسف له أن تفقد سائر مؤلفاتها التي أوردها الغزي في ترجمتها .

بلاغة شعرها . — ولها بيتان من الشعر قالتها في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدما كثيراً مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما :

بنى سلطاننا برقوق جسراً بأمرٍ والأنام له مطيعه

مجازٌ في الحقيقة للبرايا وأمرٌ بالمرور على الشريعه

ولها في الغزل باع طويل وخيال واسع ومن غزلها :

كأنما الخال تحت القرط في عنقٍ بدا لنا من محيا جلّ من خلقا

(١) كان قاضي قضاة الحنفية بحلب ثم ولي كتابة السر مدة ست عشرة سنة وكان آخرهم في الديار المصرية وكان نافذ الكلمة وافر الحرمة حشماً فاضلاً أصيلاً عريقاً .

نجم غـدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

اما بديعيتها التي تقدم الكلام عليها فمطلعها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

قرية باعون . — باعون التي تنتسب اليها عائشة — على ما حققهـا بطرس البستاني مؤلف دائرة المعارف المتوفى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م[1] — هي قرية صغيرة من قرى عجلون عدد بيوتها في زمن المؤلف كان ١٣ بيتاً فقط .

قلنا وهي من أعمال حكومة شرق الأردن اليوم وقد نبغ فيها جمال الدين الباعوني الذي قرر في أواخر سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٥ م في قضاء الشافعية بدمشق وشمس الدين محمد بن احمد بن محمد بن احمد الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ ١٤٦٦ م وابن اخيه محمد بن يوسف بن احمد المتوفى سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٤ م .

والراجح أن هذا الأخير هو أخو عائشة المترجم لها كما أن شمس الدين عمها

ونبغ بعد هؤلاء القاضي صلاح الدين زين العابدين الذي أقام بصالحية دمشق وولي نيابتها مدة طويلة ثم توفي سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م رحمهم الله رحمة واسعة .

عبد الله مخلص

---

(١) دائرة المعارف ج ٥ ص ١١٤

مخطوطات ومطبوعات

سيرة احمد بن طولون

تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها محمد كرد علي

ونشرتها المكتبة العربية في دمشق وطبعتها في مطبعة الترقي سنة ١٣٥٨ هـ في ٤٠٠ ص

ليس لدينا عن احمد ابن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام مادة ينتفع بها في تصور حقائقه وحقائق عصره ، وغاية ما أثر له شذرات مفرقة في بطون التاريخ ومنها رسالة نشرها الاستاذ ڤولرس لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية اقتطعها من كتاب المغرب في حلى الغرب . ومن جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي من أهل القرن الرابع ألفه على ما يظهر حوالى نحو نصف قرن من وفاة ابن طولون ، وانتفع بما كتبه ابن الداية وغيره مما لم يصل إلينا برمته ، وقد أشبع البلوي الكلام في تاريخه وجوّد ، وربما فاق ابن الداية في التاريخ لابن طولون ، وان لم يخرج عن أسلوب المؤرخين في عصره من ايراد الحوادث والبعد عن التفلسف فيها وترك التاري يعمل فكره في مضامينها . وقد صان البلوي قلمه عن نقد ابن طولون واشار اشارات خفيفة الى مساوئه ، أما المحاسن فقد أبلغ في بسطها واتى باكثرها في قصص تعشق النفس تلاوتها واستعادتها لجمعها بين الكتابة العالية والفوائد الادارية والسياسية والتاريخية المهمة ، ومنها المبتكر الذي يأخذ بمجامع النفس .

وقد وقفنا في هذا السفر على أمور تفرد بها ابن طولون في السياسة والادارة ومنها عنايته بوضع الأضابير والجزازات *Les dossiers et les fiches* فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون كل ما يقوله وما يقال في حضرته ثم يخلو بكاتبه ويصلح

ما كتب ليحفظ مع الكلام الذي التي على مسامعه ، ومنها أنه كان أول من استأثر بتأليف جيش محلي في الدولة العباسية وبذلك استطاع أن يعمل حراً في مصر . ومنها انه قعد للمظالم مرتين في الاسبوع على ما كان الخلفاء في بغداد ودمشق ينظر في المسائل الادارية التي كانت خارجة عن نطاق القضاء ، ومنها أنه أول من أسس ديوان الانشاء في مصر ، وكان هو نفسه منشئاً وخطيباً بالعربية وشاعراً بلغته التركية . ومنها انه يعنى عناية فائقة بأخذ الأخبار وقد وضع دواوين الجواسيس ينفق عليها نفقات طائلة لذلك كان يرهبه أصحاب الخلافة في بغداد وصاحب الروم في القسطنطينية ولو عاش لنزع يده من خلفاء بغداد واستوى ملكاً مستقلاً من كل وجه لأن المصانع التي أسسها والأوضاع التي وضعها في تأسيس مملكته ودار ملكه تشعر بذلك الى حد بعيد .

والى القارئ نموذجاً من أسلوب المؤلف وكتابته وصورة صغيرة من ادارة ابن طولون ، نجتزئ بها ونحيل من يهمه موضوعه أن يرجع إليه ففيه فائدة كثيرة وتسلية عظيمة ، قال البلوي ومن ذلك ماحدث به سعد الفرغاني :

ركب أحمد بن طولون يوماً الى الجيزة ، وكان رسمه اذا قرب من الجسر أخلي له ، فلما بلغ اليه أمر الناس بأن يسرعوا المجيء عليه وأعجلوا ، فلم يبق عليه الا شيخ ضعيف على حمار هزيل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة ، فلما أعجل الناس وهب ليعجل معهم لم يكن له نهضة ولا لحماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر اليه والى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنعهم من ازعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسائله في طريقك معه الي عن خبره ، وسبب دخوله الى مصر ؛ فان ذكر ظلامته فاسأله ممن يتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليه حتى عبر احمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ، وقد رددته معي ، فلخوفه انقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ،

على قدر سير حماره ، وسألته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ماترك لي وكيل ابن دشومة بذات[1] الساحل شيئاً أرجع اليه ، وكنت مستوراً فبتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجداً موسراً . فدخلت مستغيثاً الى الأمير أيده الله ، وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب[2] في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكنت بالشيخ ، ودخلت اليه في مضربه ، فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر اليه ابن دشومة من مصر الى الجيزة ، ولم يصبر الى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر فقال له : ويحك إن الضياع تشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا باصلاحهم ، طلعت الثمرة ونمت وزكت ، وان لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها ، فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية الى هاهنا ، ولا تبرحا حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحبه وتعرفني ، فاني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ، ووجه بمن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الغبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالعهم برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ الى ابن دشومة خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، ويكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، الى ان ينصف فيعود الى الفسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل اليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ

(١) يفهم مما ذكره ابن مماتي ان ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي إلى شمال الفسطاط قرية من أم دينار (قاله الأستاذ فيت في تعليقاته على خطط المقريزي) .

(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب .

له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف ظُلم ، وما عملت في امره ، فكان ابن دشومة بعيد عليه أمره ، وهو يُرْعَد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره ، فلما فرغ من شرح ذلك قال له : ياشيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم ايها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة ، فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم ايها الأمير احسن الله اليك كما احسنت إليّ ، فقال : ما شاء فعل بك ، ذاك عنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟[1] قال : خمسون ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا . قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما احب ويعطى تقوية في كل سنة ولا تؤخذ منه التقوية ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا ان حط العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحططتها ، فدعا له ، فقال : ما فعله الأمير أيده الله في امري فهو اكثر من الحطيطة ، وجميعه صدقة عليّ وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير عليك ، وضحك احمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر ان تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فانه لا يؤثره الا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل ، فانصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تمّ له من إزالة الظلم والمسامحة في العمارة ، والإفضال عليه ، وهبة الدنانير ، وممازحة احمد بن طولون في الحمار ، فرأيته في انصرافه يبكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون بنية خالصة ، وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومحله ، ومنزلة وسطوة .

محمد كرد علي

(١) العمارة بالكسر : ما يعمر به المكان ، والعمارة ، بالضم : أجرها .

كتاب البديع لعبد الله بن المعتز

هذا كتاب قدّم عبد الله بن المعتز في ابوابه ما وجده في القرآن واللغة والأحاديث وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم واشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون : البديع ، وعنده ان ابواب البديع خمسة : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي ؛ وقد ذكر بعد فروغه من هذه الأبواب طوائف من محاسن الكلام كالالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه والابتداآت.

أشار عبد الله بن المعتز في اثناء الكتاب الى انه ألفه سنة اربع وسبعين ومائتين ولم يسبقه إليه احد ؛ وغرضه فيه تعريف الناس ان بشاراً ومسلماً وابا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم من المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع ، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم ؛ ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف بالبديع حتى غلب عليه واكثر منه فأحسن في بعض واساء في بعض .

ليس في كتاب البديع شيء خطير من النقد وانما خصائص هذا الكتاب انه تضمن امثالاً من البديع مأخوذة عن بعض شعراء المتقدمين فيه كامرئ القيس والنابغة وزهير وعن كتاب الله عزّ وجل وعن الأحاديث وكلام الصحابة وعن بعض شعراء بني أمية كالأخطل وجرير والفرزدق وعن بعض شعراء بني العباس مثل بشار وابي نواس والطائي والبحتري وعن بعض الخلفاء كالمنصور والرشيد وغيرهما .

فاذا نظر القارئ الى هذه الأمثال وأعمل فيها يسيراً من الروية استطاع ان يدرك الأطوار التي تقلب فيها البديع من ايام الجاهلية الى ايام عبد الله بن المعتز ، واذا كتب لرجال التأريخ الأدبي في هذا العصر ربط هذه الأطوار بعضها ببعض ؛

حتى تتصل أواخرها بأوائلها وقياس بعضها الى بعض؛ تيسر لنا ان نعرف كيف انتقل الخيال العربي من صورة الى صورة؛ وكيف امتد من افق الى افق؛ على قدر ما كان فيه من الآثار؛ كآثار البداوة والحضارة وغيرهما؛ وحينئذٍ يتكامل تاريخنا الأدبي فنشهد فيه تسلسل الخيال والحس والشعور في رجال العبقرية على صورة مطردة ٠

***

اعتنى بنشر كتاب البديع والتعليق عليه السيد أغناطيوس كراتشقوفيسكي عضو اكاديمية العلوم في لينينغراد والمجمع العلمي العربي في دمشق وطبع الكتاب في انكلترا سنة ١٩٣٥ وهو يشتمل على مقدمة باللغة الانكليزية فيها اربعة فصول بحث في بعضها عن تأريخ نشر الكتاب وعن محتوياته وعن المصادر وهي لا تخلو من آراء أدبية قد ينفع الاطلاع عليها ٠

شفيق جبري

الفنون الصناعية

خمسة أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

هي سلسلة من الكتب الصناعية المدرسية ألفها المهندس الصناعي السيد عاطف أديب المالح احد اساتذة دار الصناعة بدمشق ، وقد صدر منها الى الآن كتاب في فن النجارة ، وآخر في الآلات اليدوية ، وثالث في علم الحيل اي الميكانيك ورابع في الآلات التي تصنع بها الآلات وهو جزءان ، وذكر المؤلف انه سيطبع عما قريب كتاباً في الحدادة اليدوية والآلية ، وثانياً في سكب المعادن وثالثاً في صناعة السيارات ·

والمؤلف احد الشبان الذين درسوا في فرنسا وعادوا للتدريس في مدارس سورية ، وعدد هؤلاء الشبان كبير ؛ ولكن معظمهم ويا للأسف لم يجشموا أنفسهم ، بعد عودتهم الى وطنهم ، متاعب التأليف بالعربية ، فأشبهوا بذلك الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في اسطمبول ايام الدولة العثمانية ، والذين انما كان قصارى معظمهم الحصول على وظائف حكومية ، حتى اذا حصلوا عليها ، ناموا مطمئنين هادئين ، دون ان تستفيد اللغة الضادية منهم أي فائدة ·

وليس السيد عاطف المالح من هذا النفر ، فهو قد جد وسعى ، وتحرى المصطلحات الصناعية على قدر طاقته ، ورسم اشكالاً عديدة ضمنها تضاعيف كتبه وحفر رواشمها بيديه ، وطبعها طبعاً متقناً ، فسدت هذه الكتب فراغاً في الناحية الصناعية المدرسية ·

ولا شك ان الكتب المذكورة لم تخل من أغلاط لغوية لا يتسع المجال للتنبيه اليها ، ولكن هذه الأغلاط لا تقدح بمؤلفات فنية صناعية قلما يتقن المرء مصطلحاتها الا بشق الأنفس ، وأمام المؤلف متسع من الوقت لاتقان لغة كتبه في المستقبل ، مادام هوى التأليف بالعربية دافعاً له على العمل ·

ومقدمة هذه السلسلة من الكتب المدرسية الثمينة مكتوبة بقلم المهندس الكهربائي السيد اميل غنيوبه مفتش التعليم الفني في سورية ·

مصطفى الشهابي

مؤرخ العراق ابن الفوطي

ظفر الاستاذ السيد محمد رضا الشبيبي بدار الكتب الظاهرية بدمشق بنسخة نادرة من الجزء الرابع من أجزاء المعجم الذي الفه مؤرخ العراق ابن الفوطي وسماه : مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ، ووضع كتاباً يشتمل على تأريخ العراق في عصر ابن الفوطي لخص عنه محاضرة وجيزة حاضر بها سنة ١٩٤٠ جمهوراً من أهل العلم والادب في بغداد ونشرت محاضرته في السنة نفسها .

تكلم في محاضرته على كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الفوطي الشيباني البغدادي الذي ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، أي بعد مضي سنتين على مبايعة المستعصم آخر خلفائها ، وتوفى سنة ٧٢٣ واستند في كلامه عليه الى تأريخه نفسه اي الى الجزء الرابع من مجمع الآداب .

شهد ابن الفوطي غارة المغول على بغداد فقد حاصرها التتار ثم فتحوها فأسروا خلقاً في جملتهم ابن الفوطي فتيسر له أن يشاهد أعظم ملوكهم واقطاب دولتهم وأن يزور اشهر حواضرهم ويتصل بحكامها وأعيانها وعلمائها ويدرس حالة عصره حتى استطاع أن يصل الى مقاصر الأميرات المغوليات .

إلا أن أسره لم يطل فقد سعى في فكه الفيلسوف نصير الدين الطوسي وصرفه الى دراسة الرياضيات والفلسفة وعهد اليه ان يشرف على خزانة كتب دار الرصد في مراغة حاضرة المغول فسلخ فيها ثلاث عشرة سنة ملازماً في خلالها لنصير الدين ولغيره من كبار العلماء والاساتيذ ، وقد أتقن اللغة الفارسية وربما ألمّ باللغة المغولية .

وفي سنة ٦٧٨ تمكن بفضل علاء الدين الجويني من الرجوع الى بغداد وعلاء الدين هذا أشهر من حكم العراق أيام هولاكو وابنه اباقا ، ولم يكتف باعادته الى مدينة السلام ؛ وانما عهد اليه ان يشرف على خزانة كتب المستنصرية فشغلته

فيها قراءة الفقه والحديث ثم تخلى عن عمله في المستنصرية سنة ٧٠٤ فرحل الى تبريز وأقام فيها ست سنين ثم عاد الى بغداد ثم رجع الى تبريز وقد كثر تردده إليها ·

لابن الفوطي آثار كثيرة ولكن لم يظهر من هذه الآثار الا الحوادث الجامعة ؛ والجزء الرابع من معجمه في التراجم ويرى الاستاذ الشبيبي ان ابن الفوطي انفرد باسلوبه في النقد الصريح · فكتبه من أصح المستندات العربية التي يعول عليها في تأريخ العصرين الاول والثاني من عصور المغول في بغداد ·

شفيق جبري

الطرفة في مخطوطات دير الشرفة

تأليف

الخور فسقفوس اسحق ارملة السرياني

جونية – مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين ١٩٣٦ (صفحاته ٥٢٦)

هذا الكتاب فهرست مفصل لمخطوطات دير الشرفة الذي انشأه في كسروان عام ١٧٨٦ بطريرك السريان الانطاكي ميخائيل الثالث ، وجمع في خزانته ما كان قد اشتراه في حياته او نسخه ، وجعل تلك الخزانة الغنية بمخطوطاتها السريانية تؤلف الجزء الاكبر من كتب الدير ، فقد شغل وضعها ٢٨٥ صفحة من الطرفة ، والمخطوطات العربية يتألف وضعها من ١٩٧ صفحة ، وجل كتب الدير في الصلوات والأبحاث الدينية ؛ على ان المخطوطات السريانية تشتمل من كتب العلم والأدب على ٢٧ صفحة ، والمخطوطات العلمية العربية تشتمل على ٦٤ صفحة فهي أسعد حظاً من السريانية ·

لقد انتشرت الثقافة العربية في الأندلس انتشاراً هزم اللغة اللاتينية ولغة البلاد الاصلية مما جأر له بالشكوى كاهن قرطبة ، وحمله أخيراً مع القسيسين على نقل كتب الدين الى العربية لينفعها ابناء الملة ، وهو ما حدث في بلاد العرب

كالعراق والشام ومصر وغيرها؛ اما تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام، وزمن نقل الأناجيل وكتب الصلوات والطقوس، وزمن اشتغال السريان بتأليف كتب الصرف والنحو، فيستدل بكتاب الطرفة عليه، وفيه كثير من الطرائف التاريخية، منها ما يفيد العرب معرفته كالعلم بالعصر الذي تم فيه اسلام بني تغلب، فقد جاء في الصحيفة ٣٢٦ من كتاب المرشد للشيخ السرياني اليعقوبي يحيى بن جرير التكريتي ما نصه: «وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم؛ ومعهم اسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم، وينقل المذبح اعني الدفة المقدسة (طبليث) من موضع إلى موضع الى سنة ثلاثمائة للعرب، وصل الى تكريت قوم من العرب النصارى، وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها، وكان منهم رجل ديناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية، وكان يقدس لهم باللفظ العربي، وكان يقدس لهم على الانجيل ...» والعلامة افرام بطريرك السريان في حمص عضو المجمع العلمي العربي كان يبالغ في الثناء على المارجرجي الأسقف العربي الفيلسوف، وقد ذكر له في الطرفة بعض المؤلفات. ونقلة تاريخ الفلسفة في عصرنا هذا عن اللغات الأوروبية لا يعلمون ان هذا الفيلسوف العظيم هو عربي صميم.

ومما يدل على تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام ما جاء في الصفحة ٦٢ من الطرفة: ملاحظة كتبها السيد اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠ — ١٨٥١) البطريرك الأنطاكي وهي بنصها: «ترجمنا فصول الأناجيل الى العربي ... ويلزم الكهنة في الآحاد والأعياد مع الشمامسة ... أن يقرؤا الرسائل والاناجيل عربياً، وكذلك النافورات المترجمة من السرياني و.. » ، وفي الصفحة ١٢٣ وتحت اسم (الحسايات او السذوات) ، ويراد بها صلوات استغفارية خشوعية يترنم بها الكاهن السرياني والماروني ، جاء ما نصه : « وقد نقلها الأئمة على تراخي الاحقاب الى العربية ليقف على مضامينها جمهور المؤمنين ، فلم يبق منها في أصلها السرياني بين مخطوطات الشرفة الا النزر . » ؛ وفي الصفحة ١٣٦ جاء خلال الكلام على نسخة

(الرسامات الكهنوتيه) : ان البطريرك اغناطيوس (ميخائيل الثالث) هو الذي نقل الصلوات والحسايات الى العربية .

أما اول من الف كتب النحو العربية من السريان فقد جاء ص ٤٣٦ اسم كتاب (شرح الاجرومية للملة النصرانية) وجاء في الكلام عليه ما نصه : « ويستنتج من ذلك ان السيد غريغوريوس نعمة قدسي صنف كتابه هذا في قلعة ادنه عام ١٧٠١ — ١٧٠٤ اذ كان بعد قسيساً ، وانه هو أول من طرق هذا الباب من أئمة المسيحيين ؛ على ان السيد جرمانوس فرحات لم يؤلف كتابه (بحث المطالب) الا بعد ست سنوات من تأليف السيد نعمة قدسي ، وقد انتشر كتاب السيد نعمة هذا في أوائل القرن الثامن عشر انتشاراً عظيماً كما يتضح من النسخ العديدة المدونة الى اليوم في دور الكتب .

ومن حكماء اليعاقبة الذين ذكرهم كتاب الطرفة ابو زكريا يحيى بن عدي التكريتي المنطقي الذي نشر له رئيس مجمعنا كتاب (تهذيب الأخلاق) ، ولا متاعه نشره أيضاً في شيكاغو سنة ١٩٢٨ السيد سويريوس افرام برصوم وصدره بمقدمة مستملحة في احدى عشرة صفحة ، وصف فيها اصل يحيى وفضله وتآليفه البالغة ٧٠ تأليفاً ، ومنها مقاله في التوحيد نشرت في مجلة المشرق ، وردّه على يعقوب ابن اسحق الكندي نشر في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٢٠ ، وكتاب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي على ما ذكره ابن العبري في تاريخ الدول العربي ص ٦٣ ، ومنها كتاب ثاوفرسطس نقله كذلك من السرياني الى العربي على ما ذكره العلامة السمعاني .

ويتضح بما تقدم ما في البحث العلمي عن فهارس دور الكتب من الفوائد ، ويستحق المؤلف الفاضل كل ثناء لعنايته بمخطوطات خزانة الدير السريانية والعربية على السواء ، ونشكر له اتحافه بهذه التحفة التي اصاب في تسميتها بالطرفة .

التنوخي

كتاب الكليات

لابن رشد

لأبي الوليد محمد بن رشد فيلسوف العرب الأشهر كتاب طبي موجز عرف بكليات ابن رشد ، يحتوي على سبعة أبحاث ، كل منها يسمى كتاباً في اصطلاح تلك الأيام . وهذه الكتب او الأبحاث هي : كتاب تشريح الأعضاء وكتاب الصحة وكتاب المرض وكتاب العلامات وكتاب الأدوية والأغذية وكتاب حفظ الصحة وكتاب شفاء الأمراض .

ونُسخ كتاب الكليات نادرة ، واقدمها نسخة مخطوطة وجدت في دير الجبل المقدس بأعالي غرناطة ، وهي كاملة مضبوطة . وقد عمد معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الاسبانية في طنجة الى هذه النسخة فنقلها بالتصوير الشمسي على ورق جيد ، بعد ان قدم لها السيد ألفريد البستاني (استاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية في تطوان) بمقدمة حسنة ذكر فيها نشأة بن رشد ، وأشار الى مؤلفاته ، ولخص آراءه الفلسفية ، وبين انه كان اعظم شارح لفلسفة أرسطو المعلم الأول . وترجمت هذه المقدمة الى الاسبانية وطبعت في الجهة اليسرى من الكتاب .

ووُضع في آخر كتاب الكليات فهرس لموضوعات ابحاثه ، وفهرس ثان لبعض النباتات والحيوانات والمعادن التي ذكرت فيه ، مع بيان اسمائها العلمية واسمائها الاسبانية ، وبيان شيء موجز عن كل منها .

ويقول ناشرو كتاب الكليات ان معهد الجنرال فرنكو يعدّ الكتاب المذكور باكورة لمخطوطات عربية أخرى ستنشرها لجنة الأبحاث العربية الاسبانية في المعهد المشار اليه ، وهو عمل يشكرون عليه . وما دام الأمر كذلك فمن المفيد ان ننبه المعهد الى نواقص وهنات وردت في الكتاب لعل القائمين على هذا العمل الجليل يتقون أمثالها في منشوراتهم التالية .

أولاً : من المعلوم أن المخطوطات التي تكون منسوخة في القرن السادس من الهجرة بخط مغربي قلما تكون قراءتها سهلة، ولا سيما اذا كان القرّاء من العرب المشارقة، ومن العبث أن يضيع هؤلاء القراء معظم وقت القراءة في تهجي حروف الكتاب بدلاً من تفهم معاني جمله . ولهذا من الضروري ان تطبع المخطوطات التالية طبعاً، وان لا يكتفى بنقل صورها الشمسية .

ثانياً : تراث اجدادنا الأقدمين انواع، فالأمهات من كتب الادب تصلح لكل زمان ومكان، والأمهات من كتب اللغة لا غنى عنها الى ان نضع ما هو اصلح منها لزماننا هذا الذي اتسعت فيه المعارف البشرية اتساعاً ضاقت عنه المعجمات القديمة كل الضيق . اما الكتب الفلسفية التي خلفها الاجداد ففي قراءة كثير منها فوائد جمة ككتاب التهافت للغزالي و كتاب تهافت التهافت لابن رشد واشباههما . واما الابحاث العلمية التي خلفوها فبعضها لا يغير الزمان حقائقه كالقواعد والنظريات الرياضية؛ وبعضها لم يعد صالحاً لأيامنا هذه ككتب الطب والزراعة والطبيعة، لأن هذه العلوم قد تقدمت وتوسعت كثيراً وتبدلت اليوم تبدلاً كلياً عما كانت عليه في القرون الوسطى او في أيام المدنية اليونانية .

ويتضح من ذلك انه لا فائدة علمية تذكر في طبع مثل كتاب الكليات، لكن في طبعه فائدة تاريخية كبيرة من حيث أنه حلقة من حلقات تاريخ العلوم الطبية، وله أيضاً فائدة أخرى وهي اشتماله على مصطلحات يجدر بعلمائنا المعاصرين اقتباسها .

ثالثاً : عندما يُعمد إلى وضع الأسماء العلمية التي تنظر إلى الكلم العربية يجب ان يناط هذا العمل بعالم اختصاصي ، فالسيد الفريد البستاني لم يوفق في فهرس النباتات والحيوانات كما وفق في المقدمة التي وضعها عن ابن رشد . ولهذا جاء في هذا الفهرس أغلاط كثيرة نجتزئ بذكر بعضها :

(١) وضع إزاء لفظة « أُشنة » اللفظة العلمية Juniperus oxycedrus

على حين ان هذه اللفظة تدل على شجر العرعر . وأين الأشنة من العرعر .

(٢) جعل أمام لفظة « اجران » التي يستعملها المغاربة للدلالة على الضفدع لفظة Ranunculus على حين ان هذه اللفظة العلمية تدل على نبات الحوذان . وفي هذا الجنس من النبات أنواع كثيرة يعرفها المشتغلون بالنباتات الزراعية كحوذان الزهارين والحوذان الافريقي (عود الصليب) والحوذان الزاحف والحوذان الحريف (زر الذهب) الخ ..

(٣) جعل لفظة الجلبان تنظر إلى الكلمة Ervum ervilia والحقيقة ان الاسم العلمي للجلبان هو Latirus sativus أما الكرسنة فهي Vicia ervilia .

(٤) وضع أمام لفظة الدُلب لفظتي Chaisnus, casnus وجنس الدلب في اللسان العلمي Platanus وفيه أنواع .

(٥) جعل الصفصاف ينظر إلى Populus في حين أن هذه اللفظة تدل على الحور. أما الصفصاف فهو جنس Salix وفيه أنواع عديدة .

(٦) جاء أمام لفظة الثوم Pallium والحقيقة Allium Sativum .

(٧) وضع أمام لفظة البصل Unio على حين ان اسم البصل العلمي Allium Cépa

(٨) وضع للبطيخ اسماً غير اسمه العلمي المعروف وهو Citrullus Vulgaris

(٩) لم يذكر الأسماء العلمية لعدد من النباتات المعروفة كالبندق والتين والجوز والعنب ، وهذه الأسماء موجودة في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » من تأليفي وفي غيره من الكتب الزراعية .

(١٠) جاء في عدد كبير من الأسماء العلمية اغلاط مطبعية شوهت هذه الأسماء تشويهاً شنيعاً ، ومن هذه الأسماء المشوهة تلك التي تنظر الى النباتات الآتية : الباذنجان والحلبة والحناء والسرو والعناب والقرطم والكرفس واللفاح واللوبياء والياسمين وغيرها .

هذا بعض ما رأيت ان ألفت النظر اليه من المئات · والحقيقة انه مامن لفظة وردت في هذا الفهرس الا وفيها غلطة او اغلاط سواء من حيث عدم الاهتداء الى الأسماء العلمية الصحيحة ام من حيث عدم الانتباه للأغلاط المطبعية ام من حيث عدم التدقيق في تليل الايضاحات التي ذكرت لكل نبات ·

ونحن لا نذكر هذه الأمور تثبيطاً لعزائم رجال معهد الجنرال فرنكو بل شحذاً لهممهم وتشجيعاً لهم على السير في عملهم المفيد حتى تجيئ الكتب التي وعدوا بنشرها خالية من امثال هذه المئات · ولا شك ان المجمع العلمي العربي بدمشق هو اول من يغتبط بنشر كنوز الأندلس الدفينة وإلباسها أثواباً قشيبة كالحلة الجميلة التي كسي بها كتاب الكليات ·

مصطفى الشهابي

النبوغ المغربي في الأدب العربي

جزآن بالقطع الصغير في نحو ٦٧٠ صفحة طبع في المطبعة المهدية بتطوان

تأليف عبد الله الكنوني

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ الفاضل المؤرخ سيدي ابو محمد عبد الله الكنوني الحسني من أسرة كنون المشهورة بالعلم والصلاح في المغرب الأقصى، ذكر مايريده من الأدب العربي في مقدمة كتابه فقال :

(هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة ورمينا بذلك الى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب) فدلّ بذلك على انه لم يقصر كتابه على تراجم الأدباء وما أثر عنهم من منظوم ومنثور كما هو مفهوم الأدب قديماً وانما هو يتمشى مع روح العصر في معنى الأدب

أما الحامل له على وضع كتابه فقد أبانه بقوله :

(نربط حلقات البحث الموصل الى اكتناه حقيقة ماضينا الأدبي ليشاهده من كان يجادل فيه) ولكن من يكون هذا الذي يجادل في ماضي المغرب الادبي ؟ يظهر ان المؤلف اراد بهم اهل المشرق بل قد صرح بذلك فقال :

(وقد كثر عتب الأدباء في المغرب على اخوانهم في الشرق لتجاهلهم اياهم وانكار كثير منهم لكثير من مزاياهم) وكان على المؤلف ان يكشف عن مراده بالمغرب الذي نتجاهله : أهو المغرب القديم او المغرب الحديث ؟ فاننا معشر المشارقة نؤمن بالمغرب القديم إيماناً قد يكون اقوى من ايمان اهله به : نؤمن بابن خلدون ومقدمته، والقاضي عياض وشفائه، وبابن مالك والفيته، وابن رشد وفلسفته، وابن سيده ومخصصه، وابن عربي وفتوحاته (مع شيء من التوقي والحذر) وابن جبير ورحلته، وبالشاطبي وموافقاته، وبالشاطبي الآخر وشاطبيته (في علم القراآت) وابن زيدون ورسالته (الى ابن عيدون) والمقري ونفح طيبه وابن حزم وفصله، وابن

الطفيل وحي بن يقظانه ، وابن حجلة وديوان صبابته ، وابن عبد ربه وعقده ، والشريف الادريسي ونزهة مشتاقه (في الجغرافية) ، كل أولئك نعجب بنبوغهم ونراهم حجة للمسلمين على غيرهم ؛ اما المغرب الحديث فاننا لسنا ضعيفي الثقة بنبوغ ابنائه وانما نحن قليلو المعرفة بهم وبآثارهم · وقد أخذت هذه المعرفة تنمى بيننا وتزيد : من يوم ان جعلت مطابع المغرب تتحفنا من وقت الى آخر بآثار السادة (ابن زيدان) و (الكتاني) و (الحجوي) وأخيراً (الكنوني) ومن يوم ان قام الفضلاء امثال سيدي (ابو عياد) وسيدي (محمد داود) يترددون بين المشرق والمغرب : يأخذون من افواهنا ويلقون على مسامعنا ما يسرُّ تارةً ويؤلم أخرى ، ولكنه في الجملة مؤدٍ الى شدّ الأواصر وتنوير البصائر ·

نرجع الى كتاب (النبوغ المغربي) فأول ما يثير عجبنا منه انه لم يكن على نمط أمثاله من مطبوعات المغرب التي اعتدنا ان نلمس فيها جودة الورق وحسن الحرف واتقان الطبع ، بل ضرب على غرارها في كثرة الأغلاط ، وقلة العناية بالتصحيح وترك التعليق على ما يحتاج الى إيضاح ولا سيما بالنسبة الينا معشر المشارقة الذين ألف الكتاب باسمنا وعلى نية إفادتنا ·

والكتاب بجملته منقسم الى جزئين (الجزء الأول) تضمن احوال عصور المغرب (او انقلاباته) وجعلها المؤلف خمساً

وقد ذكر في كل عصر سياسة الدولة أولاً ثم يعقبها بذكر (الحركة العلمية) فيترجم لعلماء ذلك العصر ثم (الحياة الأدبية) فيذكر ما للملوك من التأثير فيها ثم يترجم للأدباء ويستطرد الى ذكر ماله علاقة بذلك

خذ مثلاً (عصر العلويين) التي قامت فيه (الدولة الشريفة) منذ أوائل القرن الحادي عشر الى اليوم : فقد ذكر المؤلف موجزاً من قيام هذه الدولة ونشاطها في قمع المخالفين ثم علاقاتها السياسية مع مجاوريها من ملوك اوروبا ثم المقارنة بين ملوك

هذه الدولة : أيهم أساء وأيهم أحسن : من ذلك ثناء المؤلف على أحدهم (محمد بن عبد الله) الذي سعى في التقرب من الدولة العثمانية وشدّ أزرها حتى انه طرد سفير الروسية من طنجة لحين نشوب الحرب بين الروس والعثمانيين ، ثم ختم المؤلف هذا العصر بذكر مآثر مولاي الحسن الذي توفي سنة ١٣١١ هـ وانتقل الى (الحركة العلمية) فذكر ضعفها حيناً ونشاطها حيناً آخر والأسباب التي أدّت الى كلا الأمرين

ومما ذكره في أخبار هذا العصر ان مولاي محمد بن عبد الله اصدر منشوراً علمياً خاطب فيه علماء بلاده مشيراً عليهم كيف يجب ان يكون سلوكهم في التحصيل وفي اختيار كتب العلم وقد سرد عليهم اسماء ما يعوّل عليه منها وما ينبغي اطراحها ، ثم ذكر المؤلف علماء هذا العصر تحت عنوان (الهيأة العلمية) يريد جماعة العلماء) كما تقول في بلادنا (هيأة المحكمة) بل كما يقول المصريون (هيأة كبار العلماء فترجم لبضعة عشر منهم واكتفى عن ذكر بقيتهم بسرد ما تركوه من المؤلفات فاستوعبت خمس عشرة صفحة فقط • وفي احصائها على هذه الصورة فائدة لعشاق الكتب ولجان النشر وارباب المطابع • ثم انتقل المؤلف الى (الحياة الأدبية) فذكر عناية ملوك هذه الدولة بالأدب والادباء وتقريبهم اياهم واجزال الصلات لهم حتى ان (مولاي رشيد) أجاز شاعراً بألفين وخمسمائة دينار على بيتين قالهما فيه وهما :

فاض بحر النوال في كل قطر   من ندى راحتيك عذباً فراتا
غرق الناس فيه فالتمس القفـ   ـرُ خلاصاً فلم يجده فماتا

ثم ترجم لطائفة من أدباء ذلك العصر وختمه بترجمة العلامة المؤرخ المسمى (اكنسوس) وذكر الاكنسوس هذا شعراً لكنه لم يفسر لنا كلمة (اكنسوس) ولماذا سمي هذا العالم بهذا الاسم وكانت وفاته سنة ١٢٩٤ هـ

أما (الجزء الثاني) من الكتاب فقد ضمنه ما أثر عن علماء المغرب وأدبائه (الذين ترجم لهم في الجزء الاول) من منظوم (حماسة وفخر وغزل ومدح وهجا الخ) ومنثور (خطب ومحاضرات ومناظرات ومقالات ومقامات الخ).

وكنا نتصفح الكتاب ونمر بصرنا على مضامينه فنفيد علما ، ونتذوق من نبوغ أدباء المغرب ما طاب وقعاً ولذ طعما ، غير أننا كنا أحياناً نلمح خلال فوائده الجمة أشياء كان يحسن السكوت عنها او الاقتصار على نبذة منها من ذلك قصيدة العلامة ابن ناصر (وفاته ١٠٨٩ هـ) وقد ختم بها الكتاب فكانت (مسك الختام ولبنة التمام) كما وصفها المؤلف وهي سبعون بيتاً كنت أقرأ منها البيت بعد البيت وانا أعجب من طولها وضعف نظمها ومنها قوله :

يارب يارب أنلنا الأمنا اذا ارتحلنا واذا اقمنا
يارب واحفظ زرعنا وضرعنا واحفظ تجارنا ووفر جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الدين وراحة المحتاج والمسكين
واجعل لها بين البلاد صولة وحومة ومنعة ودولة
واجعل من السر المصون عزها واجعل من الستر الجميل حرزها
واجعل بقاف وبصاد وبنون الف حجاب من ورائها يكون

لا جرم ان مثل هذه القصيدة يحتاج الى تعليق يبين اتصالها بموضوع (النبوغ المغربي) ويصف لنا على الأقل مبلغ تأثير استغاثتها الحارة في صيانة بلاد المغرب مما منيت به وانساقت اليه او لعل المؤلف ترك التعليق للقارئ الفطن فهو الذي يركب ويحلل ، ويستنتج ويعلل .

المغربي

آراء وانباء

منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربية

في ١٣ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٢ م اصدر جلالة ملك مصر فؤاد الأول عليه رحمة الله مرسوماً بإنشاء معهد باسم «مجمع اللغة العربية الملكي» يكون تابعاً لوزارة المعارف ، وأغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ، وان يبحث كل ماله شأن في تقدّم اللغة .

وفي ٦ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٣ صدر المرسوم الملكي بتعيين الاعضاء العاملين للمجمع ؛ وعدّتهم عشرون عضواً : عشرة من المقيمين بمصر ؛ وخمسة من الشرقيين ؛ وخمسة من المستشرقين . وهم : الدكتور محمد توفيق رفعت باشا (الرئيس) . حايم نحوم أفندي . الشيخ حسين والي (توفي) . الدكتور فارس نمر باشا . الدكتور منصور فهمي بك . الشيخ ابراهيم حمروش . الشيخ محمد الخضر حسين . أحمد العوامري بك . علي الجارم بك . الشيخ احمد علي الإسكندري (توفي) . هـ.ا.ر.جب . الدكتور ا.فيشر . ا.نلينو . (توفي) . م.ماسينيون . ا.ج.فنسنك (عين بدلا منه الاستاذ ليتمان) . محمد كرد علي بك . الشيخ عبد القادر المغربي . الأب أنستاس ماري الكرملي . عيسى اسكندر المعلوف أفندي . السيد حسن حسني عبد الوهاب .

وفي صباح ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ عقد المجمع الجلسة الأولى للدورة الأولى ؛ ثم والى بين اربع وثلاثين جلسة تمت بها هذه الدورة . وتابع المجمع عقد دوراته في مفتتح الشتاء من كل عام ، حتى أتم ست دورات ، كل دورة منها خمس وثلاثون جلسة ماعدا الأخيرة ؛ فقد كانت ستاً وثلاثين جلسة .

وكان فيما بين كل دورتين من دورات الانعقاد تجتمع اللجان التي ألفها المجمع ؛ وقسم بينها جمهرة العلوم والفنون ، وعهد إليها بدراسة المصطلحات ، وإعدادها للعرض على المجمع في موسمه السنوي . وهذه اللجان تجتمع مرة في كل اسبوع في خلال الفترة بين كل دورتين ما خلا أشهر الصيف ، وفي اثناء دور الانعقاد في بعض الأحيان ؛ وتستعين كل لجنة بخبير فني في العلم اوالفن الذي تدرس مصطلحاته .

وقد وضع المجمع نصب عينيه اولاً اخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون . ولما كانت المصطلحات الواردة في كتب التعليم في مصر ، إما مذكورة بألفاظها الأجنبية ، وإما مترجمة في الغالب ترجمة غير دقيقة ، عمد المجمع الى استظهار الفاظ فصيحة وصيغ دقيقة تؤديها على جهة الضبط والصحة ، وذلك اما باستخراجها من قديم العربية ومكنوزها ، واما بوضعها وضعاً جديداً . ووجه جل همه أولاً الى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي ، فاستخرج آلافاً منها في علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسي ، والقانون ، وتاريخ القرون الوسطى ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة . وأقر من هذا طوائف كبيرة هي الآن معدة مشروحة في متناول المؤلفين والمعلمين .

وقد وافت ادارة المجمع وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح من التي مر أكثر من عام على تقريرها ، على ان تطبع وتوزع على المؤلفين والمفتشين والأساتذة ، لإدخالها في كتب التعليم وفي التدريس . كذلك أحس المجمع حاجة الجمهور الى اسماء عربية تؤدي المسميات الحديثة في الشؤون العامة كأدوات المنازل واثاثها ، وما تتناقله الألسن والاقلام في الاسواق والأندية والصحف ، فبحث في كثير من هذه المسميات ، وأقر طائفة جليلة من اسمائها ، وهي الآن مشروحة مقرونة بمقابلها الافرنجي .

ومن اهم ما عني به المجمع انه رأى ان في التزام بعض قواعد معينة من القواعد

التي دُرج عليها في العربية ، تضييقاً في افق اللغة ، وحرجاً في التعبير عن كثير من مستحدثات المعاني ، وعلى الخصوص ما يتعلق بالترجمة عن مصطلحات العلوم والفنون ، مما كان له ابلغ الأثر في قعود اللغة العربية عن مجاراة العصر الحديث وموافاة حاجاته لذلك بحث المجمع بحثاً وافياً في اصول اللغة ، وترسم مذاهبها المختلفة ، وتتبع ما مضت اليه آراء الأفذاذ والجماعات من متقدمي العلماء في قواعدها التي تتصل بهذا الباب ، وتخير منها كل ما ييسرها ، ويوسع اقيستها ، ويلينها للترجمة عن مستحدثات المعاني في غير عسر ولا حرج . واقر المجمع من هذه القواعد اكثر من اربعين قاعدة بعد درس وفحص ، وهي الآن صالحة جليلة النفع ، وقد استفاد المجمع منها اكبر استفادة في وضع الألفاظ الجديدة . وهذه القواعد ستعين المشتغلين باللغة العربية على انمائها .

ومما اتجه اليه جهد المجمع انه وضع نظاماً ثابتة لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، وذلك لما رآه من الاضطراب الشديد ، سواء في كتابتها او النطق بها . فعمد الى تحقيق تلك الأعلام ، توسلا الى كتابتها والنطق بها على جهة الصحة ، واستحدث رقوماً وعلامات تلحق بالحروف العربية ، بحيث اذا كتب بها العلم الأجنبي احتفظ بصورته الصحيحة ، وامكن النطق به كما ينطق به اهله . ورفعاً لعبء التطبيق عن المترجمين ، قرر المجمع ان يوزع على اعضائه اعلام الممالك والبقاع في انحاء الدنيا ، لكتابتها طوعاً لتلك النظم المرسومة ، على ان يخرج بها معجماً جغرافياً وافياً يسد حاجة المشتغلين بالترجمة ومؤلفي الكتب الجغرافية ، وذلك بأيسر جهد .

هذا وقد أراد المجمع ان يسعف رجال التعليم بإرشادات سريعة في ترجمة اعلام البلاد ، فأصدر كشوفا بالأغلاط القائمة في المصورات الجغرافية المستعملة في المدارس ، وكذلك اصدر قائمة بأعلام بلاد السودان المصري ، والحبشة ، والصومال ، وشمال إفريقية ، وغرب آسيا على الوجه الصحيح .

كذلك عني المجمع بوضع المعجمات التي تدعو اليها حاجة الطلاب والمترجمين ، فقرّر وضع معجمين للتعليم الثانوي : (الأوّل) معجم علمي صغير للتعليم الثانوي في الأقطار العربية ، (والثاني) معجم لغوي تثبت فيه طوائف من الموادّ والألفاظ والصيغ التي تلائم جمهرة المثقفين ، على ان يكون على احدث نمط عصري ، بحيث يغني الطالب الثانوي والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، مع التيسير في الكشف والمراجعة . وتقوم الآن بوضع هذا المعجم لجنة مؤلفة من خمسة من حضرات اعضاء المجمع واساتذين في كلية الآداب .

وفوق هذا ، عمدت ادارة المجمع الى بعض المعجمات الخاصة بالعلوم والفنون ، فأفرغت مصطلحاتها العلمية في جزازات ، وذلك تمهيداً لترجمتها بما يؤدّيها من صحيح العربية ، وقد تمّ العمل حتى الآن في ثلاثة معجمات : (أحدها) في الاقتصاد السياسي . (والثاني) في الكهرباء واللاسلكي . (والثالث) في فن العمارة والبناء . ويجري العمل الآن في معجمين : (أحدهما) في مصطلحات الكيمياء . (والثاني) في مصطلحات الطب . وستكون هذه المعجمات وغيرها ، بعد ترجمتها ترجمة علمية صحيحة ، مادّة ميسرة ، سواء للمعجمات العربية الجديدة ، او الكتب العلمية .

وينشر المجمع قراراته اللغوية في القواعد والمصطلحات في مجلته السنوية . وقد اصدر حتى الآن منها اجزاء اربعة في نحو الف وخمسمائة صفحة ، حاوية للقواعد مع الاحتجاج لها ، والمصطلحات مع شروحها . وفيها الى جانب ذلك دراسات لغوية مستقلة لأعضاء المجمع وغيرهم من الباحثين . وأجزاء المجلة تهدى الى كثير من المعاهد العلمية في العالم الشرقي والغربي ، وكبار المشتغلين باللغة العربية في جميع الاقطار .

وأصدر المجمع فوق ذلك مجموعة المحاضر لأربع دورات ، وهي في نحو الفي صفحة ، مشتملة على ما دار في الجلسات من المناقشات العلمية ، ومما أخذ المجمع به نفسه ان قراراته في الاسباب اللغوية لا يصبح شيء منها نهائياً الا بعد نشره بين يدي الجمهور

بعام كامل، وذلك ليتهيأ له مراجعة ما عسى ان يوجه عليه من فنون النقد .

واخيراً عنيت وزارة المعارف بوضع مشروع مرسوم يخوّل زيادة عدد الاعضاء الى ثلاثين، وينظم من الأعضاء المقيمين بمصر مجلساً يعمل طوال العام، على ان تكون القرارات الخاصة بمادة اللغة العربية من مؤتمر المجمع الذي ينعقد اربعة أسابيع متوالية في العام .

وفي ٢٨ من ايار (مايو) سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بهذا التعديل .

وفي ٢٥ من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بتعيين عشرة من اقطاب اهل العلم والفضل والأدب اعضاء في المجمع، وهم : الدكتور محمد حسين هيكل باشا . الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . الدكتور علي ابراهيم باشا - الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي . عبد العزيز فهمي باشا . احمد لطفي السيد باشا . عبدالقادر حمزة باشا . الاستاذ عباس محمود العقاد . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ احمد امين بك .

(انتهى ملخصاً من منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربيه الصادر هذه السنة)



البدء بالتاريخ

ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الأعداد حسب القواعد العربية بالبدء من اليمين والعدول عن التراكيب التركية فمثل سنة ١٣٥٩ يجب أن تكون تسعة وخمسين وثلثمائة والف لا كما هو المتعارف الف وثلاث مائة وتسعة وخمسون بالترجمة التركية بيك اوجيوز اللي طقوز .

لعل هذه تكون خطوة أولى باصلاح الأخطاء العربية المستعملة بتعميم من رئاسة الحكومة يوجب اتباع القواعد العربية في مسائل الأعداد فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

محمد سعيد العرفي

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار ونيسان سنة ١٩٤١ م
ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً	وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

ابن عُنَيْن

شاعر القرن السابع

هو محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عُنين الأنصاري ، وعنين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، كنيته ابو المحاسن ولقبه شرف الدين . أصله من الكوفة وولد في دمشق ومات فيها (٥٤٩ — ٦٣٠ هـ)

تأدب ابن عنين بأدب عصره واخذ عن مشايخ بلده ما تيسر له أخذه . اشتغل في دمشق بالفقه على القطب النيسابوري والكمال الشهرزوري ، وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان وسمع ببغداد من منوجهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري ، وعني كثيراً باللغة حتى عدَّ من علمائها في عصره ، وكان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد وقد اختصره ، وكتب في النثر تاريخ العزيزي ، وقد فقد كلا التأليفين .

وجاء من ابن عنين شاعر مطبوع يجول في أكثر اغراض الشعر ويجوِّد في جولاته وموضوعاته فعدَّ من اعظم شعراء زمانه ، وشعره في الوصف والشعر العاطفي آية ، واشتهر بين الناس بهجوياته . واذ لم يكن له غرض في جمع شعره لم تسمُ همته الى تدوينه ، فهو يوجد مقاطيع في ايدي الناس . وقد جمع له بعض اهل دمشق قديماً ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم الرائع ، وقيل ان فيه اشياء ليست له .

طار صيت ابن عنين بهجوياته ، وما كان ينجو من هجوه كبير ولا صغير . وشعره في الهجو خال من الاقذاع في الجملة ، وربما ضحك المهجوّ منه وسامحه بما نال وافترى . وله في باب الاهاجي قصيدة يداعب فيها جماعة من الدمشقيين ، وهي القصيدة المعروفة بمقراض الأعراض افتتحها بقوله :

أضالع تنطوي على كرب ومقلة مستهلة الغرب
شوقاً الى ساكني دمشق فلا عدت رباها مواطر السحب
منازل ما دعا تذكرها الا ولبى على النوى لبي

وقد ذكر فيها جماعة بأبشع الأوصاف وختمها بقوله :

وحين أبصرت دولة الأحدب أربت على علا الشهب
فقلت للمفلسين ويحكم تحادبوا فهي دولة الحُدْب

هجا ابن عنين العلية من قومه ومنهم المؤيد بن القلانسي والجمال بن المهدي الكاتب والقاضي ابن عصرون والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وكاتبه. وكان وقوعه على ما يظهر في القاضي الفاضل سبباً اعظم في غضب صلاح الدين عليه ، فأمر بتسييره من دمشق بسبب وقوعه في الناس ونفاه الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين من اخوة صلاح الدين . طاف شرف الدين البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند ورجع من طريق الحجاز الى الديار المصرية ، وقد مات صلاح الدين وتملكها اخوه الملك العادل ابو بكر بن ايوب ، فسار متوجهاً الى دمشق وكتب اليه قصيدته الرائية يستأذنه في دخول الفيحاء ويعدد ما قاساه في الغربة ، قال في الوفيات : وقد احسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه ابلغ استعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو سامحوني في الكرى

وصف في أوائلها دمشق وبساتينها وانهارها ومواضع متنزهاتها ومما قال :

فسقى دمشق ووادييها والحمى متواصل الارهام منفصل العرى
حتى نرى وجه الرياض بعارض أحوى وفَوْد الدوح ابيض ازهرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج ورمال كاظمة ولا وادي القرى
أرض اذا مرت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكاً أذفرا

ثم عاد مشيراً الى النفي منها :

فارقتها لا عن رضاً ، وهجرتها　　لا عن قلى ، ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت　　ومن العجائب ان يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعاً　　وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :

أشكو اليك نوىً تمادى عمرها　　حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى　　يعفو ، ولا جفني يصافحه الكرى

أضحى عن الأحوى المريع محوّلاً　　وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يَقيل بظلكم　　كل الورى ونُبذت وحدي بالعرا

قال ابن خلكان وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندي أنها في خير من قصيدة ابي بكر بن عمار الأندلسي التي أولها : « أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى » ، ولما نفي من دمشق قال :

فعلام أبعدتم أخا ثقة　　لم يجترم جُرماً ولا سرقا

أنفوا المؤذن من دياركم　　ان كان ينفى كل من صدقا

ولما عاد اليها وتقدم بها عند المعظم قال :

هجوت الأكابر في جلق　　ورُعت الوضيع بهجو الرفيع

وأخرجت منها ولكنني　　رجعت على رغم أنف الجميع

ووصل به الحال ان هجا بعض الملوك الأيوبيين ، فانه لما ورد من اليمن الى مصر وطلبوا منه موجب ما ورد معه ، قال يهجو الملك العزيز صاحبها :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها　　أهل ولا كل برق سحبه غَدِقه

بين العزيزين بونٌ في فعالهما　　هذاكَ يعطي وهذا يأخذ الصدقه

وقال في العادل سيف الدين بن ايوب :

ان سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإنفاقِ
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق

وهذا هجو خفيف على القلب غير ثقيل على السمع ، لا بذاءة فيه ويحمل نكتة لطيفة . وهنا يعرض على الخاطر لماذا شق على الشاعر ان يطلع عمال المكوس على مافي متاعه ، وقد آب من سفرته هذه أبجر الحقائب ، وجمع من جوائز صاحب اليمن وجوائز غيره اموالاً اتجر بها فقدروا ما تموّله بثلاثين الف دينار ، ومن كان يملك هذا وهو في عقل ابن عنين ومعرفته ، لا يشق عليه ان يدفع حق الدولة ، هذا ان لم يكن ممن اعتادوا الأخذ ولا يعرفون العطاء ، ولا يرون ابداً غير الزيادة في وفرهم .

قال من ترجموا لابن عنين : انه كان من اظرف الناس واخفهم روحاً واحسنهم مجوناً ، وكان وافر الحرمة عند الملوك ، ولما عاد الى دمشق تولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ، وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف ، قال الصفدي في الوافي : انه لما ولي كان محمود الولاية ، كثير التعفف ، مكفوف اليد عن اموال الناس ، مع عظم الهيبة . فمن يخطبه الملوك لتولي أمور الدولة ، فيه ولا شك شيءٌ من أخلاق العظماء ، وليس هو بالشاعر الذي يجوز لنفسه ان يمد كل حين يده لمن يفضل عليه بشيءٍ ، وأخلاق الشعراء غير اخلاق الأمراء .

لا جرم ان ابن عنين آلم بهجوه بعض المشهورين ، وما استطاعوا ان يصموه الا بما جرت العادة ان يصم به الخصم خصمه ، واهم ما وصموه به تكفيره وتبديعه وتفسيقه ، فقالوا انه كان يخل بالصلاة ، ويصل ابنة العنقود ، واشتد بعضهم واوغل فرماه بالزندقة ، وكل اولئك تهمات سهلة النطق على الناقمين والموتورين ، ولو كان كما زعموا زنديقاً ما عمر مسجداً بأرض المزة مزة كلب واوصى ان يدفن فيه ،

ولو كان منحلاً من العقيدة ما اختاره ملكان عظيمان للوزارة والملوك من أخوف الناس من الرأي العام واعداؤه وابناؤهم واحفادهم يحصون عليه انفاسه .

ولا نعتقد نفرة بعضهم منه الا بسبب هجائه لهم ، وهجوه ينبعث على الأغلب من نكتة اذا جاءته ارسلها . ولو كانت في عظيم لا يستحقها وتؤذيه فيحنق عليه بها . ولو كان يحسب لكل ما يبتده من شعره حساباً لما هجا القاضي الفاضل ، وهو اعظم رجال عصره في السياسة والادب ، ومن أشرف رجال الدولة على التحقيق . نعم أخذ كما قال ياقوت ، في الهجو بنفس طويل ، وتفنن بأساليب السب والثلب ، فأورد مالا يحسن ايراده حتى لقد هجا أباه ايضاً بقوله

وجنبني أن أفعل الخير والد   ضئيل اذا ما عد اهل المناسب
بعيد من الحسنى قريب من الخنا   وضيع مساعي الخير جم المعايب
اذا رمت ان اسمو صعوداً الى العلى   غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

ونحن نشك كثيراً في نسبة هذا الهجو له ، ولعل هذه الابيات مما نحله اياه اعداؤه وخصماؤه . ومن هجاه ، والغالب انه كان يتبرم بعشرته ، ابن المهدي في جواب رقعة طويلة ارسلها اليه :

وردت منك رقعة أسأمتني   وثنت صبري الجميل كلولا
كنهار المصيف حراً وكرباً   وليالي الشتاء برداً وطولا

كان لشرف الدين دقة احساس الشاعر ، وكان جهبذاً نقادة ، وربما كان قومه يريدون منه ان يقرّهم على مساويهم ، فما رأى غير اداته الشعرية يصوبها اليهم كل حين يشتفي بها صدره من انحطاطهم والتواء أخلاقهم ، فمن ذلك قوله في الرشيد النابلسي ، وقد صفع ، يداعبه بل يثلبه :

تعجب قوم لصفع الرشيد   وذلك ما زال من دابه
رحمت انكسار قلوب النعا   ل وقد دنسوها بأثوابه

فوالله ما صنعوه بها ولكنهم صفعوها به

وقال يهجوه وابن شيث ويضيف نفسه اليهما :

انا وابن شيث والرشيد ثلاثة لا يُرتجى منا لخلق فائده
من كل من قصرت يداه عن الندى يوم الجدا وتطول عند المائده
فكأننا واو بعمرو ألحقت أو اصبع بين الاصابع زائده

وقال يهجو الموفق ابن مطران :

وقالوا اسعد بن الياس اضحى رئيساً لا حوته يد السعودِ
ولا اهجو الوجود وقد حواه لأنَّ وجوده هجو الوجود

وقال يهجو ابن عساكر المعروف بخبز بدبس :

يا خليطاً بالدبس قصر عن الشـ ـر فقد قيل رابح الشر خاسرْ
وترفق بالجند فالجنـد آبا ؤك ان صحّ انك ابن عساكر

اذا صح الحكم عليه بهذه الأهاجي ، وما رأينا له في الموضوع الواحد غير البيتين والثلاثة ، ومعظمها مرتجلة علي ما يظهر يوردها في مجلسه أو مع اصحابه ، واكثرها مما يتعمده للنكتة ، فلنا أن نقول انها تنوقلت بين القوم لسلاستها وخفتها على النفس ، ولطالما تنوقل الرديء المختصر وزهد في الجيد المطول ، والا فان لابن عنين قصائد ومقاطيع قالها في احوال كارثة كانت هي اولى بأن تشهره بين الناس ، وان يتناقلوها ويتدارسوها ، خصوصاً ما صدر عنه في غربته ، وقد طالت علي ما يظهر ، وما كان يحمله رسائله الي اصحابه . وغيرهم من هذا القبيل فقد قال من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأنني افتش في سودائه عن سنا الفجر

وقوله لأحد أصحابه بدر الدين مودود الشحنة كان بدمشق (مدير الشرطة) :

يذكرني البرق الشآمي ان خبا زماني بكم يا حبذا ذلك الزمن

ويا حبذا الهضب الايل و«عزتا» اذا ما بدا والثلج قد عم القنن

أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة وهيهات اين «الديلميات» من «عدن»

وقد ذكر «عزتا» غير مرة في شعره والغالب انها كانت مصطافه ولعلها كانت قرب النيحة على ما يفهم من اماكن اخرى ، والديلميات من ضواحي دمشق ، وعدن بلد معروف في اقصى بلاد العرب . وكما هجا شاعرنا الرجال هجا البلدان أيضاً ومما قال في الهند :

واذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد الهنود سوى الصواعق والدما

وقال في حلب سامحه الله :

قوم عهود رجالهم محلولة ابداً وعهد نسائهم لم يحلل

من كل مائسة الثياب رشيقة رؤد الشباب كريمة في هيكل

وقال في جامع دمشق لما سلسلت ابوابه وفيه نكتة بديعة .

سلوه اذا اجابكم سلوه سلوه جنّ حتى سلسلوه

ولولا انكم بقر حمير لما منعوكم أن تدخلوه

وقال في المعنى :

لما رأيت الجامع أمواله منهوبة ما بين نوابه

جنّ فمن خوف عليه غدا مسلسلاً في كل ابوابه

وكيف لا تعتاده خيفة وقد رأى المسخ لاربابه

القرد في شباكه حاكم والتيس في قبلة محرابه

مدح ابن عنين الملك المعظم في عدة قصائد وكان يذكره بيوم دمياط مع الصليبيين ومما قال :

وأذكرته أيام دمياط بيننا وبين العدى والموت تهوي عقابه

وقال من أخرى :

غداة لقينا دون دمياط جحفلا	من الروم لا تخفى يقيناً ولا ظنا
قد اتفقوا رأياً وعزماً وهمة	ودينا وان كانوا قد اختلفوا لُسْنا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت	جموع كأن الموج كان لهم سفنا

وقال في رثائه :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا	عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته	عن نصرها لتمكنت منها العدا
ولأمست البيض الحرائر كلها	فيها سبايا والموالي اعبدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة	تجتاب ما بين البقيع الى كُدا
وبثغر دمياط فكم من بيعة	عُبد الصليب بها وكانت مسجدا
انقذتها من خطة الخسف التي	كانت احلتها الحضيض الاوهدا

ومدح فخر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور الى هراة ، ولما كان بخوارزم حضر يوماً درس هذا الامام العظيم ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ يلقي الدرس اذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها ، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد ، فرقّ لها الامام فخر الدين وأخذها بيده وحَنَى عليها فأنشده ابن عنين مرتجلاً :

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا	في يوم مسغبة وثلج خاشف
العاصمين اذا النفوس تطايرت	بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبأ الورقاء ان محلكم	حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها	فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو انها تحبى بمال لانثنت	من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها	والموت يلمع من جناحي خاطف

قرم يطاردها فلما استأمنت بجنابه ولى بقلب واجف

فطرب لها فخر الدين واستدناه واجلسه قريباً منه وبعث اليه لما قام من مجلسه خلعة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً اليه .

ومن نكاته الشعرية انه شهد في بغداد مسألة عرضت على القاضي فما اخلى حكمه فيها من لاذع تنكيته ، وذلك انه كان بمدينة السلام رجل له زوجة ويتردد الى الزوجة شاب تزعم أنه اخوها ، فجاء الزوج بعض الايام فرآه معها فمنعه من العبور الى بيته وتحاكما على دعوى الزعم فلم يمنع المذكور من الدخول اليها ، وكان اسم العاشق غياث واسم الزوج عمرو . ولم يستطع الزوج طلاقها لحبه لها فقال ابن عنين :

غياث فاسمعوا قولي وعمرو لهم عندي احاديث ظريفه
فزان ما عليه من جناح وقواد بتوقيع الخليفه

وقال فيهما أيضاً :

غياث وعمرو فاسمعوا ما عليهما لشيخين عندي من شنارهما شانُ
غياث نفى عن نفسه الحدّ في الزنا وعمرو بتوقيع الخليفة قرنانُ

حركت الغربة في شرف الدين أشرف عواطفه ، واهاج البعاد دقيق احاسيسه ، وتجلت صورة نفسه يوم أقصوه عن أرضه وأهله ، كأن السلطان ما نفاه عن بلده الا ليتغنى به ويتغزل بطبيعته الفتانة ، وليعرف الناس تفوق بلاده على غيرها في كل ما تحبو به الطبيعة الاصقاع والبقاع . كان ذلك هجيراه في كل مكان نزله ، وفي كل قصيد قصده ، والفضل في كل ذلك لمن نفاه فنفعه ونفع الأدب به ، قال من قصيدة يمدح بها صاحب اليمن السلطان طغتكين :

فأقبلت اجتاب البلاد كأنني قذى حال دون النوم في اعين رُمد
فلم يبق حزن ما توقلت حزنه ولم يبق سهل ما جرت به يردي

أكدُّ ويكدي الدهر في كل مطلب ... فيابؤس دهري كم أكد وكم يكدي
طريد زمان لم يجد لصروفه ... بغير ذرى الباب العزيزي من ورد
فلما استقلت في ذراه بي النوى ... وألقت عصاها بين مزدحم الورد
تنصل دهري واستراحت من الوجى ... قلوصي ونامت مقلتي وعلا وجدي

قال في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن ابي بكر ابن ايوب :

اذا جبل الريان لاحت قبابه ... لعيني وبانت من سنير هضابهُ
وهبت لنا ريح أتتنا من الحمى ... تحدث عما حملتها قبابه
وقامت جبال الثلج زهراً كأنها ... بقية شيب قد تلاشى خضابه
ولاحت قصور الغوطتين كأنها ... سفائن في بحر يعب عبابه
لثمتُ الثرى مستشفياً بترابه ... ومن لي بأن يشفي غليلي ترابه

وقال يتغزل ويتشوق الى دمشق:

الا خبروني عن حمى «تل راهط» ... يلذ به سمعي وان فاتني النظر
وقصوا أحاديث «المصلى» وأهلها ... عليَّ فما لي في سوى ذاك من وطر
لقد طال عهدي بالمصلى وليتني ... رأيت المصلى او سمعت له خبر

وقال من قصيدة يمدح طغتكين :

ومحال قولي لنفسي عزاء ... سرعة السير شيمة الأقمار
لو تخلى القطا لنام ولو خلـ ... ـيت لم أريم عن وجاري وجاري
ولو اني خيرت في هذه الدنـ ... ـيا لما اخترت غير قومي وداري

وقال متغزلاً يتشوق الى دمشق :

يا برقُ حيِّ اذا مررت بعزتا ... أهلي وان زادوا جفاً وتعنتا
أبلغهم عني السلام قل لهم ... أحبابنا هذا الصدود الى متى ؟

طال انتظاري للتلاقي فاجعلوا   لصدودكم أجلاً يكون موقتاً

وكتب من بلاد الهند الى اخيه بدمشق هذين البيتين والثاني منهما لأبي العلاء المعري استعمله مضمناً فكان احق به وهما :

سامحت كتبك في القطيعة عالماً   ان الصحيفة لم تجد من حامل

وعذرت طيفك في الجفاء لأنه   يسري فيصبح دوننا بمراحل

وعلى الجملة فان ابن عنين شاعر عظيم بل هو كما قال ابن خلكان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في اواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه ، وكان غزير الأدب من الأدب ، ومطلعاً على معظم أشعار العرب ، وكان له في عمل الألغاز وحليا اليد الطولى ، فمتى كتب اليه شيء حله في وقته ، وكتب الجواب أحسن من السؤال نظماً . رحمه الله .

محمد كرد علي

الترب والمدافن الخاصة في الاسلام

اعتنى الانسان منذ آلاف السنين بالقبور والمدافن والبناء عليها ، خصوصاً مدافن الملوك والعظماء ، فأهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة امامنا ، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة واخرى عن قبور ومدافن قديمة كانت مجهولة لدينا

جاء الاسلام فلم يعتن بالقبور والمدافن والبناء عليها ، وكان رأيه فيها « خير القبور الدوارس »

وامتزج الاسلام بعد ذلك بكثير من الشعوب ، ودخل كثير من ابناء هذه الشعوب في الاسلام ، فكان ان اصبح على قبور عظماء المسلمين من ملوك وامراء وعلماء واعيان مصانع شاهقة ذات قباب فنية رائعة عرفت بعد ذلك باسم الترب « جمع تربة »

والذي يترجح لدي ان هذا الطراز من البناء اخذ عن اصل فارسي ، فقد كان بظاهر الكوفة قريباً من قبر الامام علي بن ابي طالب قبتان جميلتان تحت كل قبة قبر نسج المؤرخون حولها قصة [1] فقالوا ان الذي بناهما هو المنذر بن امرئ القيس بناهما على قبري نديميه اللذين امر بقتلهما وهو سكران ، فلما أصبح وأُخبر بالذي أمضاه ندم على قتلهما وبنى عليهما طربالين ، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ، ويوم نعيم حزناً عليهما ، وكان هذان الطربالان يلطخان بدم من يقتل يوم البؤس فلذلك لقبا بالغريين [2] ايضاً لما يلطخ بهما من دماء

ومهما يكن من امر بناء هاتين القبتين فهما من العصر والطراز الفارسي ، وقد بقيتا الى العصر العباسي في النجف قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلما مر الخليفة العباسي هارون الرشيد من ذلك الموضع وأُخبر ان هناك قبر الامام

(١) معجم البلدان لياقوت طبع مصر ج ٣ ص ١٨٣ و ١٨٤ وفيه أساطير طويلة تدور حول هاتين القبتين • (٢) الغريان تثنية الغري وهو المطلي بالغراء ، ولعل القبتين كانتا مطليتين بمادة تشبه الغراء أو نحوه فلما نسجت حولها هذه القصة زعم ان هذا الطلاء هو دم من يقتل يوم البؤس •

علي امر ببناء قبة على قبره وكان ذلك بعد سنة (١٧٠) هجرية . ويقول الحسن ابن محمد الديلمي : امر هارون الرشيد ان يبنى عليه قبة بأربعة ابواب فبنيت ، وذكر ابن طحال ان الرشيد امر ان تبنى عليه قبة فبنيت من لبن احمر وطرح على رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم [١] .

لا ريب ان قبة قبر الامام علي هي اول قبة من نوعها في الاسلام ما دام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو اقدم منها ، ووجود الطربالين او الغريين قريباً منها يجعلنا نحكم بأن قبة الامام تأثرت بهما الى حد ما .

والظاهر ان مثل هذه القبة وضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من اهل البيت النبوي ، ثم شاع استعمالها في انحاء البلاد الاسلامية ، وتردد ذكرها كثيراً في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة .

وقد عقد المقريزي في خططه بحثاً خاصاً بترب مصر [٢] كما فعل مثل ذلك النعيمي والعلموي [٣] والبقاعي في ترب دمشق [٤] ، ومحمد بن طولون في ترب صالحية دمشق [٥] .

معنى التربة والطربال

واذا طلبنا معنى التربة في كتب اللغة نجد صاحب المصباح يفسر التربة بالمقبرة مع ان التربة التي ترد في كتب التاريخ والتراجم والخطط لا يراد بها المقبرة او القبر وان كان في التربة شيء من معناهما ولكن يراد بها تلك القبب الفخمة التي تكون على قبور العظماء من ملوك وامراء وعلماء واعيان

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٨٢ (٢) ج ٤ ص ٣٤٨ و ٤٩ طبعة المليجي .

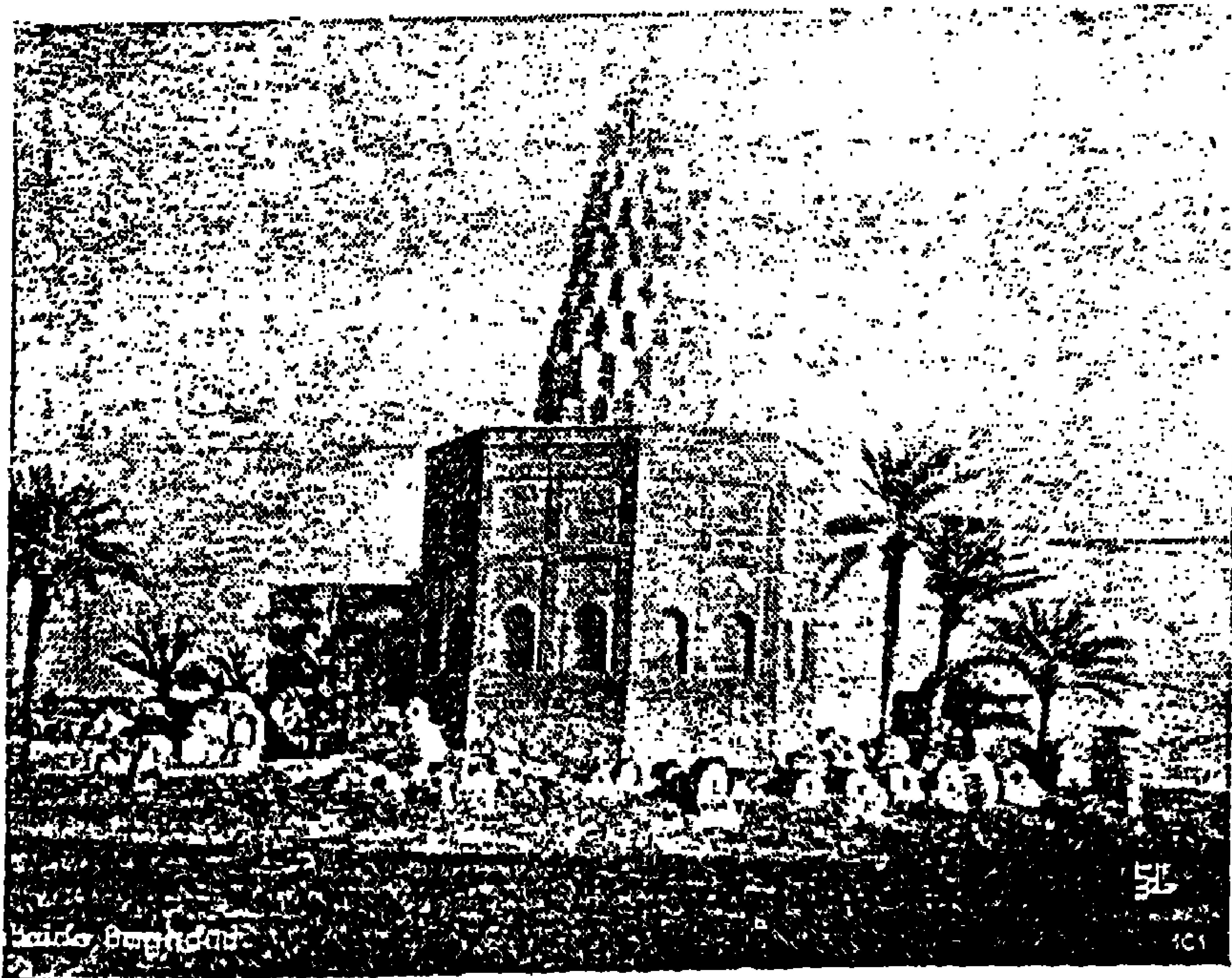
(٣) النعيمي هو عبد القادر النعيمي الشافعي ذكره في كتابه تنبيه الطالب وارشاد الدارس (مخطوط) ومنه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبالخزانة التيمورية بمصر في دار الكتب المصرية ، والعلموي هو عبد الباسط بن موسى العلموي اختصر كتاب تنبيه الطالب وزاد عليه في بعض المواضع (مخطوط) ومنه نسخة عندي وبالمجمع العلمي العربي بدمشق وبالتيمورية بمصر .

(٤) البقاعي هو احمد بن احمد بن علي البقاعي الحنفي اختصر كتاب النعيمي أيضاً ومنه نسخة عند السيد احمد عبيد بدمشق . (٥) له كتاب أسماء القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . ومنه نسخة فوطغرافية في المجمع العلمي بدمشق وبالتيمورية بمصر .

والذي يترجح لدي ان لفظ التربة مأخوذ من الطربال الذي خفف بحذف آخره فصار طرباء وتداولته الالسن فظن بعد ذلك تربة للشبه القريب بين طربا وتربه في اللفظ والمعنى

واذ رجعنا الى معنى الطربال في كتب اللغة وجدناه هو المراد لما يقصده المؤرخون واصحاب الخطط من معنى التربة • ففي نهاية ابن الأثير : الطربال هو البناء المرتفع كالصومعة • وفي معجم البلدان لياقوت : الطربالان هما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه • وحينما نرجع الى كتب اللغة نجدها اوضحت معنى الصومعة ايضاحاً كافياً • ففي القاموس : الصومعة بيت للنصارى لدقة في رأسه ، وفي اساس البلاغة : من المجاز قولهم للثريدة اذا رفع وسطها وحدد رأسه ودقق « الصومعة » • وفي المختار ثريدة مصمعة اذا دققت وحدد رأسها ، وصومعة النصارى من هذا لأنها دقيقة الرأس

وفي مقبرة بغداد قبة من رائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها



ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري اخذت الترب ترتدي ثوباً علمياً وتنطبع بطابع ثقافي فكان يضاف الى التربة مدرسة علم، او مكتبة مطالعة، او مكتب لتعليم الأيتام والاطفال، او مسجد للصلاة يكون فيه درس علم او قراءة قرآن، ففي سنة (٤٥٩) بنى شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة[1] على قبر الامام ابي حنيفة والى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية ولما تم بناؤها دعا اليها الفقهاء والعلماء والاعيان وأنشد الشريف البياضي الشاعر

الم تر ان العلم كان مبددا ... فجمعه هذا الموسد في اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة ... فانشرها فعل العميد ابي سعد

والظاهر ان هذه المدرسة هي الأولى من نوعها حيث يقوم معهد علمي الى جانب قبر رجل عظيم تسمى المدرسة باسمه.

ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تشاد الى جانب قبور العظماء، وهذا ما دعا اصحاب كتب الخطط ومؤرخي مدارس العلم لجعل فصل خاص بالترب لما لها من ناحية ثقافية.

- جاء في ترجمة علي بن علي بن روزبهار بن باكير الكاتب البغدادي انه وقف كتبه بمشهد[2]

---

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٨ و ١٩ الطبعة الأميرية، والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٥

(٢) المشهد اسم مكان من الشهادة، والشهيد هو من قتل في سبيل الله فكأن دمه المطلول يشهد له بجهاده، والذي يظهر لي ان هذه اللفظة استعملت أولا للبنايات التي شيدت على قبور أهل البيت، وان أول ما أطلق منها على مشهد الحسين رضي الله عنه حيث دفن بالمكان الذي استشهد فيه ثم على قبر أبيه الامام علي رضي الله عنه ثم على بقية قبور الأئمة حيث أن أكثرهم مات قتلاً أو سماً، ثم اتصل ذلك إلى أهل السنة فبنوا على قبور أئمتهم ومشاهيرهم مصانع دعيت بالمشاهد أيضاً كمشهد أبي حنيفة في بغداد، ومشهد الرفاعي في أم عبيدة، وتوسع رجال الشيعة وأهل السنة في هذا فكانوا يبنون مشاهد على غير قبور ويسبونها لاسم أحد المشاهير المتحقق دفنه ووفاته في بلدة أخرى، فاذا سئلوا عنها أجابوا بأنهم شاهدوا صاحب هذا الاسم بالمنام في هذا المكان وانه طلب ذلك منهم. ونشأ في العهد الفاطمي نوع آخر من المشاهد له صبغته السياسية، فكان الفاطميون إذا استولوا على الشام اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى أهل البيت، وإذا استولى العباسيون أو السلجوقيون أظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى بعض الصحابة، ولذلك فكثير من قبور ومشاهد كلا الفريقين في الشام ومصر مشكوك فيها.

موسى بن جعفر [١] وشرط ان لا تعار [٢]

وفي ترجمة الوزير مجد الدين البهنسي المتوفى سنة (٦٢٨) انه جعل كتبه وقفاً بتربته بسفح قاسيون واجرى عليها اوقافاً جيدة [٣]

وانتشر في العصر الايوبي بناء المدارس الى جانب الترب انتشاراً عظيماً ففي سنة (٥٢٧) بنى صلاح الدين الايوبي تربة الامام الشافعي وانشأ المدرسة الصلاحية بجانبها ، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد المنسوب للحسين بن علي [٤]

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٩) دفن في قلعة دمشق حتى جاء ولده العزيز عثمان الى دمشق فبنى له تربة والى جانبها مدرسة هي من اعظم مدارس دمشق وقف لها وقفاً مليحاً ونقل اباه صلاح الدين اليها [٥]

ولما توفي الملك العادل اخو صلاح الدين سنة (٦١٥) دفن في قلعة دمشق أيضاً ، فبنى له ابنه الملك المعظم تربة ومدرسة دعيت باسمه ونقل اباه اليها [٦] ، والمدرسة المذكورة هي مقر المجمع العلمي العربي بدمشق .

هذه صورة مجملة عن تاريخ الترب الاسلامية وهي تختلف كل الاختلاف عن ترب ومدافن الامم القديمة الخاصة التي لم يقصد منها الا تخليد الذكر والفخار لأصحابها بخلاف المدافن الاسلامية الخاصة التي قصد منها خدمة العلم والثقافة مضافاً الى ذلك تخليد اسماء المشاهير من عظماء المسلمين .

دمشق : محمد أحمد دهمان

(١) هو الشهير بموسى الكاظم بن جعفر الصادق ويعد موسى ثامن الأئمة الاثناعشرية توفي في بغداد سنة (١٨٣) قيل إنه توفي مسموماً .

(٢) الوافي بالوفيات في المكتبة الأحمدية بالاستانة رقم المخطوط (٢٩٢٠) عن السيد يوسف العش . ولعلي بن علي بن وزوبهار ترجمة في الجزء التاسع من عنوان التواريخ لابن الساعي . نشره مصطفى جواد في بغداد عام ١٣٥٣ هـ .

(٣) تنبيه الطالب ، ومختصراه للعلموي والبقاعي .

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٥٣٢ المطبعة الأميرية والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٤ و ٥٥ والتعليقات عليها . (٥) تنبيه الطالب ، ومختصراه للعلموي والبقاعي . (٦) المصدر نفسه .

هل عرف العرب البلهارزية

١ً : توطئة

ليس كاتب هذه الكلمة طبيباً ، انما درس الطب في شبابه مدة سنتين ، ثم عدل عنه الى تحصيل الفلسفة وعلم اللاهوت في مونبليه *Montpellier* ، في فرنسة للترهب فأكبَّ عليهما سبع سنوات ، ثم ترهب .

فما تقرأ هنا ، لا يعتمد عليه الاّ من باب الاطلاع والفضول والوقوف على ما يكتب ، لا من باب العلم الذي لا يرتاب في حقيقته ، ولا من باب التأكيد الذي لا ريب فيه .

ان البلهارزية لم تخلق في هذا العصر ، ولا قبل عصور عدة ، انما وُجدت مع وجود العالم ، وهي « دودة مستطيلة : الى البياض ماهي ، طولها ثلاثة خطوط ، واغلب ما تكون في الاوردة الصغيرة ، في الغشاء المخاطي المبطن للمسالك البولية ، وتسبب البول الدموي في اهالي ديار النيل » (عن لترّه في معجمه الطبي)

وبلهارزية ، كلمة منسوبة الى الطبيب الالماني الذي اكتشفها في مصر واسمهُ *Bilharz* فالعرب كانوا في وادي النيل وعاشوا فيه ، وابناؤهم لا يزالون في تلك الديار ، وهم يصابون بالبول الدموي الى عهدنا هذا ، فلا بد من ان اجدادهم عرفوا هذا الداء والدودة التي تسببهُ ، فما كانوا يسمونها ؟

٢ً : البلهارزية هي قملة النسر .

قرأت في القانون لابن سينا ما هذا نصه الذي انقله بحروفه عن نسختي الخطية (ظهر ص ٧٢٣ وتقع في المجلد ٢ : ١٤٨ من طبعة رومة) :

« فصل في قملة النسر المسماة (دَدَه) بالفارسية ، و (صملوكي) باليونانية ، و (طفانوس) بالهندية .

« وهذه حامة كالقملة ، او كأصغر الديدان ، قال جالينوس : هي صغيرة لا يتوقى منها ، وتكاد لا تبصر لسعتها ، وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ، ومن المقعدة ، ومن المعدة ، بالقيء ، ومن الصدر والرئة ، ومن اصول الاسنان . وربما عظم الخطب فيها ، فلم تقبل الدواء » انتهى

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ٥ : ١٢٠ : « وكذلك يقال ان البعوضة لو الحقت بمقدار جرم الجرّارة [1] ، فانها اصغر العقارب . ثم زادت من تضاعيف ما معها من السمّ على حسب ذلك ، لكانت شرّاً من الدويبة ، التي تسمى بالفارسية دده [2] وهي أصغر من القملة [3] شيئاً . وتكون بمهرجان قذق [4] ، فانها مع صغر جسمها ، تفسّخ الانسان في اسرع من الاشارة باليد ؛ وهي تمض وتلسع ، وهي من ذوات الافواه ، وهي التي يزعمهم يقال انها قملة استحالت هذه الدابة الخبيثة » انتهى .

٣ : سبب تسميتها بقملة النسر

يظن بعضهم ان قملة النسر سميت بهذا الاسم لأنها تكون فيه ، لا تخرج منه ، فتهجم على الناس . هذا في رأي الأقدمين ، وليس من العلماء المحدثين من يرى هذا الرأي ، فهي لا توجد فيه ، وان وُجدت ، فكيف تصل الى الانسان وكيف تهجم عليه ، ولا سيما في المواطن التي لا نسرَ فيها ، ولا أثر لهُ فيها ؟ ثم كيف تصل الى مسالكه البولية ؟

والذي عندنا انها سميت بذلك للاشارة الى انها تفتك بالانسان ، فتك النسر بصيده ، او من باب اضافة الحقير الصغير الى الجليل الكبير ، تعظيماً له ولأمره ولفعله . فقد قال الأقدمون منا : أسد الله ، وسيف الله ، وقوس الله ، ورُمح الله ،

(١) الجرّار : ضرب من العقرب صغير خبيث يعرف بهذا الاسم في بغداد ، واحده جرّارة . وفي الأصل المطبوع الجرادة وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل المطبوع ذروة وهو خطأ بين .

(٣) وفي الأصل المطبوع : أكبر من القملة شيئاً ، وهو وهم اخر .

(٤) وفي الأصل المطبوع : بمهرجان فرق ، وهذه كبوة أخرى .

وكلب الله ، الى نظائرها من التعابير ، ونحن نعلم ان ليس لله أسد ولا سيف ولا قوس ولا رمح ولا كلب ، بل كل ذلك من باب التعظيم والاجلال .

٤ : مترادفات قملة النسر

قال ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة علي بن منصور الحلبي (طبعة مرجليوث ٥ : ٤٢٧) [١] : « واتفق ان الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها ، وكان نصرانياً » اه .

وذكر التراقي ابن الاثير في كامله . قال (في المجلد ١٠ : ٣٧٤ من طبعة الافرنج) : « في هذه السنة (٥١٢) . سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفي المستظهر بالله ، ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ، وكان مرضه التراقي [٢]

وعندنا ان التراقي من اصل فارسي هو (تِراك) كسحاب وكتاب . ومعناها الشق والقلع والفلق وسمي كذلك لأن هذه الدودة تحدث فلماً دقيقاً في المكان الذي تقيم فيه ، وعربت بقاف في الآخر وزيادة الياء ، كأنهم أرادوا ان يقولوا : ذات الصدع او الصادعة .

على أن لها تأويلاً في اللغة الضادية وهو : ان التراقي جمع ترقية مصدر رقي .

(١) نحن لا نستشهد بطبعة الدكتور احمد فريد رفاعي بك فانها كثيرة الغلط والتصحيف وأوهام الطبع ، فان هذه الترجمة وقعت في المجلد ١٥ ص ٨٣ وما يليها . فقد جاء مثلاً في الأبيات المذكورة في ص ٨٧ ما هذا نصه : « إن الزمان قد نفر » وفي مرجليوث : قد نصر — وفيها : فقد عدا على النصر . وفي مرجليوث : نقد غدا — وفيها : من غره — وفي مرجليوث : من غرة . ونحن لا ننكر ان لرواية الدكتور أوجهاً أصح من أوجه مرجليوث لكن يحسن به أن يذكر الروايتين ليتبين الفرق بينهما وينتقي القارئ ما يشاء أو ما يستصوبه .

(٢) لاحظ ابن الاثير ان المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله مات بالعلة التي توفي بها والده ، وهذه عبارته : « في هذه السنة (٥٥٥) ثاني ربيع الأول توفي امير المؤمنين المقتفي لأمر الله . أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس احمد بن المقتدي بأمر الله رضي الله عنه بعلة التراقي ... ووافق أباه المستظهر بالله في علة التراقي ، وماتا جميعاً في ربيع الأول » اه .

ولا شك ان الابن تلقى مرضه من والده ، وإن لم يكن هذا المرض معدياً في حد نفسه . هذا الذي يتبين من الظواهر ، ولعل هناك سبباً آخر يدلنا عليه اطباؤنا المهرة الحذاق .

وسبب تسميتها بذلك انها اذا دخلت الجسم ارتقت فيه شيئاً فشيئاً حتى تبلغ مسلك البول ، فتجد فيه بيئة صالحة تعيش فيه وتنمو نمواً يزيدها توالداً وتكاثراً ، فهي ذات تراقٍ .

وأما اسمها (الشقفة) فانهُ مشتق من الإرَمية من فعل (شقفْ) ومعناها الرضة والشدخة والصدعة - اي بمعنى اختها (التراقي) ، ان سلمنا انها من الفارسية ، وهو الرأي الاشبه . ويجب ان تضبط (الشقفة) وزان (الغرفة) بخلاف ما ضبطها الدكتور احمد فريد رفاعي بك اذ جاء البيت الآتي مضبوطاً هكذا :

بِشقفةٍ بين مِنكبيهِ رشاؤها في قليب قلبهِ

وهنا غلط آخر وهو ضبط المنكب ، كمنبر والصواب كمنزِل .

وقد شرحنا سبب تسمية هذهِ الدودة بقملة النسر فلا نعود الى ذكره ثانية .

وان قال قائل : ليست قملة النسر بالبلهارزية فنسأله : اذن ماهي ؟

٥ً : دودة اخرى : خرز الطين

وذكر القانون بعد قملة النسر هامة أخرى سماها « خرز الطين » ووصفها هكذا ، فقال :

« فصل في الطبوع وخرز الطين ، وهي دابة كثيرة الأرجل ، حادة السم ، هي في أحكام قملة النسر » اهـ .

قلنا : اذن هي مؤذية اذى قملة النسر ، أفلا يوافق هذا الوصف ما قيل في الهامة التي يسميها العلماء : *Trichodectes* ، فانها كثيرة الأهداب او الارجل وتعيش في المستنقعات ، غريبة الشكل ، تكاد تشبه الخرز في ظاهرها ، وتتشبث بالكلاب فيقال لها *Trichodectes canis* ، وبالمِعزى فيقال لها : *T.climax* ، وبالبقر فتدعى *T.scalaris* وبالخرفان فتسمى *T.sphoeroce phalus* .

فأنا اطرح هاتين الكلمتين على مائدة النقد والتحقيق والتدقيق في النظر ، لتنجلي الحقيقة الناصلة في هذا الموضوع الغريب :

ومن العجب ان معاجم اللغة لم تذكر اسماً من الأسماء الثلاثة ، ولا خرز الطين . وقد جاءت هذه الأخيرة مصحفة تصحيفات غريبة في نسخ القانون ، من مطبوعة ومخطوطة ، وانا اذكر هنا ما وقع طائر بصري عليها وهي : خزر الطين ، بتقديم الزاي على الراء . — وخزز الطين ، بزايين . وحرز الطين ، بحاء مهملة وراء وزاي — وجرز الطين ، بجيم وراء وزاي . وعسى ان يقوم من دكاترتنا الممعنين في الطب واللغة ، من يزيل الابهام عن هذه الالفاظ فيكسب شكر جميع الناطقين بالضاد .

بغداد : الأب انستاس ماري الكرملي



مفردات القرآن

ولا تقول غريب القرآن ، لأن مدارسة القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة مجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوفة الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المغزى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقير عنها في مطاوي المعاجم المبسوطة . وقديمًا عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأنى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البديهيات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظماء ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغاته ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكناياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسيرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفًا لكتف ، فأسفر هذا التآزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبديهي ان مفردات القرآن كتراكيبه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وانها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين . ولله شيخ المعرة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن المحجة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالاعجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال . . . وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ،

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ولا مرية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون أكثر ما يرمي اليه من المعاني ، وما يومئ اليه من المغازي ، واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .

وأكثر ما يكون تسآلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل : القرآن . والايمان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غبر الناس على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، الى ان فتح على العرب ممالك الأعاجم ، واختلطوا بحمرائها ، وصفرائها ، وبيضائها ، وسودائها . ومن هناك أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من بين فارسي ، ورومي . ونبطي ، وحبشي ، وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والمتاجرة . وبذلك تداخلت اللغات ، ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبلبل ، فجاءت مختلفة السلائق ، مضطربة الألسنة ، كما نبتت نابتة من أبناء الأعاجم ثقفت من العربية ما يسد حاجتها في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذر قرن لغة أمشاج ؛ لا هي بالعربية الصافية . ولا العجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة ان ملكت الهجين من السنة الدهماء ، واحتلت مكانة ضيقت فيها على المعربة أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .

ومن هنا شعرت جمهرة القوم بمسيس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ القرآن الكريم ، واستجلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مراميها بحكم سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به يتثرون وينظمون .

ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفاقم الاضطراب

والاختبال — استفزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه الف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماه (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلا .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس ائمة اللغة الا وتجد صدره متحلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الانباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عارية من الترتيب غفلاً من التبويب ، وكانت بالمجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب - واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٣٣٠) فألف كتابه المشهور (بنزهة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه ، فبدأ بالهمزة المفتوحة ، وثنى بالمضمومة ، وثلث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أتقن ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهده بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر .

ولم تزل التآليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١) وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غريبي القرآن والحديث ، ورتبه على حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح . واثبتها في حروفها وذكر معانيها . فاذا أراد الانسان كلمة وجدها في حرفها . فجمع كتابه هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى أن جاء الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه مافات الهروي من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ، وغبر الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقهما من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتبًا على حروف الهجاء ، مقدماً ما أول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات التي بين الالفاظ المستعارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من أحسن ما الف في بابه من حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو — في نظرنا — افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الألفاظ القرآنية ، وعليه اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها . ولم نعرف من بعده كتاباً يفضله في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمنقول عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجد ذلك منثوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها جلال الدين السيوطي في (الاتقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الايجاز .

بغداد : طه الراوي

خريطة العالم العربي

من سنة ١١٥٤ ميلادية

حصر الغرب اللغات العلمية المدنية باللغتين اللاتينية واليونانية . وأرى انه كان للغة العربية في القرون الوسطى أثر في المدنية الغربية ، فهي فضلاً عن أنها أم المدنية الاسلامية ، تستحق أن تعد ثالثة اللغات المدنية الغربية .

وبرهاناً على هذه الحقيقة التاريخية (التي ظلمها الغرب في ابنتها الشرعية) أقدم لكم شاهداً عدلاً وهو : ان أول خريطة عالمية بالمعنى العصري ، كانت تحتوي على تفاصيل جغرافية اوربا وافريقية وآسيا ، نشرت في أوربا سنة ١١٥٤ ميلادية ، وكان نشرها باللغة العربية .

وقعت قبل هذه الخريطة بالف سنة محاولة وضع خريطة عمومية باللغة اليونانية للأراضي المعروفة في تلك العصور وقد رسمها بطلميوس بمصر . الا أن خريطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية . لأنه ذكر في خريطته نحو ثمانية آلاف من أسامي الأمكنة . والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر في خريطته . أما هذه الخريطة العربية فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم في خرائطنا العصرية ومعلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعتبر هذه الخريطة خريطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

رسمت هذه الخريطة بمدينة بالرمه *Palermo* في جزيرة صقلية . رسمها ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي .

يقال أنه ولد في أسيوط سنة الف ومئة ميلادية . وتوفي سنة ١١٦٣ ميلادية وكان يشتغل بالعلوم في قرطبة ، وقد ساح الأقطار وألقى عصا التسيار في جزيرة صقلية عند ملكها روجار الثاني ملك جزيرة صقلية وايطاليا الجنوبية وقسم من شبه جزيرة البلقان من سنة ١١٣٩ — الى سنة ١١٥٤ . وعاصمته مدينة بالرمة .

وكان هذا الملك يعنى بالجغرافيا ، كان يجمع المعلومات الجغرافية من أقطار العالم كافة ، ثم عزم على هذا العالم العربي الادريسي أن ينشر هذه المعلومات ويرسم عليها خريطة جغرافية لأوربا وافريقية وآسيا . فقام الادريسي بهذا الأمر المهم حق القيام ، ونشر كل ما جمعه الملك من المعلومات ، وزاد عليها وكملها بما حصله هو نفسه باجتهاده طول عمره .

فوضع أول مصوّر عالمي باللغة العربية وقد حفره ونقشه على لوح فضي بشكل خوان ، يقوم على قوائم ، طوله متر ونصف وعرضه ثلاثة أمتار .

صرف الادريسي في سبيل تحقيق المعلومات التي كان جمعها الملك روجار ، وفي ترتيبها ، وفي جمع المعلومات الجديدة ، وكتابتها وحفرها زيادة على خمس عشرة سنة كاملة .

وفي السنة (١١٥٣ — ١١٥٤) وهي السنة الأخيرة من هذه الأعمال الكبيرة أصاب الملك مرض ، والغالب ان الادريسي عجل في اتمام عمله وخريطته حتى يراها الملك العظيم قبل موته ، وقد وفق الى اتمام عمله الكبير في ربيع سنة ١١٥٤ ميلادية حتى تمكن الملك الكريم من رؤية نتيجة مساعيه الجليلة ، فتوفاه الله بعد قليل من الزمن .

وقد كان لهذه الخريطة في عهدها أثر عظيم فانتبه لذلك الشرق والغرب . يشهد بذلك كثرة النسخ المحفوظة في الخزائن الغربية ، ومن الأسف أن تلك النسخ كلها متجزئة . فما كان الناسخ يستنسخ الا ما كان له علاقة بوطنه . ولم يعهد من استنسخ الخريطة باجمعها .

أما الخوان الفضي الذي خرطت عليه هذه الخريطة البديعة فقد صار فريسة حروب ، فضاعت الخريطة بيد طامع طمع في فضتها فأذابها .

وجاء العالم الألماني قونراد ميلار *Konrad miller* فبعث هذه الخريطة البديعة بجميع أجزائها المشتتة من قبورها المتفرقة ، فاشتغل هذا العالم سنين عديدة جامعاً كل الاجزاء وكساها شكلاً يشبه هيئتها الأصلية وطبعها سنة ١٩٣٧ ، وكتب الأسامي العربية كلها بالحروف اللاتينية . وصارت كل الحروف منكوسة رؤوسها

الى اسفل، على نظام الخرائط العربية القديمة، لأن الجنوب فيها فوق الصحيفة . ثم طبعت الخريطة سنة ١٩٣١ طبعة ثانية . وقد أرسلت اليكم بنسخة منها فوتوغرافية . ومن يرغب في اقتنائها فليراجع ناشريها في ليبسيك .



ولننظر نظرة اجمالية اول خريطة للعالم المتمدن القديم ، ولا يتعجبنّ الناظر اذا رأى قلة الاتقان في تخطيط حدود البحار والأراضي لأن أسباب الاتقان لم تكن متوفرة عندهم في تلك الأزمان ، حتى لم تكن عندهم الابرة = البوصله *Bussola* ولم يكن عندهم مابه يمسحون المسافات البعيدة . وما كانوا يرسمون الا على صور ذهنية كانت تحفظ في حافظاتهم بالمشاهدة الذاتية او من حكايات أهل السياحة .

ويظهر لنا من خريطة الشريف الادريسي انه كان يعرف الغرب والشرق معرفة جيدة ، وان لم يكن يجيد الرسم . ومركز المعمورة في زمنه على حسب عقيدته كان الشام بمدنها : دمشق ، وحمص ، وبيروت وغيرها ، وفي شرق الشام : العراق وايران والتركستان ، وفي جنوب الشام : جزيرة العرب . ولا يستغرب اذا كان الادريسي لا يعرف آسيا الشرقية والشمالية معرفة جيدة فالقليل الذي كان يعرفه منها له قيمة كبيرة عندنا اليوم . والادريسي وان لم يكن يجيد معرفة اوربا

الشمالية الا انه كان يعرف أوربا الغربية وافريقية معرفة تامة . وكان يعرف ان النيل ينبع من الحياض الكبيرة في أواسط افريقية — وكان يعرف اكثر مما كان يعرفه الغرب قبل اليوم بمئة سنة لأن الغرب لم يكتشف منابع النيل الا في العصر الماضي ، ومن هذه الينابيع يجري النهر الآخر العظيم الى الغرب ، وكان يعرفه العالم العربي الادريسي قبل أوربا بسبعمائة سنة .

وظهرت اليوم مسألة مبهمة بالنسبة للعلم الحديث وهي اثبات ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات الجغرافية في خرائطنا العصرية للعالم المتمدن القديم . وذلك بأن ترسم خريطة تاريخية للعالم القديم على حسب ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات اي بتقدير المسافات وتعيين حدود الأراضي والسواحل والبحار والجبال والأنهار على غاية الاتقان . ويتأتى حينئذ لكل راغب أن يرى رأي العين اكمل خريطة تاريخية للعالم القديم على النحو الذي كان يعرفها العالم العربي في عصره .

ولبيان ان حل مثل هذه المسألة ممكن سهل ، آتي بشاهد من وطننا فنلاند في أقاصي الشمال البعيدة ، وان ضنت خريطة الادريسي الكريم بمعرفة شيء عن بلادنا . وذلك ان الأخوين المعروفين من بيت العلم الشهير: احدهما تال غرين — توليو والثاني آ . م . تال غرين قد تمكنا من تعيين مكان واهمية كل ما أتى به الادريسي في خريطته من المعلومات القليلة ، ورسماها في خريطة فنلاند العصرية بغاية الاتقان . ثم نشرت رسالة صغيرة ذات أربع وخمسين ومئة صفحة في البحث العلمي المهم باسم *Studia Orientalia III. Idrisi: La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux* ولها لواحق عديدة ذات مكانة جديدة .

أما الأقطار التي كان يعرفها الادريسي معرفة جيدة فان أهل العلم الحديث اتوا فيها بخدمات علمية جليلة ونشروها وما زالوا ينشرونها . وهي ، على ما نظن ، معلومة لديكم .

فنلندة كاننماس — آلا يوحنا آهتينن كارسيكو

مخطوطات ومطبوعات

انباء الغمر بأبناء العمر

من نفائس مخطوطات المدرسة العثمانية بحلب (انباء الغمر بأبناء العمر) للحافظ الامام الشيخ احمد بن علي بن حجر العسقلاني . وهو في مجلدين ضخمين الأول في ٤٤٤ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدئ من سنة ٧٧٣ وهي تاريخ ولادة الحافظ ابن حجر وينتهي في سنة ٨١١

والمجلد الثاني في ٤٠٤ اربع واربعمائة صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدئ فيه من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٥٢ الى السنة التي توفى فيها المؤلف . والنسخة مقروءة مع شيء من الصعوبة وعلى حواشيها هوامش كثيرة منقولة من تاريخ البدر العيني الا ان كاتب الحواشي هو غير كاتب الأصل ، وكتب على ظاهر المجلد الثاني مانصه : هذه النسخة بخط سبط المؤلف

والمؤلف يذكر حوادث كل سنة في مصر وغيرها ويعقب ذلك بذكر من توفي فيها من الاعيان ، الا ان معظم الحوادث التي فيه هي مما كان في مصر . وآخر ترجمة فيه ترجمة ابراهيم بن رضوان الشيخ برهان الدين الحلبي . وبعدها ما نصه : هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الإمام الحافظ القاضي شهاب الدين ابي الفضل احمد ابن حجر الشافعي ..

قال في كشف الظنون : اول هذا الكتاب الحمد لله الباقي وكل شيء يفنى الخ ذكر فيه انه جمع الحوادث التي ادركها منذ ولد سنة ٧٧٣ وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوفياً لرواة الحديث . وغالب ما نقله من تاريخ ناصر الدين ابن الفرات وصارم الدين بن دقماق والمقريزي والتقي الفاسي والصلاح خليل الأقفهسي والبدر العيني واورد ما شاهده ايضاً . قال وهذا الكتاب يحسن من حيث

الحوادث ان يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير [1] فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ومن حيث الوفيات ان يكون ذيلاً على وفيات تقي الدين بن رافع وانتهى فيه الى سنة ٨٥٠

واذكر اني رأيت مسودة المؤلف في المكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تشطيب وحواش وتكاد لا تقرأ لرداءة خط المؤلف رحمه الله تعالى

ويوجد من هذا التاريخ نسختان في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الآستانة الأولى في مجلدين رقمها ١٠٠٥ — ١٠٠٦ والثانية في مجلدين أيضاً رقمها ١٠٠٧ — ١٠٠٨

ولا ريب ان الكتاب جدير بالطبع لأن به تتصل سلسلة الحوادث التي وقعت في هذه السنين ونقف على من توفي فيها بصورة متسلسلة ·

ولا ريب ان بالبحث يوجد منه نسخ غير التي ذكرناها وانا نرجو ممن يقف على نسخ منه ان يكتب لمجلة المجمع لعل ذلك يكون سبباً لنشر هذا السفر النفيس فتعم الاستفادة منه عشاق الأدب والتاريخ والعلم

حلب: محمد راغب الطباخ

«الاجابة ، لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة»

(تأليف الامام بدر الدين الزركشي)

عُني بتحقيقه ، ووضع مقدمته ، وتعاليقه وفهارسه سعيد الأفغاني ·

طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ سنة ١٩٣٩ م ·

أحسن الاستاذ الافغاني كل الإحسان باستخراجه هذه الرسالة النفيسة من كنوز المكتبة الظاهرية ، واحيائها بالطبع والنشر ، فان ام المؤمنين عائشة (رض)

(١) هذا التاريخ طبع في مصر ومنه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب في عشر مجلدات وقد نقل منها بواسطتنا لناشره خمس مجلدات ويظهر أنه وجد بعد ذلك نسخة أخرى في مصر فاستغنى عن استنساخ الباقي

هي احدى المعجزات الخالدة في بيان مشكلات التفسير والحديث والفتاوى والأحكام . ومسندها في (ج ٦) من مسند احمد بن محمد بن حنبل يقع في (٢٥٣) صفحة . وعلى علمها وفهمها المعول فيما كان يقع فيه التنازع بين كبار الصحابة (رض) في النوازل والأحكام ، لا سيما في معرفة ما كان يفعله الرسول (ص) في بيته . و « الاجابة » توقف المطالع على سر عظمة هذه السيدة ، وعلو مكانتها ، وهي في الأصل مائة صفحة الا قليلا ؛ ولكن الاستاذ الناشر بما قدم لها ، وعلق عليها ، ووضع من فهارس في آخرها ، أبلغها الى (٢٣٠) صفحة بالقطع المتوسط .

وقد رتب الإمام الزركشي كتابه على مقدمة وثلاثة أبواب (الباب الأول) في ترجمة عائشة وفيه فصلان (١) في ذكر شيء من حالها و (٢) في خصائصها ومزاياها ، وقد عدّ منها (٤٢) واحدة (الباب الثاني) في استدراكاتها على أعلام الصحابة ، وفيه استدراكات على (٢٤) صحابيا وصحابية في مسائل كثيرة من التفسير والحديث والعبادات والمعاملات (الباب الثالث) في الاستدراكات العامة ، وفيه (١١) استدراكا ، وفي ذيله أربعة أخر .

وأما الاستاذ الأفغاني فقد صدّر الكتاب بمقدمة في نحو ثلاثين صفحة ، تضمنت وصف « الإجابة » وسعة علم عائشة ، وترجمة المؤلف ، وعدد تآليفه ، وشيئا عنها ، ووصف النسخة الظاهرية الفريدة التي ظفر بها ، وما لقي في سبيل تصحيحها واخراجها ، وعرض نماذج منها مأخوذة بالتصوير الشمسي . وقد علق على هذا الكتاب تعليقات دلت على بذل جهد ، واستنفاد طاقة ووسع ، فقد راجع لأجله عشرات المظان من دواوين السنة وشروحها ، ومعاجم الحديث الخطية كمعجم الطبراني الكبير ، وكتب الرجال والطبقات ، فجاءت تعليقاته وافية بالقصد ، ثم ختم الكتاب بفهارس خمسة مفصلة (١) للأعلام (٢) للجماعات (٣) للأماكن (٤) للكتب (٥) للموضوعات وفي الصفحة الأخيرة تصحيح للأغلاط ، ونحن نشير الى الاغلاط القليلة التي لم نرها مصححة ، وقل أن يخلو من مثلها كتاب :

ص ٥ س ٧ : وعروة وابن الزبير، والصواب: عروة بن الزبير وفي ص ٥ في التعليق: انظر مسند احمد ج ٦ ص ٩ : ليس في هذه الصفحة ما أشار اليه، ولكن في غيرها ما يدل عليه.

			الخطأ	الصواب
ص ٢٠	س ٢٠		فما زلت ارجع إلا الأمهات	إلى الأمهات
٤٥	٦		وروي عيها	عنها
٦٩	١١		ابن ماجة	ابن ماجه، بالهاء الساكنة وصلا ووقفاً، فتراجع في فهرس الأعلام وتصحح، والغلط من قلم الناسخ، لا الناشر.
٧٢	١٣		ادخل البيت الذي دفن معها عمر	: دفن فيه معهما عمر.
٧٣	١٣		اعلى الدلاء من اسفله	: من اسفلها
٧٤	١٨		فوق بعضها	: بعضها فوق بعض
١٠٩	١٠		عن وتر رسول	: رسول الله.
١٢٠	١٨		من مسند أبي داوود	: داود: بواو واحدة، وتراجع في فهرس الأعلام للتصحيح

ولما وصف الأستاذ الأفغاني مؤلفات الزركشي قال عن (لقطة العجلان) منها: وقد طبع في دمشق مؤخراً» (أي سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م) والصواب أن هذا الكتاب — الباحث في أصول الفقه والحكمة والمنطق والتوحيد — قد طبع أولاً في مصر بمطبعة والدة عباس (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٨ م بشرح الإمام جمال الدين القاسمي، ومن غرائب اتفاق القدر أنا قرأناه بشرح أستاذنا القاسمي عليه عام وفاته (سنة ١٣٣٢) فكان عمر المؤلف والشارح واحداً، وهو تسعة واربعون عاماً، رحمهما الله تعالى. وقد طبع شرح القاضي زكريا على لقطة العجلان ايضاً، وطبع

شرح الزركشي على جمع الجوامع في (اصول الفقه) للسبكي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

وبعد فقد وجه الاستاذ الأفغاني في مقدمته أنظار نساء العصر الى علم عائشة (رض) فقال في (ص ٦) : ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهن في صدر الإسلام تتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية ، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك »

واقول : ان الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الأدب او الحقوق أو الطب ، أو شهادة التخصص (الدكتوراه) بالفلسفة والتربية ، ولكنا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية فتاة تحمل شهادة ابتدائية في الدين ، دع المتوسطة والعالية ! فان قيل : وأين تتخصص الفتاة الحاملة لشهادة (البكالوريا) أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية ؟ فالجواب من وجهين :

(١) يجب أن نطالب الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت انشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة ، وفوائده جزيلة .

(٢) ان الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء المسلمين عامة ، لا للمصريين خاصة ، فمن السهل علي بناتنا من حاملات البكالوريا ، ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصحبن بعض ذوي المحارم ، وينهلن من معين الشريعة الصافي ، ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح .

محمد بهجة البيطار

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ ص القسم العربي مع الذيل والفهارس و٥٧ ص الترجمة الاسبانية
بوسكا . العرائش (المغرب) ١٩٤٠

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً في نفس كل عربي يثير فيها العبرة والدمعة معاً .

ولعل اغرب ما في هذا الدرس تلك الفوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين .

وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والإسبان وشاهد عن كثب ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب اموال وسبي نساء وذراري ، واجلاء عن الاوطان واستباحة لحرمات المعابد والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق السفر وأطفال وأرامل أقعدهم الضعف [1] ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الإسبان أنفسهم هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الإسبان حينئذ قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم .

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن نصر ... ابن الملوك النصريين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ، وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة . وعولت في ذلك على الاختصار وتركت التطويل والاكثار » [2]

(١) ص ٤٤ ، ٤٥ (٢) ص (١)

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لوشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتألب أهل وادي آش وغرناطة معها وموقعة بلش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والرندة وموقعة المكلين ، واستيلاء النصارى على حصن قنبيل ولوشه وإلبيرة — وحصار مدينة مالقة والبسطة وحصن الشلوبانية ثم حصار غرناطة وتسليمها ٠

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبداها العرب على قلتهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إدبار ٠ وأشد ما يفجعك هو خروج الخارجين على الأمراء وانقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض ، واستعانتهم بعدوهم على قومهم واهل ملتهم حتى اذا انتهيت الى آخر الكتاب لم تملك دمعتك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بخبث ملك قشتاله وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزبيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان ٠

وفي آخر الكتاب فصل قيم الفائدة في (نزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب ٠ وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتحرق من الألم والتفجع وتجزم حين تقرؤه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عبرته ما ترقأ ، اسمعه وقد صور لنا غدر ملك قشتاله بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في نقض الشروط شرطاً شرطاً وحلها فصلاً فصلاً الى أن نقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدركهم الهوان والذلة ٠٠٠ ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهراً ٠٠ وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدمين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ... فيالها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما اعظمها واضرها وطامة ما أكبرها ... وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الاندلس نور الإسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون فإنا لله وإنا اليه راجعون.[1]

***

نشر هذا الكتاب الأستاذ ألفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه وهو من منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة النشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .

هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : « أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي »[2] ففي هذا الحكم مبالغة شديدة لأن الهفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [يعني الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب او جازم كما سنشير اليه ، هذه الهفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الاستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة واذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فما ندري ما وجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٦ و٢٣) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي .

وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخبر منه في العربية ليتداركها له ونحن مشيرون الى اهمها :

(١) ص ٤٤ ، ٤٥ (٢) ص 19

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحيي وصوابها تحيا — دعى وصوابها دعا — الاستأذان وصوابها الاستئذان فتفتنا وصوابها فاتنتنا مؤريخي : مؤرخي — ا المبديء : المبدىء — المنشيء : المنشىء ٢ علي ابن سعد : علي بن سعد — ٦ عن من : عمن — ٣٥ أولائك : أولئك ٤٤ سبي نسائهم : سبي نساءهم — ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد ، بنوا منديل : بنو منديل

ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناشر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم اهتدائه الى تحريف النساخ والإشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مداقًا	مدافعًا
٥ انبثها	اثبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الانتفاض	الانتقاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ يأمراهم	يأمرائهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموهم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نقذ	نفد	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين

٢٦ وُقتل منه خلقًا : وقتل معه خلق ٧٧ ليعاقبونهم ليعاقبوهم

وهناك نقص وابهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعمل الحيلة في الدخول عليهم والتقصير والتفريط .) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا شيئًا الا سقف المدينة خاصة) و ص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوهم من حينهم) مما لا يفهم في الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف. وهذه المآخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في أغلاط الرسم بالرقم الفرنجي :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فهابيهم جلال المكان	فهابوا جلال المكان	الأمتين التي	13 الامتين اللتين
8 الخفيل	الخضل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغيرون	يغارون		

وقوله ص 11 : (بينما كان العراق يتفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بتأثيرهم وتتأثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه .

ولا تخلو لغته من ركاكة كتتابع الإضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » وكقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية المرهونة بحرارة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسعنا الا أن نثني على عاطفته العربية الحارة التي أشعرنا بها في أول الكتاب وان نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود فنشكره في هذه المجلة ثانية وثالثة ان شاء الله (١)

سعيد الافغاني

---

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بعث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان غرناطة إلى الدون خوان الثاني سلطان قشتاله وليون بتاريخ ٥ من ذي القعدة عام ٨٤٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب .

تاريخ حمص – القسم الأول – للخوري عيسى اسعد

عدد صفحاته ٤٦٧ ويحتوي على ٣٦ صورة ، طبع في حمص
عام ١٩٣٩

شاء المؤلف ان يضيف الى سلسلة تاريخ سورية حلقة جديدة جمع فيها أخبار حمص منذ نشأتها الأولى حتى الفتح الاسلامي ، ومن يطالع هذا الكتاب يدرك الجهود التي بذلها المؤلف حتى جمع أخبارها ووفق لاستنتاج حوادثها لا سيما في اقدم عصورها . يستدل من عنوان الكتاب بأن المؤلف قد اقتصر على تاريخ حمص والحقيقة قد تعداه الى بعض أخبار الديار الشامية ومن بسط سلطانه عليها من الأمم المجاورة وذلك تعميماً للفائدة وتنويراً للحقيقة .

يتجلى في ابحاث هذا الكتاب عطف المؤلف على مدينته حمص وعصبيته لها فأحب أن يبر بها ويجعل لها تاريخاً عريقاً بالقدم يتفق مع ما يرغبه لها من المكانة التاريخية فقدمها على سواها من امهات المدن مثل قدش وقطنا وتونانات وغيرها من البلدان التي رددتها الوثائق التاريخية وقد اختار لها اسم (صوبا) الوارد ذكرها بالتوراة مع ان هذا اسم مقاطعة لا اسم بلدة واليها نسبت (حماة صوبا) و (ارام صوبا) كما تقول اليوم دمشق الشام وطرابلس الشام . واما استدلاله عن نشأتها الأولى بموقعها الجغرافي وازدهارها الزراعي فحجته فيه ضعيفة . وكل ما يمكن قوله اليوم — ان سلمنا بقدم حمص — انها كانت قرية نكرة لا حول لها ولا قوة والا لما اغفل اسمها واغمط حقها في العصور المتقدمة . وما نعلمه ان حمص بدأت شهرتها في العهد السلوقي حينما ازدهرت في ظل اسرة شميغرام العربية فتبوأت حينئذ مكانتها في تاريخ سورية .

جعفر الحسني

انساب الأشراف للبلاذري

أخذت الجامعة العربية في القدس تنشر كتاب انساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان المتوفى سنة٢٧٩ وذلك عن النسخة الوحيدة المحفوظة في احدى دور كتب الاستانة . « وانساب الأشراف هذا يشتمل على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه أنساب قبائل العرب . فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره ونكتته المستجادة وما قيل فيه من الشعر او بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته » .

وقد تولى تصحيح الجزء الرابع من الكتاب الاستاذ غويتاين فجاء الأصل في ٣٧٩ صفحة عدا الفهارس والتعاليق التي جعلت بالعربية والعبرية والانكليزية وتولى تصحيح القسم الثاني من الجزء الرابع الاستاذ شلوسنجر فجاء في ١٧٠ صفحة عدا الفهارس والتعاليق وهي أيضاً بالعربية والعبرية والانكليزية . وقد بذل الناشران عناية فائقة في تصحيح المتن فاستحقا ثناء العلماء على عملها المشكور واستحقت الجامعة الشكر الجزيل على احيائها هذا الكتاب الأم من كتب التاريخ بهذا الاتقان بالطبع والوضع .

وقد وقعت للأستاذين الناشرين بعض هنات نرى أن نلفت نظرهما الى بعضها ومنها في الجزء الخامس صفحة ٩٧ خ مُرِّجت أماناتهم بـ ص مرَجت أماناتهم ص ١٧٤ . اهل المعادن — اهل المعاون ٢٠٦ : وذرية الرماح — ودريئة للرماح . وأشياء من هذا القبيل وأكثرها مما يغتفر . اما في القسم الثاني من الجزء الرابع فقد وقع فيه هنات في الاملاء والرسم قليلة وأشياء مثل ص ٨٦ : آكولا : أكولا .

١٢١ : وناديتم أهل بلدكم — ناوأتم · ١٣٦ : سخيناً لسيننا — لسناً ص ٣ بالقسر قذونة : بالخذقدونة ويقال خلقدونة وهو الثغر الذي منه المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة ويقال لها الغذقدونة أيضاً كما في معجم البلدان لياقوت

وهذان البيتان اللذان نسبا زوراً لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وفيهما ورد اسم الخذقدونة مما وضعه عليه المنحرفون عن بني أمية : والبيتان

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم

وقد وردا في البلاذري مقلوبين اي الأول ثانياً والثاني أولاً

وكذلك يقال فيما أورده له البلاذري في الصفحة الأولى من أبيات ادعى الراوون أن يزيد قالها لامرأته أم خالد ما إخالها تصدر عن أعظم الخلعاء فكيف عن خليفة أعداؤه أكثر من أوليائه والعهد بالدين قريب والصحابة والتابعون بالمرصاد يرجعون الى الدين كل من ضل عن الجادة · وقد وقعت للبلاذري أشياء نقلها عن رواة غير ثقات يقصد بها التهريج وارضاء بني العباس وبني علي ولو صح واحد من عشرة مما اتهم به يزيد بن معاوية لسارع أهله قبل كل الناس الى قتله · والبلاذري منحرف عن بني أمية مثل الواقدي وأبي مخنف سامحهم الله ·

محمد كرد علي

ليالي الملاح التائه

للاستاذ علي محمود طه : شركة فن الطباعة بمصر ، صفحاته ١٤٩

ديوان شعر لطيف الحجم صقيل الورق وجميل الطبع والتصوير ، يدلُّ على تقدم فن الطباعة بمصر وهو يشتمل على سبع وعشرين قصيدة ، قوية الشعور ، محلقة الخيال مع سبك عربيّ الاسلوب ونزعة الى التفنن والتجديد

عبقر

للاستاذ شفيق المعلوف ، صفحاته ١١٢

ويدل هذا الديوان أيضاً على تقدم فن الطباعة العربية تقدماً لا تحسد معه الطباعة الغربية على أبداعها ، وشعر الاستاذ شفيق رقيق التعبير ، يشبه الموشحات بافنانه ، وتزينه صور فنية للمصور الايطالي فرنكو شيني ، فالديوان على ذلك من طرف الفن بتعبيره وتصويره .



آراء وانباء

دار الكتب الوطنية في حلب

حدث خلال توقف مجلة المجمع العلمي العربي عن الصدور ، حادث يرتاح لذكره جمهرة المثقفين في الديار الشامية . وهو انه ما كاد الامير مصطفى الشهابي أحد اعضاء مجمعنا يتقلد في اوائل السنة ١٩٣٧ منصب محافظ مقاطعة حلب ، حتى جعل في مقدمة اعماله تشييد بناء عظيم يتخذ داراً للكتب وغرفاً للمطالعة وردهة للمحاضرات . ومن المعروف ان مدينة الشهباء كانت حتى ذلك اليوم خالية من بناء يحاكي المدرسة العادلية او الظاهرية او مدرج الجامعة السورية في دمشق ، وان فرع المجمع العلمي في حلب لم يكن له بناء للاجتماع والمحاضرة وحفظ الكتب والمطالعة .

وعندما راجع الأمير الشهابي مجلس الوزراء في هذا الصدد ، وجد أن تدارك المال من ميزانية الدولة ، لتشييد البناء المذكور ، يكاد يكون من مستحيلات الأمور . فعمد عندئذ الى خطة لا ينازعه في تنفيذها منازع . وهي انه لما كانت بلدية مدينة حلب وبلديات الأقضية والنواحي في تلك المقاطعة تابعة جميعاً للمحافظ ، أصدر قراراً بأن تخصص كل بلدية تابعة لمحافظة حلب عُشر وارداتها لتنفق على إقامة دار الكتب في مدة سنتين . وقد أصاب بلدية مدينة الشهباء نصف النفقات . وكان النصف الثاني من نصيب بلديات الأقضية والنواحي . وهكذا أمكن جمع خمسين الف ليرة سورية (بسعر تلك الأيام) وهو المبلغ الذي اجمع المهندسون على انه كاف لاقامة البناء .

وبعد ان سهل المال وجب الحصول على أرض تصلح للغرض المطلوب . وهنا تذكر الامير الشهابي انه عندما كان مديراً لأملاك الدولة السورية خصص لمديرية البريد والبرق العامة أرضاً واسعة ثمينة تقع في اهم بقعة من المدينة اي في ساحة

باب الفرج ، لكي تبني المديرية المذكورة عليها بناء لدائرة البريد والبرق في حلب . وتذكر انه مرّ على هذا التخصيص بضع سنوات دون ان يشاد البناء المطلوب على تلك الأرض ، وانه ربما مرت سنوات عديدة أخرى والأرض باقية على حالها . ولذلك سعى في مجلس الوزراء حتى ابطل ذلك التخصيص وحوله على اسم وزارة المعارف لتبنى دار الكتب الوطنية على الارض المذكورة .

فأصبح هذا المشروع المفيد مشتركاً بين بلديات محافظة حلب صاحبة المال المنفق على البناء ، ووزارة المعارف (او المجمع العلمي) التي تتصرف بأرض البناء العائدة لبيت المال .

ولهذا عقد الأمير بين الفريقين اتفاقاً يقضي بأنه عند ما يتم البناء يسجل في السجلات العقارية على اسم بلديات محافظة حلب ، ويخصص لفرع المجمع العلمي في مدينة الشهباء ، فينتقل اليه خزانة كتبه ، ويشرف على شؤونه ، ويمارس أعماله فيه كما هي الحال في العادلية والظاهرية بدمشق .

وبعد ان مهد صاحب المشروع جميع العقبات ، حمل دائرة الاشغال العامة في حلب على مباشرة هذا العمل الجليل ترجيحاً على سائر اعمال تلك الدائرة . وقضى سنتين وبضعة أشهر وهو يشرف شخصياً على صنع الخرائط والتصميمات وعلى أعمال البناء . ولم يغادر منصبه في السنة ١٩٣٩ حتى كان البناء قد تم ، ولم يبق سوى الأعمال التكميلية فأكملت بعدئذ على حسب الخرائط والخطط المقررة .

وعلى هذا اصبحت الشهباء تشتمل اليوم في أجل مواقعها على بناء عربي فخم شيد باحجار كبيرة لا يقل طول واحدها عن ٤٥ سنتيمتراً . وكثير من هذه الأحجار حمر رخامية من التي تسمى « سماقية » في حلب و « مزية » في دمشق . ويقول العارفون ان دار الكتب الوطنية في حلب هي اليوم أجمل المصانع الحديثة في مدينة الشهباء بلامراء .

وقد جعلت الطبقة الأرضية من البناء مدرجاً للمحاضرات يتسع لخمسمائة مستمع ، كما جعلت الطبقة العليا غرفاً تتسع لأربعين الف مجلد ولمائة مطالع ، عدا غرف الإدارة .

ذكرى المولد النبوي

يحتفل المسلمون كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام احتفالاً رائعاً ، وأي ذكرى أحق من هذه العناية وليست هذه العناية بالمولد قديمة .

ولم يرو عن الصحابة والتابعين ، وأول ما نقل الينا أن الخيزران والدة هارون الرشيد اصلحت البيت الذي ولد فيه رسول الله . أما الاحتفال بذكرى المولد نفسها فلم يظهر الا في عصر الفاطميين الذين عدوا يوم الذكرى عيداً لدولتهم تقام فيه الزينة وتلقى الخطب والمواعظ .

ولم يجعل أهل السنة لهذا اليوم شأناً خاصاً الا منذ عام أربع وستمائة فقد بالغوا في هذا العام لأول مرة بالاحتفال بهذا اليوم وزينت إربل عاصمة الملك مظفر الدين كولا كبري صهر صلاح الدين يوسف بن أيوب واتقدت الأنوار الساطعة ، وقرعت الطبول والموسيقى وأنشد المنشدون وظهر الملك المظفر صباح يوم الذكرى على برج مشيد من خشب وانتصب واعظ على منبر بجانبه يعظ الناس .

وطفق المسلمون من اهل السنة من ذاك اليوم يتخذون يوم المولد عيداً دينياً شعبياً . ولما ظهر الاحتفال بهذا المظهر ، أجمع الفقهاء على القول بأن الاحتفال وأن كان بدعة فانما هو بدعة حسنة لاتصاله بشخصية الرسول المعظم . ثم ما عتم أن سرت الى يوم الذكرى ضروب من المراسم أثارت ثائر بعض الائمة كابن تيمية في المتقدمين والامام محمد عبده في المتأخرين فشنوا الغارة على صورة الاحتفال ووجدوا في الأناشيد التي ترتل نزعة من النزعات الصوفية لا يقرها الإسلام الصحيح ووجدوا في النصوص التي تقرأ عن مولد الرسول ابتعاداً عما يجب أن يقال من سيرته الشريفة مما ورد في الأثر واسفرت حملتهم عن توجيه علماء المسلمين الى الاحتفال بالذكرى وجهة حسنة لا تخرج عن حدى الدين وذلك بقراءة شيء من السيرة النبوية المنقولة في الكتب الموثوق بها وبالقاء الخطب يذكر فيها شأن الإسلام وأثر الدعوة المحمدية ويحض الناس فيها على التحلي بالأخلاق النبوية . وكانت الاحتفال بهذا يوماً يبعث في نفوس المسلمين بهجة بفيد يذكرون فيه المثل العليا التي حض عليها رسول الله . وحسنت ذكرى مولد رسول الهدى .

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء الرابع نيسان سنة ١٩٤١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

تآليف ابن العديم

كان أجداد ابن العديم قضاةً تسلسل فيهم العلم اجيالاً ، وكان من وراء نعمة عظيمة تجمعت لأهله بطول الزمن . جاء اهله في القرن الثاني من البصرة ونزلوا حلب تجاراً ، وبعد حين اشتغل بعضهم بالعلم فانقلبت تجارتهم ، وبان الأدب والذكاء على كثير من ابنائهم ، حتى اذا كان القرن السابع نبغ آخرهم صاحب المكانة الكبرى في عالم العلم والأدب ، فهو وارث مجد أسرته اعانه الغنى علَى الظهور بالعلم ففاق الاقران وخلد اسمه في سجل الزمان .

غرست الفطرة في ابن العديم صفات نادرة كانت عوناً له على ما أخذ نفسه به من الدرس ، وعلى تجلي عبقريته وانبعاث قريحته ، هذا مع كثرة العلماء في بلده على عهده . وكان هو مفتنًا فنانًا ، مفتنًا بالعلم الذي تلقاه عن علماء عصره وبه اعد نفسه لتولي منصب قاضي القضاة في مدينة عظيمة ، فبرز في الفقه والحديث والادب والانشاء والشعر والتاريخ وكل ما تكمل به أدوات القاضي والمفتي . وكان فنانًا لأنه رزق الاجادة في الخط حتى كان رأسًا في الخط المنسوب ولا سيما النسخ والحواشي ، وكان يقرأ الخط المعقد كأنه يقرأ من حفظه ، وقالوا انه اكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب ، وله كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه واقلامه وطروسه . عاش كأغنياء العلماء واخذ العلم عن علماء حلب ودمشق ، ورحل الى الحجاز ومصر

والعراق ، وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب .

هذا هو كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام (٦٦٦ هـ) وكان يطلق على اسرته اسم بني جرادة ثم غلب على بيتهم اسم « العديم » ، وكان جميع أهل هذا البيت منذ كان الاسلام يحفظون الكتاب العزيز . وقد تولى خمسة منهم على التوالي منصب قاضي القضاة بحلب ، وكان كمال الدين واسطة عقدهم اشتغل بالسياسة والعلم فتولى الوزارة مرتين : الأولى للملك العزيز والثانية للناصر آخر بني ايوب ، وذهب بالسفارة عنهما الى بغداد والقاهرة . ولا يتولى الوزارات في الغالب إلا الاكفياء ، ولا ينوب عن صاحبه في السفارات الا أرباب الكفاءات المعترف بها .

ألف كمال الدين وصنف وكتب بخطه الجيد ألوفاً من الصفحات ومن جملة ما كتب بخطه البديع ثلاث خزائن من الكتب : واحدة لنفسه وخزانتان لابنيه لكل منهما خزانة فاذا فرضنا أن كل خزانة تضم مئة مجلد وهو أقل تعديل فيكون مجموع ما كتب ثلثمائة مجلد عدا تآليفه الممتعة التي نمت على تحقيقه وبحثه ولم نعرف منها سوى ثلاثة .

الأول من كتبه (ومنه نسخة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق) رفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري أو الانصاف والتحري ، ذكر فيه كل ماله اتصال بأصل المعري ومنشئه وأدبه وعلمه وتصانيفه ورحلته الى بغداد في طلب العلم وما وقع له طول حياته من الحوادث ومن كان يعطف عليه من أهله وكلهم معروفون بالأدب والشعر ومن كان يستملي منه مصنفاته ومن يكتب له ليل نهار وكان أربعة في جرايته وجارية ، وذكر من أخذ عنه . والمقصد من كل هذا الكتاب تبرئة المعري من التعطيل وكان اعداؤه ينحلونه أبياتاً او يحرفون ابياتاً من شعره ليصححوا دعواهم عليه بانحلال العقيدة . واهم جزء من الكتاب (وهو دفع دعوى الإلحاد عن أبي العلاء) ناقص من النسخ التي عرفت من الكتاب على أن ذلك لا يمنع من نشره بالطبع لما فيه من الفوائد التي أثرت عن شيخ المعرة وحكيمها وأديبها .

والثاني تذكرة ابن العديم وجد منها مجلد، في بضعة أجزاء أولها الجزء الخامس وآخرها الجزء السادس عشر وفيها فوائد أدبية وتاريخية كثيرة وهي جديرة بالطبع أيضاً، ومما جاء في أولها لعلي بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني بجفنك قد جفاه هجوعه والقلب واصله عليك ولوعه
وسقام جسمي فيك عز ذهابه والنوم عزّ على الجفون رجوعه

ومما جاء فيها : انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال أنشدني القاضي وجيه الدين ملهف ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للأمير شرف الدولة ابن منقذ نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فسلمت دونهم ونبشت من الردم فجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وتسلمها وطلب من زوجة أخيه أن تعلمه بالمال وتهددها فقالت له : ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سالمة دونهم ولا تعلم بشيء وان كان لهم شيء فهو تحت الردم . وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى شيزر وما حل بها وعاين زوجة أخيه بعد العز في ذلك الذل عمل :

ليس الصباح من المساء بأمثل فأقول لليل الطويل ألا انجلي
شلت يد الأيام ان قسيّها ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمي لها جفني وقلبي يصطلي
يا تاج دولة هاشم بل يا أبا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نسائها لم يسدل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل

ومنها يشير الى زوجة أخيه المذكورة

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يمناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت من عزها بتذلل

وقال في أخيه :

ودفنت بين ثلاثة ضاجعتهم كالليث ضاجعه ثلاثة أشبل

وكان هذا الزلزال من أشد ما منيت به بلاد الشام في القرون الوسطى هلك فيه كما قال ابن الأثير مالا يحصى كثرة وخرب منها بالمرة حماة وشيزر وكفر طاب والمعرة وأفامية وحمص وحصن الأكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية . واما كثرة القتلى فيكفي أن معلماً كان في حماة ذكر عنه أنه فارق المكتب لمهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب . أما حصن شيزر وهو على نصف نهار من حماة فكان لآل منقذ الكنانيين فلم ينج منهم أحد ، وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها كان قد ختن ولداً له وعمل دعوة للناس ، واحضر جميع بني منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه ، واذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه ، وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار ، فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلاً كان أولهم فقتله ، وامتنع الناس من الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ، ولم ينج منها الا الشريد .

وكان بنو منقذ اصحاب قلعة شيزر (واليوم يقال لها سيجر) سلسلة جميلة في الشعر والأدب كما كان بنو العديم في حلب سلسلة متصلة الاسانيد بالقضاء . خربت قلعة شيزر والى اليوم لا تزال خراباً يباباً ، وأدب بني منقذ ما زال محفوظاً في الدواوين يتناقله المتأدبون ويعجب به الشادون والمحققون . وكان آخرهم أسامة (٤٨٨ — ٥٨٤ هـ) من أئمة الأدب عرفناه من الكتب التي أبقت الأيام عليها ، ومنها كتاب الاعتبار ذكر فيه آل بيته وشجاعتهم وبطولتهم وما كان لهم على عهد الصليبيين في الشام من مغامرات ومن كتبه (كتاب العصا) ومنها (لباب الآداب) وكلها مطبوعة تشهد لأسامة بالعلم والنبوغ .

ومما أثره من مذكرة ابن العديم ما نقله للسابق أبي اليمن محمد بن الخضر المعري في حلب:

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسميُّ ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتري

الى ان قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير أني أرى الاطايب شزراً وحليف الافلاس عنها قصيُّ

ومما اقتبسه أبيات لسنان صاحب الدعوة الاسماعيلية وهي

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق أصبح ظاهراً عما تقول وأنت شبه النائم

ترجم لسنان الملقب براشد الدين صاحب الوفيات فقال انه صاحب قلاع الدعوة ومقدم الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية (او النزارية) وهو الذي هدد صلاح الدين يوسف بقوله

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى بإصبعه يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه

وكتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدها

أما الكتاب الثالث الباقي من تأليف ابن العديم فتاريخ زبدة الحلب في تاريخ حلب (منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية نقلت عن مخطوطة الأستانة) فالظاهر انه أحسن كتبه ولم يبيضه وفيه كلام على جغرافية بلاد حلب وبحيراتها وجبالها وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها ، وذكر فيه مدناً تعد اليوم من كيليكيا والجزيرة مثل اذنة والكنيسة السوداء وطرسوس وسيس والحدث الحمراء وملاطية

وسميساط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من الحصون والبلاد . وتكلم على جيحان نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة والعاصي نهر انطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس . وبذلك عرفنا أن عمل حلب في عهده كان واسعاً جداً اكبر من مملكة من الممالك الصغرى لعهدنا . وفيه فصل من اجمل فصول الكتاب فيمن نزل من قبائل العرب باعمال حلب ومن كان قبلهم . ونقل شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل قنسرين وهو ثمانية وأربعون درهماً على الغني وأربعة وعشرون على الوسط واثنا عشر على المدقع ، وما اشترطه عليهم للنازل بينهم من المسلمين والا يحدثوا كنيسة الا ما كان في أيديهم ولا يضربوا بالناقوس الا في جوف بيعة ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ولا يرفعوا صليباً الا في كنيسة وأن يؤخذ منهم القبلي من الكنائس للمساجد ، وان يقروا ضيوف المسلمين ثلاثاً ، وألا يكون الخنازير بين ظهراني المسلمين ، وان يناصحوا المسلمين ولا يغشوهم ، ولا يمالئوا عليهم عدواً ، وان يحملوا راجل المسلمين من رستاق الى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فمن وفى وفى المسلمون له ، ومنعوه مما يمنعون به نساءهم وابناءهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حلّ دمه وماله وسباء أهله وبرئت الذمة منه ، وكتب بذلك كتاباً .

واستفدنا من هذا التاريخ أن حلب كانت من أكثر المدائن شجراً فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طغج ، فان الاخشيد كان ينزل على حلب ويحاصرها ويقطع شجرها فاذا أخذها وصمد الى مصر جاء سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك . وتكرر ذلك منهما حتى فني ما بها من شجر ، واتفق نزول الروم على حلب سنة ٣٥١ ففني شجر الشربين لذلك .

ورأينا له في هذا الكتاب تحقيقات تدل على تأنيه وبعد غوره منها أن ابن القارح ذكر في رسالته حكاية نسبها الى أبي الطيب قال وهذا عجيب فإن أبا الطيب ولد سنة ٣٠١ فكيف تصح هذه الحكاية . قال ابن العديم ولعله غير أبي الطيب ثم بعد حين كتب انه تبين ان الأمر كذلك ، وهذا المتنبي الذي ذكره المؤرخ هو أحمد بن عبد الكريم الأصفهاني .

ويقول ابن الشحنة في تاريخ حلب : أن كمال الدين بن العديم اتقن في تاريخه واجاد واطال ولم يبيض منه الا اليسير وأطال فيه من ذكر الروايات والطرف فجاء بمعنى قليل في لفظ كثير ولم يسبقه أحد بتاريخ لها على الخصوص وسماه « بغية الطلب في تاريخ حلب » رتبه على حروف المعجم كما أخبرني بذلك الأمير النقيب بدر الدين الحسيني نقيب السادة الأشراف بالمملكة الحلبية رحمه الله ان مسودته كانت تبلغ نحو اربعين جزءاً كباراً والمبيضة تجيء كذلك لكن اخترمته المنية قبل اكمال الأمنية وتفرقت اجزاؤه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآن منها الا نزراً ولم أقف منها الا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم ...

محمد كرد علي

بعث قصيدتين

من مرقدهما لعديّ بن الرقاع العامليّ

كان صديقنا الاستاذ خليل مردم بك قد نشر في مجلتنا هذه شعر عديّ بن الرقاع العاملي مع ترجمة له حسنة(*) ، وباطلاع الاستاذ المستعرب سالم الكرنكوي عليها كتب اليه كتاباً يذكر فيه انه كان قد جمع في الماضي ما تيسر له تحصيله من شعر عديّ ، وانه أرسله مع ترجمته المنقولة من تاريخ دمشق الى الاستاذ غويدي لعزم أحد تلاميذه على وضع اطروحة له في عديّ وشعره ، ليتقدّم بهـا الى جامعة رومة في سبيل الحصول على درجة الحكمة (الدكتوربة) في الأدب ·

ثم ظفر الاستاذ الكرنكوي بنسخة غير جيدة من كتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى منقولة عن نسخة قديمة في المدينة المنورة كتبت سنة ٣٥٢ للهجرة ، وهو اليوم مكبّ على تصحيحه لينشره للناس ، وفي آخره عدة أشعار لقدماء شعرائنا بينها شعران في وصف الخيل لعديّ بن الرقاع ، وكان عديّ كطفيل الغنويّ مشهوراً بمعرفة الخيل واجادة نعتها ، وقد بعث العلاّمة الكرنكويّ بهاتين القصيدتين الفقيدتين لتنشرا في مجلة المجمع العلمي العربي فله جزيل الثناء ، وقد شرحتهما شرحاً كافياً لإفادة القرّاء ، والقصيدتان هما :

قال ابن الرقاع العاملي ، تخلط فيها بقول أبي دواد :

١ ولقد أغتدي بأجردَ نَهدٍ لاحه بعد صَنعهِ المِضمارُ

٢ أيدُ القصرَيين ما قِيد يوماً فيعنّى بصرعهِ يَطارُ

(*) راجع المجلد الخامس عشر من هذه المجلة تجد (مختارات من شعره) في الصفحة ٤٥٠ ·

(١) الصنع بفتح الصاد مصدر صنع الفرس يصنعه صنعاً وصنعة اذا أحسن القيام عليه ·

(٢) القصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، او اللتان تليان الشاكلة بين الجنب والبطن كما في التهذيب ، والصرع الطرح على الارض ·

٣ حَوشب الخلق أفرعت كتفاهُ عن محاني ضلوعه إجفارُ

٤ واذا اهتزّ مقبلاً زانَ منـه أتلعٌ ما يُنال منه العذارُ

٥ ويُرى مجفراً إذا هو ولّى في حمـاتيه شدةٌ وانبتار

٦ ونسورٌ لهـا حوافر منه لا يُرى في أرساغهنّ انتشارُ

٧ كالجلاميد بالمسيل تملاّ هنّ في الماء خضرةٌ واصفرارُ

٨ مَشقَ اللحمُ عن حماتيه مَشقًا فتعالى واشتدت الأوتارُ

٩ وعلى الزَوْر منبض القلب منه بحيازيم بينهـا أسيارُ

١٠ فهو طافرٍ أقبّ كالمسد الأما سِ عاري الشوى ممرٌّ مغارُ

١١ شاخص الحرتين ينفخ منـه قُطعَ الرّبو منخرٌ نثارُ

(٣) الحوشب: العظيم البطن ، الافراع : الارتفاع والانحدار ، والاجفار الاستكراش وانتفاخ الجنبين ويستقيم المعنى اذا اعتبرت (عن) مصحفة عن (في) . (٥) المجفر : اسم مفعول من الاجفار وهو العظيم الجنبين ، والحماتان : اللحمتان في عرض الساق تريان كالعصبتين من ظاهر وباطن والجمع حموات ، والانبتار : الانقطاع. (٦) النسور : الشواخص اللواتي في باطن الحافر. والانتشار : الانتفاخ في العصب للاتعاب. (٨) المشق : جذب الشيء ليمتد ويطول ، ومن الفرس المشيق اي الطويل الضامر والاوتار هنا أربطة العضلات. (٩) الزور : بفتح الزاي الصدر. (١٠) (طافر) : اسم فاعل من طفا يطفو يقال: طفا الثور الوحشي على الاكم والرمال اذا علاها ، ويقال مر الظبي يطفو اذا خف واشتد عدوه ، والمعنيان يجوز وصف الجواد بهما ، (الأقبّ) ذو القبب وهو دقة الخصر وضمور البطن ، و (المسد) الحبل من الليف يمسد أي يمر فتله ، وفي الكتاب: في جيدها حبل من مسد . والشوى الاطراف ، والجواد تكون قوائمه عارية من الشعر ، و (ممر ومغار) اسما مفعول من أمر الحبل اذا شد فتله ، يقال : حبل مغار الفتل وفرس مغار شديد المفاصل .

(١١) الحرتان: الأذنان ، قال زهير :

قنواء في حرّتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيلُ

و (قطع الربو) يقال أصاب الفرس قُطع بضم القاف وسكون الطاء مع ضمها أي ضيق نفس من العدو ، والربو البهر وانقطاع النفس ، وكأنما أراد الشاعر ان سعة منخريه المخنودة في الخيل تقضي عند ضيق النفس اذا عدا .

١٢ وهو شاحٍ كأنَّ لَحييه خوًّا قَتب لاح منهما النجارُ

وقال أيضاً :

١ على كلِّ سَلهبة لاحها طرادُ المسالحِ أو سَلهبِ
٢ أشقَّ شخيص كتيس الفلا قِ يستنُّ أو جوذَرِ الحلبِ
٣ اذا ما تصعلك من حَشوةٍ فأصبح كالفرَدِ الأشعبِ
٤ أُمِرَّت حوامِل اوصاله كما تستمرُّ قوى القنبِ
٥ وأشرف حاركه والقطـا طُ منه على طأةِ المركبِ
٦ على أن مجتمع القصرَيـ ن ليس بغوطٍ ولا أحدَبِ
٧ كميت كأنَّ على مَتنه سبائكَ من قطعِ المذهبِ

التنوخي

---

(١٢) اسم فاعل من شحافاه يشحوه اذا فتحه ، والخوّ والجوّ الوادي والغائط من الارض . ولا معنى له هنا مضافاً الى القتب ، وهو اكاف البعير ، فلعله مصحف عن (جنبا قَتب) ، ومثله قول الشاعر :

كأن فاها واللجام شاحيه جَنبا غَبيطٍ سلسٍ نواحيه

(لاح) يقال كما مرّ : لاحه العطش لوحاً ولوّحه غيره وأضمره ، وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن كما في اللسان ، فالمعنى واضح أي أضمر النجار جنبي القتب وقد شبه بهما اللحيين كما مرّ .

(١) السلهب : من الخيل الطويل وقوله (لاحها طراد المسالح) اي غيرها أو ضمرها والمسالح جمع مَسلحة وهي المرقب يكون فيه قوم ذوو سلاح يرقبون العدوّ ، والمعنى واضح .

(٢) الأشق : من الخيل الطويل ، و (يَستنّ) ينشط والاستنان النشاط ومنه المثل المذكور : (استنت الفصال حتى القرعى) ، أي ان فرسه نشيط كتيس الفلاة وجؤذر الحلب ، وهو نبات ترعاه الظباء والشاة تسمن عليه فيشتد صرحها ، ومثله قول النابغة يصف فرساً :

يباري النواهضَ صَلت الجبيـ ـن يَستنّ كالتيس ذي الحلبِ

(٣) تصعلك : الفرس طار وبره ، والحشوة السمن ، والفرد الاشعب : الثور ذو القرنين المتباعدين

(٥) لعل الصواب : القطاة ، وهي ما بين الوركين ، وقيل مَقعد الرّدف من الدابة خلف الفارس ، والحارك أعلى الكاهل وقيل فرعه ، وطأة المركب ووطاءته سهولته . (٦) الغوط : في الغائط اي المطمئن . (٧) المذهب : اي المموّه بالذهب ، ويقال كميت مذهب للذي تعلو حمرته صفرة .

الغوطة (1)

جزئيات المحاضرة

(١) الغوطة وحدودها (٢) بساتينها وقراها (٣) الأبنية الأزلية فيها (٤) ميزاتها
(٥) سكانها ولسانهم وادياتهم (٦) اثمارها وزروعها (٧) أنهارها وريها
(٨) مدنيتها (٩) صناعاتها الزراعية (١٠) متنزهاتها (١١) أدبها

سبق لي مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي (١٩٤١) أن حدثت المستمعين الى مذياع (راديو) الشرق في بيروت ببعض ما عرفت عن غوطة دمشق ، والآن أريد أن أتوسع في هذا الموضوع اللذيذ المفيد بأطول مما كنت تحدثت ، وأتوخى أن آتيكم بما عرفته من طريق الدرس والتجارب الشخصية ·

الغوطة وحدودها

اشتق اسم الغوطة من الغائط ، والغائط المطمئن من الأرض ، والجمع غيطان وأغواط ، وقال ابن الأعرابي : الغوطة مجمع النبات · وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال ابو المطاع بن حمدان :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء الا استخفني ... الى بردى والنيربين حنين

والنيربان واحدهما النيرب ، وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق قال ياقوت : إنها أنزه موضع رآه · وفي مراصد الاطلاع : (إن النيرب قد جاء في الشعر مثنى) فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعاً آخر وليس كذلك · فان الشاعر قد ثنى الغوطتين وليس إلا غوطة ، كما ثنوا النيفتين قال ابن منير :

سقاها وروّى من النيربين ... الى الغيضتين وحمورية

---

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في السادس والثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ « ٢ و ٩ ايار سنة ١٩٤١ » في ردهة المحاضرات ·

الى بيت لهيا الى برزة دلاح[1] مكفكفة الأوعية

وللنيرب اليوم يقال أرض النيرب وهي في جوار قرية المزّة . والغوطتان على ما يظهر هما الغوطة الغربية والغوطه الشرقية . وقال بعضهم الغوطتان الغوطة الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبلية .

وقيل انه كان يطلق على الغوطة اسم (البريص) وقد ورد في شعر حسان بن ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت : وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب الأنهار الى البريص ، وقال يسقون ماء بردى ، وهو نهر دمشق ، من ورد البريص . ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمقلاط وهو موضع النحاسين وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون من ورد البريص عليهم . البيت — لا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر .

لم يحدد القدماء الغوطة ، ولم يعرفوها التعريف المطلوب . فقال المقدسي: إن مساحتها مرحلة في مثلها . وقال القزويني : إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة . وقال ياقوت : إن استدارتها ثمانية عشر ميلاً . وقال شيخ الربوة : إنها من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلا[2] . وقال ابن

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء : ج دُلُح (٢) المرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسير المعتدل والميل مئة الف اصبع إلا اربعة آلاف اصبع ، او ثلاثة او أربعة آلاف ذراع ، بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء ، او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر الف ذراع أو عشرة آلاف . والذراع أيضاً يختلف باختلاف الأقطار والأعصار .

طولون الصالحي في كتابه (ضرب الحوطة على جميع الغوطة) إن قرية زبدين آخر حدودها ، وهو صحيح ، ولم يذكر حدها من الشرق والغرب . وزعم أن (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المرج ، وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب ، وهكذا عدّها ياقوت وهو غير صواب . وذكر البكري في (معجم ما استعجم) ان قرية دمر من الغوطة وعدّ الدوّ من الغوطة وقال انها تلقاء البضيع [1] .

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره ، وكانت تتسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسماوية . وقد قال صديقنا العلامة الأثري دوسو [2] إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بحيرة المرج وبحيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الأنهار ، وأن الغوطة الآن اذا أطلقت يراد بها الكورة التى فيها الحدائق والبساتين أي أن المرج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة الغوطة ، ومدينتها العظمى دمشق . وقال مرتين إن الغور الشرقي يكون سهل دمشق الذي يتد من أقبال [3] الجبل الشرقي الى بادية الشام أو بادية تدمر ، فعند تخوم هذه البادية غوطة أريضة من أجلّ ما أحدثت يد الطبيعة تشقها الأنهار

(١) كذا البضيع مصغراً ويروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت .

أسألت رسم الدار أم لم تسأل   بين الجوابي فالبضيع فحومل

والبصيع بالصاد المهملة وقال إنه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على الغوطة . هذا ماقاله ياقوت . وروي في التاج عن الازهري أنه رأى جبل البصيع وقال انه جبل قصير أسود بأرض البثنية فيما بين نسيل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق . وفي وسط الكسوة جبل يناوح جبل المانع اسمه المضيع (بالميم والضاد والياء المشددة) ولعله هو الاقرب الى الصواب . والبصيع أو البضيع هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران

(٢) في كتابه طوبوغرافية تاريخية لسورية في الأدوار القديمة وفي القرون الوسطى .

Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique et médiévale .

(٣) الأقبال جمع قبل والقبل النشز من الأرض أو رأس كل أكمة وجبل .

الكثيرة ، وتكسوها الخضرة ، ويغشيها النبات الغض الموفور ، عرضها نحو ستين كيلو متراً ، وليس لهذا النجد البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ، ولعله يريد طولها ولا يمكن أن يكون طولها كذلك إلا إذا تجوزنا وأدخلنا فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ومصطلح القوم لعهدنا أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التي تُروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة ، وعلى هذا فحدُّ الغوطة يبدأ غرباً من فُوَّهة وادي الربوة فالمزة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وشبينات وحوش الريحانية . ومن الشرق بالريحان والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشابية وبيت نايم ، وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير هو جبل قلمون ، ويسمونه لهذا العهد أيضاً جبل الحلو ، وهو فرع من فروع لبنان الشرقي *Anti-Liban* ويشرف الجبل الأسود على الغوطة من الجنوب ، ومن الشرق أرض المرج ، وهو اقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة وهو أيضاً في نجد منخفض من الأرض ، وأشجاره قليلة ، وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف .

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلو متراً وعرضها يختلف بين ١٠ و١٥ كيلو متراً تقريباً . وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت (٤٠٦٠٠) هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان ، والفدان ستة دونمات وكسر ، والدونم مبذر مدّ من الحنطة ، والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة .

بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد : إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً . وقال شيخ الربوة من أهل القرن الثامن إن بساتين دمشق مائة واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب چلبي من أهل القرن الحادي عشر في كتابه « جيانما » : ان في الغوطة مائة وثلاثين ألف بستان . وقال ابن إياس إنها بساتين كلها . وهذا الوصف الأخير أقرب الى الحقيقة ويصدق عليها في العهد الأخير خاصة ، وذلك بعد أن عرف الغوطيون فائدة الأشجار ، وأخذت ثمراتها تصدر الى القاصية والدانية من البلاد . وفي كل سنة تزيد بساتين دمشق مئات ، ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدّث أحد الشيوخ أنه كان في طفوليته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أُبيّ ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمليحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها اليوم تحجب النظر ان يسرح مئة متر ، كانت خالية من الشجر ، وقد غدت اليوم غابات غبياء ، وأدرك الجيل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المرج ، تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط وأشجارهما قليلة جداً وربما عدتا من المرج وهما اليوم من أكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً أنواعه .

ويقول الظاهري في زبدة كشف الممالك ، وهو من أهل القرن العاشر : وقيل إن في اقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيفاً وبها مدن صغار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المماليك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، ولا سيما في القرنين الأخيرين من حكمهم ، فخرب معظم قراها ، وانضمت أرضها الى القرى المجاورة ، وقلّ سكانها ، واضمحلّ عمرانها ، وما يشاهد من الدِّمن والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك ، وما كان السبب الأول في خرابها غير توالي الأوبئة والطواعين والزلازل والمجاعات وتتابع غارات البادية على المعمور ، واعتداءات جيش الدولة على المستضعفين . على أن قول الظاهري : انه

كان في الغوطة اكثر من ثلاثمائة قرية لا يخلو من مبالغة ولو ضممنا الى الغوطة المرجين.ما بلغت قراها هذا المقدار .

وذكر ابن طولون الصالحي في القرن العاشر أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس . وقرى الغوطة اليوم ثنتان وأربعون قرية ، وأهمها من حيث وفرة السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و (داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد سكان دومة على ثمانية عشر ألفاً وسكان داريا على اثنى عشر ألفاً ، وكل من قريتي (عربيل) و (جوبر) لا يقل عن ثمانية آلاف ، وكل من (حرستا) (وكفرسوسية) و (المزة) لا يقل عن ستة آلاف . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضع عشرات من الأنفس كالحديثة وبالا والاقتريس الى بضع مئات ، ومنها ما يبلغ الألف والألفين أو الثلاثة أو الأربعة كحمورية و كفربطنا وجسرين والمنيحة (المليحة) وجرمانا وصحنايا وسقبا وزملكا .

وإليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها : دومة ، داريا ، عربيل (عربين) جوبر ، حرستا ، كفرسوسية ، المزة ، مسرابا ، مديرة ، بيت سوا ، المحمدية ، حمورية ، كفربطنا ، جسرين ، الاقتريس ، حزة ، زملكا ، عين ثرماء (عين ترما) ، القابون ، برزة ، الحديثة (حديثة الجرش) المنيحة (المليحة) بالا (القديمة والجديدة) زبدين ، البلاط ، الخيارة (خيارة نوفل) ، عقربا ، جرمانا ، دير بجدل ، قبر الست ، سبينة ، سبينات ، حوش الريحانية ، حجيرة ، بيت سحم ، ببيلا ، يلدا ، القدم ، الأشرفية صحنايا ، البويضة ، بلاس . واذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل بساتين الصالحية والربوة والمزة وباب السريجة والقنوات والميدان والشاغور والعنابة تألف منها بضع قرى .

ومن القرى التي كانت على أبواب دمشق فدخلت فيها عندما توسعت الى ماوراء السور : الصالحية والعقيبة وميدان الحصا والصفوانية ، وتحرف اسم هذه اليوم فيقال لها الصوفانية ، ذكر ياقوت أن الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب توماء من

أقليم حرلان ، وان توماء اسم قرية ، واليها ينسب باب توماء ، بالهمزة في آخرها ومنه اسم توماء لا توما . وذكر أيضاً قينية وقال إنها كانت مقابل الباب الصغير وقال (الحميريون) محلة بظاهر دمشق على القنوات وكانت على طريق كفرسوسية ومثليا اللؤلؤة محلة كانت خارج باب الجابية ، و (طرميس) من قرى دمشق و (الأوزاع) موضع مشهور بربضها سكنه في صدر الاسلام بقايا من قبائل شتى ، واليهم ينسب الامام الأوزاعي دفين بيروت . ومن القرى الدائرة في الغوطة المصيصة كانت شرقي بيت لهيا ، وعالية وعويلية عند القطائع ذكرهما ابن جبير في رحلته بالعين المعجمة (بالغين) وهما موضعان قرب مسجد الأقدام على ميلين من مدينة دمشق . وذكر ابن طولون الصالحي قرية (برنايا) وقال إنها خراب فوق سقبا . وقال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق إن أراضي (فذايا) و (حلفبلتا) و (الخامسين) مصاقبة للبلد وهذه الثلاث دثرت وكذلك « راوية » وكان بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي . وفذايا في جنوبي مقبرة اليهود . وقد وردت أسماء بعض قرى الغوطة في شعر حسان بن ثابت قبل الاسلام عندما مدح آل جفنة قال :

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدار يا فسكاء فالقصور الدواني
فنقا (جاسم) فأودية (الصفـ ـر) مغنى قبائل وهجان
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهـ ـر وحقاً تعاقب الأزمان
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم يوم حلوا بحارث الجولان

وبلاس وداريا من قري الغوطة وسكاء بينها وبين دمشق كما يقول ياقوت أربعة أميال في الغوطة ، والصحيح أنها ليست منها وهي موجودة اليوم . وقد أضاف صاحب معجم البلدان الى الغوطة قرى ليست منها مثل دير أبان قال انها قرب قرحتا وهذه قرية معروفة تعد مرجية ، ومثلها عذراء ، والنمرانية ناحية الوادي وذكر

حرلان وتلفيانا وسام والقوينصة والقصرين ، عاداً لما من الغوطة وكل ذلك داثر لعهدنا . ومن قراها (جِدّيا) كانوا يسمونها على عهد ياقوت جدّيا ولا يعرف أين مكانها . ومن القرى ما كان صغيراً منذ قرون فعظم واتسع مثل جسرين كانت بلدة كبيرة فأصبحت اليوم متوسطة ، ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقربا .

وكان في بعض قرى الغوطة أسماء تبدأ بكفر والكفر القرية بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفربطنا . وأسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة — بيت الأرز . جرمانا — عظمي . جسرين — جسور . حجيرة — عرج . حرجلة — جراد . حرستا — خشنة . حزة . حفر . داريا — دور . زملكا — رواق الملك ومصيفه . سبينة — مبتاعون . سقبا — شيخ . شفونية — أرض للزرع . عربيل — غربال . قابون — عمود . كفربطنا — قرية الجنين . مديرة — طبقات البناء . مسرابا — مشرب . بلدا — ولد . ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة ، المحمدية ، القدم ،عين ترماء، الحديثة ،الأشرفية ،البويضة ،الخيارة،البلاط .

ومن قراها ما كان يبدأ بفندق أو قصر أو طيرة أو بيت ، مثل فندق بني عبد المطلب ، وفندق الراهب ، وقصر اللبان ، وقصر بيت لهيا ، وقصر بني عمر ، وقصر حجاج ظاهر باب الجابية . قال زين الأمناء ابن عباد : بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ، والنسبة اليها طيري . ومثل بيت الآبار كانت كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى في رواية ياقوت . وكانت هي وداعية والحارثية معروفة الى القرن التاسع . وذكر ياقوت أيضاً في الغوطة بيت أرانس وبيت البلاط وبيت سابا وبيت قوفا وبيت لهيا ، وتعدّ زملكا من اقليم بيت لهيا . وكانت بيت لهيا في عهد القرماني من أهل القرن الحادي عشر خراباً ليس فيها دار ولا آثار ، وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا ؛ وكانت كفربطنا من اقليم داعية ، واليها ينسب نهر الداعياني .

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لإحدى القرى ، دثرت القرية وبقي اسم نهرها ، مثل قناة دير بشر المارة بحوش بلاس ، تنسب الى بشر بن مروان الأموي ، ومثل قناة بيت أرانس ، وكان في بيت أرانس قبر مرثد دثار بن الحصين من الصحابة والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرانس ، ومنها نهر حُردان ، ونهر حردان نسبة لقرية كانت فوق قرية سقبا بقي اسم نهرها الى اليوم فقط ، هكذا يلفظونه . والحرلان كما وصفها علماء تقويم البلدان ناحية بالغوطة فيها عدة قرى وبها قوم من أشراف بني أمية ولعلها حردان بعينها :

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ أن حي الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوات وسوق صاروجا والعقيبة والعمارة وغيرها من الأحياء الخارجة عن السور كانت في القرن السادس مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات وهي اليوم من أحياء العاصمة . وروى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا الى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أنهم قالوا إن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا (وقرحتا على ساعتين من دمشق) . وقال محمد بن أبي العلاء إنه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة عليه ، وكان أكثرها ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وأسس متقاربة ، فخرب ذلك في الفتن والحروب والحصارات ، وتمادى عليها الخراب الى عهده . وذكر من منازلها القبلية فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب والراهب قبلي المصلى عن يسار المار قبلي المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والشامة عند المسجد القديم وعالية وعويلة قبلي مسجد القدم ، والقطائع يقال لها ربع حوران قبلي الشاغور وغير ذلك ، واما ما كان شمالي البلد فسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومقرا وشعبان وحرج الأشعريين وغير ذلك . ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقينية وصنعاء والخيريين ومنازل بني رعين وغير ذلك سوى ما كان في شرقي البلد من

غربي الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره . قال وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه أثر العمارة من سائر نواحي البلد من قبليه وشرقيه وشآمه وغربيه ، والله يحرس ما بقي منها ويحميه بمنه ولطفه اه

ومن أماكنها الداثرة الدراجية وهو برج الدراجية على باب توما ، كان لعبد الرحمن ويقال لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكاتبه على الرسائل في خلافته . ومنها طرميس والسقي وسام وأرزونا قرية قرب عربيل ، وبيت الأبيات كانت محل طاحون الشنان ، وبيت الأبيات كما في تحقيقات السيد دوسو هي في الغرب تدخل فيها قرية النيرب ، وبيت الآبار قرب جرمانا ومنها بيت سابا . ومن قراها الداثرة يعقوبا قرية صغيرة كانت غربي حزة

بعض عاديات الغوطة وآثارها

أهم عاديات الغوطة أديارها وفي كتب الفتوح أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صالح أهلها على خمس عشرة كنيسة كانت في دمشق فنزلوا له عن نصف كنيسة القديس يوحنا أي الجامع الأموي كان المسلمون أخذوا نصفه يوم دخلوا دمشق . وكان في الغوطة دير يونا « يوحنا » و « دير محمد » كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة ، واليه تنسب المحمديات فوق الأرزة ودير محمد كان عند المنيحة من اقيم بيت الآبار ، و « دير الحنابلة » كان بسفح قاسيون و « دير هند » كان في مقاطعة بيت الآبار و « دير بشر » كان عند حجيرة ينسب الى بشر بن مروان ، و « دير العالية » نزله مروان بن محمد . ومن الأديار الداثرة « دير حنينا » و « دير الماطرون » و « دير قبيس » و « دير سمعان » قال القزماني إنه كان في الغوطة و « دير خالد » ويعرف « بدير صليبا » و « دير زكي » . وممن بهذا الدير عبد الله بن طاهر من اعظم وزراء المأمون ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى

مصر فمات أخوه بها ، وعاد عبد الله فنزل في ذلك الموضع فذكر أخاه فقال :

أيا سروتي بستان زكي سلمتما وغال ابن أمي نائب الحدثان
أيا سروتي بستان زكي سلمتما ومن لكما أن تسلما بضمان

ومن الأديار « دير البخت » على فرسخين من دمشق ويسمى « دير ميخائيل » كان عبد الملك بن مروان قد ارتبط عنده بختاً وهي جمال الترك فغلب اسم البخت عليها . ومن أديارها المشهورة « دير مران » في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الغرب ، كان يشرف على مزارع الزعفران من أرض اللوان . وبقي هذا الدير عامراً الى القرن السابع للهجرة ، ولطالما قصده الخلفاء والأمراء والشعراء، وقيلت فيه القصائد والمقطوعات . ولأبي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء اليتيمة قصيدة قالها فيه لما قصده للتنزه . قال إنه فتح مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى اليه محاسن الغوطة ، وحياه بذخائر رياضها من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ومما قال :

ويوم كأن الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء النوطتين معطر النـ ـسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
وتزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

وفي معجم ما استعجم : أن عقبة مُرّان مشرفة على غوطة دمشق تنبت شجراً باسقاً تتخذ منه القنا والرماح وهو المران . ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة . وكان في الغوطة (دير بولس) و (دير بطرس) او فطرس كانا في ظاهر دمشق في نواحي بني حنيفة ، لا يبعد احدهما عن الآخر كثيراً ، وإياهما عنى جرير بقوله :

لما تذكرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب اذ جد الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس .
ويبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب ، وباب الفراديس هو الذي نطلق عليه اليوم باب العمارة احد ابواب دمشق .

قال ابن بطوطة وفي شرقي البلد (دمشق) قرية تعرف ببيت الاهية [1] (لهيا) وكانت فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام . ولم تبق لعهدنا قرية تبدأ باسم دير سوى « دير بجدل » وكانت هذه الأديار في الاسلام منازل المسافرين ، ومثوى المتنزهين والمرتاضين ، يقصدها الناس فيجدون فيها صدوراً رحبة ، ونزُلاً طيباً ، وشراباً لذيذاً (راجع مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري وكتاب الديارات للشابشتي ومعجم البلدان لياقوت) .

والغالب ان القرى التي يبدأ اولها بدير كانت اولاً ديراً فقط . ثم توفرت بجانبه الأرض المغروسة والمزروعة ، وكثر القائمون على حراثتها وزرعها ، فأصبح الدير على توالي الأيام قرية برأسها . كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد الغرب خلال العصور الوسطى ، استحال الدير بلداً مع مرور الأيام .

ميزات الغوطة

اجمع من وصفوا الغوطة على توالي القرون انها شجراء ، وان فيها قرى كالمدن ، وان اهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وازيائهم . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من اجمل مدن العالم ، ولولا دمشق ما كانت الغوطة إلا صحراء خالية تعيث البادية في ربوعها . وعيث البادية في المعمور من بلاد الشام قديم جداً على ما يظهر ، لنزول العرب بلاداً مجدبة من الجزيرة تقحط أكثر السنين فيضطر أهلها الى الانتجاع ، فلا يرون أمامهم غير بلاد حوران المتاخمة للغوطة ، وإذا لم يجدوا مراعي لمواشيهم في الجولان والجيدور والبثنية والصفا واللجاة يعرجون على الغوطة بالضرورة ، ولذلك أقام الرومان مخافر عظيمة على سيف البادية لا تزال الى اليوم بعض آثارها

(١) بيت الاهة كانت حاره في دمشق

ماثلة ، وولوا عليها رجالاً من بني غسان من متنصرة العرب ليحموها من غارات اهل البادية ، فكان أمراء الغساسنة حماة الغوطة وما اليها من المعمور ، والوسطاء بين قومهم العرب وأصحاب البلاد من الرومان ·

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل من عنايتهم ، فنزلها رجال منهم وعمروا فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا الجداول ، وعنوا باستثمارها واستنباتها · ولولاهم ما حازت الغوطة هذه الشهرة ، ولولاهم ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس إلا حسنة من حسنات بني أمية · نعم دمشق مدينة للأمويين لاختيارها عاصمة لهم ، وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار ، فهي وغوطتها سواء ·

ولابن أبي العجائز كتاب فيمن سكن الغوطة من بني أمية نقل عنه المؤرخون والجغرافيون · قال ابن قيس الرُقيات :

أجارك الله والخليفة بالغو طة داراً بها بنو الحكم

المانعو الجار أن يضام فما جار دعا فيهم بمهتضم

وقال ايضاً :

أقفرت منهم الفراديس فالغو طة ذات القرى وذات الظلال

قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى الغوطة ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين فتلا قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين) · ثم أنشد قول النابغة ·

هما فتيا دهر يكر عليهما نهار وليل يلحقان التواليا

إذا ما هما مرا بحي بغبطة اناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

قال ابن كثير هذا يقتضي بادئ الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك فانه لم يقل أحد انه دخلها ·

ويروى ان امير المؤمنين المأمون العباسي اقسم يوماً وقد نظر إلى اشجار

الغوطة ونباتها انهـا خير مغنى على وجه الأرض وقال : عجبت لمن يسكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله ·

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يخفون إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبنى القبة التي في اعلى الجبل وصيرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره ، فاذا جن عليه الليل كان ضوؤها إلى ثنية العقاب وإلى جبل الثلج ·

ومن اعظم ميزات الغوطة كون ارضها مقسمة بين اهلها تقسيماً طبيعياً في الجملة ، فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، وهذه مهما بلغ من سعتها تدار بمثل العناية التي تدار بها الزراعات الصغيرة · هكذا كانت في معظم ادوار التاريخ الاسلامي ، حتى ان سيف الدولة بن حمدان لما طمع ان يضم الغوطة إلى الاملاك السلطانية كاتب اهل دمشق ملكَ مصر فجاء في جيشه وطرد سيف الدولة عن الغوطة وعاصمتها ، وحُرم ابن حمدان ملك دمشق لأنه حاول ان يجعل من الغوطة مزرعة واحدة ملكاً له · وكيف يرضى الغواطنة عن ذلك وهم يعتزون بها وينعمون ويسعدون ويقولون في امثالهم « شبر بإلية الخروف ولا ذراع بذنب الثور » ويقولون « قلّ بتغلّ » أي قليل من الأرض الجيدة تحسن تعهدها أعود عليك من ارض واسعة بائرة · ومن يملك في الغوطة فدانين أو ثلاثة فهو سعيد مرفه ، ومن مزاياها أن أهلها يجزئهم ما تنبته لهم أرضهم من المواد الاولية ، ولو كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا الى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم · ومن مزاياها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها اذا اصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستعيض من الأصناف الباقية ما تعيش به سنتها ·

سكان الغوطة ولسانهم وأديانهم

دخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام بقرون ، لنزول بني غسان

العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ عرف التاريخ. ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق عن طريق البادية غزا بني غسان في الغوطة بوم فصحهم ، وركز العقاب راية الرسول عليه الصلاة والسلام في الثنية المطلة على الغوطة ، وهي هذا الجبل الحرمي البادي من الشمال للأنظار فسميت الثنية ثنية العقاب .

قال اليعقوبي إن أهل كورة الغوطة غسان وبطون من قيس وبها قوم من ربيعة ، وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب : ومن كلب بارض الغوطة عامر ابن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة اذاً من أصول عربية ، واكثر من نزلها اول الفتح كانوا من العرب دع من كان فيها من الغساسنة وغيرهم قبل الاسلام . ولذلك كان سكان الغوطة يشتركون في معظم الاحداث التي تحدث في دمشق سياسية كانت أو غير سياسية ، على ما عرف في العرب من النجدة والاريحية ، ويصهر بعض الدمشقيين الى الغوطيين ، ويتزوج بعض الغوطيات من أهل دمشق .

اصبح سكان الغوطة على توالي القرون مسلمين من اهل السنة ، وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية ، وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا والاشرفية ، وكان جميع أهل قرية جوبر يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى ، فانتقلوا الى دمشق في زمن لم نعرفه ، ولم يبق لهم فيها إلا كنيس مقدس عندهم يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم . ويقول دوسو إنه في عهد الشفاليه دارفيو *Le chevalier d'Arvieux* من اهل القرن الثامن عشر كانت جوبر يسكنها اليهود . وقد استغرب ابن طولون الصالحي ان اهل جرمانا تيامنة ، قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فان اهلها جميعهم من اهل السنة .

ليس للغوطة احصاء يركن اليه ولا يقل اهلها عن مئة الف انسان على اقل تقدير . وقد نموا في العهد الاخير نمواً هائلاً لقلة الأوبئة ، وانقطاع الحروب منذ زهاء خمس وعشرين سنة ، وما اظنها كانت قبل خمسين عاماً اكثر من عشرين الفاً ، وكان اهلها الى اواخر القرن الماضي يبتاعون العبيد ليعملوا معهم في الارض وذلك لقلة اليد العاملة في ذاك العهد .

ويقل جداً من هاجر إلى اميركا وغيرها من اهل الغوطة ، على نحو ما يكون من سكان الجبال المجاورة الذين غادروا مساقط رؤوسهم بالالوف . وندر من يرتحل عن أرضه من الغواطنة ، مهما ضاقت به سبل العيش ، اللهم إلا للتجارة موقتاً . وما عهد أن مات أحد جوعاً في الغوطة . ويروى أن عيسى بن مريم عليهما السلام قال وقد أشرف على الغوطة : ياغوطة إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً ، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً .

قلت مرة في وصف الغوطة وأهلها : سلام على سكونك في الليالي الظلماء والقمراء ، ربيعاً كان أو صيفاً او خريفاً أو شتاء ، وهنيئاً لمن يستمتعون بالنظر إليك من الصباح الى المساء ، ويتعهدونك بالحرث والكرث والتنقية والزرع والارواء ، سواء عندهم حمارّة القيظ وصبارّة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم إنهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يضنون على أرضهم باوقاتهم وأتعابهم ، وهي تجودهم ضروب الخيرات كلما جودوا زراعتها ، وتزيدهم بركات على بركات كلما رعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم مهما صهرت جسومهم حرارتها ، وصفرت سحناتهم رطوبتها ، بيض الوجوه شم الأنوف ، لأن رزقهم مناط أيديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يتكلون على غير من ينزل الغيث وينمي الزرع ويدر الضرع . في هذا الريف العجيب تقرأ سور العدل الإلهي في تقسيم الأرزاق ، فلا فقر مدقع ، ولا غنى مفرط . بل هناك تتمثل اشتراكية الاسلام والفطرة ، يعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً ،

ويغتني افراد منهم يذكائهم واقتصادهم ، فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياع ارباب النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم .

ثمارها وزروعها

يجود في كورة الغوطة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم المعتدلة ، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال ، ولا النخيل والموز للجليد الذي يحدث فيها بعض ايام الشتاء . فتنزل درجة الحرارة إلى خمس واحياناً إلى عشر درجات واكثر تحت الصفر ، وقد اشتهرت داريا بعنبها الزيني ويقل نظيره في انواع العنب الجيد ولطالما نقلت جفنات كرومها وزرعت في كروم بعيدة فما اتى عنبها كالعنب الذي يكون من كروم داريا واشتهرت به ، وعرفت دومة بعنبها الاحمر ، ويجود الزيتون على انواعه اجمالاً في القرى التي تكثر في ارضها الحصباء ، وليست ذات تربة طينية لزجة ، كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفرسوسية وبلدا وببيلا وحوش الريحانية وغيرها .

وفي الغوطة الوسطى يجود القنب ، ولا مثيل له فيما يزرع منه في بعض قرى حلب وغيرها . يجود في أرض المحمدية وحمورية والاقتريس وجسرين وسقبا وكفربطنا وزبدين والبلاط والحديثة والمنيحة وجرمانا وعقربا ، اي في القرى التي تسقى من نهري المنيحي والداعياني اللذين يحملان أوساخ دمشق ، كما أنه يجود في بعض الحدائق كأرض الشاغور والبساتين الواقعة حفافي هذين النهرين ، ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته يزيد على نصف محصولها السنوي من سائر أصناف الحبوب والثمار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة . وتستأثر سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده واليافه .

ولكل قرية او بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها . فقد اشتهرت بساتين الضاحية وقريتا كفرسوسية والقابون بالبقول والخضراوات

لا يجاريها مجار في هذه السبيل من جميع القرى ، يساعدها على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة ، واشتهرت جسرين ببزر الفصة وبزر الخيار ، وعرفت حرستا وما اليها بالبيقية والاينسون والسمسم ، وعربيل بلوزها ، وزملكا بكثراها ، ودومة ببطيخها الاصفر ، ويلدا وببيلا والقدم بقشدتها .

واكثر ما في الغوطة من الاشجار المغلة المشمش على أنواعه ، ويكاد يكون مشمش الغوطة منقطع النظير ويفوق بمائيته ونكهته مشمش كلفورنيا المشهور كما روى العارفون . واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي — من الفارسية كل آبي ، ومعناه ماء الورد — فن عظيم يحسنه أهله المتمرنون عليه . أما المشمش البلدي والحموي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكمثرى « الانجاص » والخوخ والجانرك والآس والصبار والدراق والتوت الشامي والتين والسفرجل والزعرور وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكهتها وحجمها ، وكان يكثر في الغوطة الزعفران والكراز والوشنة والكستانة (الشاهبلوط) والبندق والمشمولة والقراصيا والاجلجق (قزلجق) فبطل غرس الكستانة والبندق وقل القزلجق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرة كما نسيت زراعة القطن وزراعة التوت لتربية دود القز . وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس اليها في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الحيلان يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان ويلحق به شجر الأزادرخت (الزنزلخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات ، وكان يكثر فيها شجر السرو ولا تخلو دمشق وأرباضها من

أشجاره وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية ، وكان الى القرن الماضي وافراً في أرض الغوطة وما كان يخلو كل بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه . ومن الاشجار الحديثة فيها الاوكاليبتوس او الكينا والسنط (الاكاسيا) والمشمش الهندي وبعض أصناف صارت بالتفنن بالتطعيم مثل المشمش الحلو ، ومنها الكراز. ومن البقول البطاطا والبندورة . ويحاول بعض الغوطيين أن يربوا شجر الشوح وما أظنه يجود في اقليمنا ، كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود ، ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان .

أنهارها وريها

تبدلت معالم الغوطة كما قلنا غير مرة كأن الأرض الخصبة تحتاج أبداً إلى من يثيرها ويجددها ويسمدها ، فإذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع المتينة تجمد أرضها وتضيع مزيتها ، لذلك كانت أرض الغوطة أبداً في تجدد ، ومعها تتجدد المرافق والمعالم والأوضاع . وليس في صحيفة هذا الوجود ما يثبت على الدهر ، ولم يتبدل في الغوطة ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها . فالغوطة تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى ، ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى كما أن مصر هبة النيل . وبردى هذا يشتق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس وثورا ونهر يزيد ، وهذا النهر حفره أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية فنسب إليه ، وقيل حفره يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية . وما يدخل مدينة دمشق من هذه الأنهار يحمل قاذوراتها فتكون سماداً يوزع في ارضها كلما اراد الغوطي ارواءها . وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة وامراعها ، يضاف الى تربتها الغنية وجوّها المعتدل . وقد تحفر في بعض الاماكن اربعة او خمسة امتار ، ولا تصل إلى طبقة الحصباء والحجر ، لكثافة الطمي او المادة الصالحة للزرع .

· هذا أهم ما يسقي الغوطة من الأنهار ، ومن ارضها تنبع عدة قني تسقي مزارعها واراضيها وما وراءها من ارض المرج مثل عيون فاسريا تنبع من سفح الجبل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد · وهذه العيون تسقي قرية عذراء في المرج ، وكذلك عيون قلايا في ارض المحمدية تسقي ما انخفض من الارضين هناك وربما كان اسم قلايا وفاسريا اسم القريتين اللتين يجريان إليها · ومثل نهري الزابون والملك ينبعان من يزدى او من عين قريبة من مجراه ويسقيان بعض اراضي جسرين والمحمدية والافتريس ومثل نهري الشيلاني (الشيداني) والبيلاني (البالاني) يسقيان الحديثة وزبدين وبالا وهما مما ينبع من قرارة يردى ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة · ومن القرى ما لا تصل إليه مياه بردى كبعض ارض داريا وارض صحنايا والأشرفية وحوش الريحانية وبلاس وسبينة وسبينات وبحيرة والبويضة وقبر الست وبرزة فانها كلها تسقى من قنى خاصة بها ، أو من جدول قريب كبرزة تسقى من نهر معربا أول جبل قلمون او سنير ، او من عيون هي في حقيقتها رشح من ماء بردى كعين حروش في أرض زبدين · ومياه هذه العيون كمياه الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقها وتوزع على أرباب الحقوق توزيعًا عادلاً ، ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يتفهموها بسرعة · وليس في حقول الغوطة ما تعيش زراعاته الصيفية عذياً أي من المطر كزراعات الجبال · واكثر أهل الغوطة تمتعاً بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة ، يسقون عندما يريدون من مواصيهم ، وتكاليفهم من الجباية اقل من تكاليف أهل القرى ·

يتبع

نظرة في الكلام المجازي

عندنا وعند الافرنج

مما هو ثابت بالحس والمشاهدة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز نفائس وفوائد تتمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطير مقنطرة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداؤها بوجه التقريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثم وجب علينا ان نعنى عناية خاصة بفن التعريب اي حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه المعهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعاجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلتفتون اليها ويعملون بمقتضاها . واما سائر حملة الاقلام بيننا فهم في هذه السبيل إما قاصرون، وإما متصرون، وإما مقصّرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب دبيب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث نشعر ولا نشعر، والى ناحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب السامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سميته «كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسوية» والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيس

عند التعريب عنها ، يتناول اكثرها غيرها من لغات غربي اوربا كالايطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقالي الحاضر فأريد ان التفت فيه لفتة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عقبة كؤود يجب ان تتضافر الاذهان والاقلام على تذليلها وتمهيد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك واتفقت عليه كلتنا زالت من امامنا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القبيل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فهمي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لأنه لا يشتمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدّام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فعساهم بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومسالكها ومستشرفاتها ومرافقها .

متى يجوز لنا ان ننقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نضرب صفحاً عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لغتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقد حديثاً *Lier une conversation*» — ضرب العدو معقلا . *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . — « راية منصورة *Un drapeau victorieux*. اي

اصحابها منصورون – « عقل ناضج *Un esprit mûr* » اي كامل بالتجارب — « صقل عبارة *Polir une expression* » اي هذبها — « صارع الشقاء *Lutter contre la misère* » اي قاومه — « ابناء الظلمات *« les enfants des ténèbres* » اي ابناء الضلالة — « ثقل الصولجان *le poids du sceptre* اي مصاعب الملك — « ميناء النجاة *le port du salut* » اي المنجى — « عقل مخصب *Uu esprit fécond* » اي عقل متسع قادر ٠

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان او استعارة او كناية فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص اللغات الافرنجية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتموج وتشبيههم الغدير الصافي بالمرآة ، ولحاظ الحسان بالاشعة ٠ وكقول احد ادبائهم مشيراً الى مساوئ طور الشباب وقلة خيره : « ليس ما يدعونه ايام الصبى الا وميض برق في ليل عاصف » وكقوله في وصف معيشة قروي : « وكان بين امرأته واولاده كالشجرة الناضرة كلليا ثمرها الناضج » وفي كرور الايام المستمر : « الزمان بحر دائم الجريان لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط على غير هدى ولا يصيب مرفأ يرمي فيه » وفي ذكر ام تتأمل صغيرها : « كانت تنظر بحنو الى طفلها وما هو الا وعاء سيملأه حادثات الليالي » وفي شقاء الرعية لرفاهية ملوكها : « لم ينسج ارجوان الملوك الا من دماء رجالهم » ٠

ولكني لا استحسن مثلاً ان تقول في التعبير المجازي كما يقول الافرنج « دموع مرة » عوض « دموع حارة » ولا « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » وغابات نائمة » عوض « غابات هادئة او ساكنة » ولا « جبهة هادئة متكبرة » عوض « عليها سمات الهدوء » ولا « مدّ اليه يداً مستحية » « عوض » مد اليه يد الحياء ٠ او — مد اليه يده بحياء ٠ او ٠ مدّ اليه يده مستحياً » ولا « طلب يد فلانة » اي خطبها الى اهلها » ولا « الزمان الذي يتبخر » اي الزمان المشرف على الزوال ٠

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذاك المقبول من المجاز الافرنجي ٠ وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معهودة في انشائنا ٠ واذا كانت عندهم دالة على اصطلاح خصوصي او عادة في معايشهم او فيها تلميح الى حديث او حادث في تاريخهم ٠ ويكثر ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى المثل ٠ فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا الى معنى واحد ٠ فعوض ان تقول مثلا « ألقى آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان تقول : « رمى بآخر سهم من كنانته » وعوض ان تقول « عمل ملفوفة بيضاء » يجب ان تقول : فاته غرضه اوخاب مسعاه او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندهم لمعان وحالات لا تنطبق على ما يراد منها في لغتنا ٠ فلفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندهم بهذا المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح : « كنت اعده ٠ او ٠ كنت اعتبره بريئاً » لا « مثل بريء ٠ او نظير بريء » حسب النص الفرنسوي ، وترد *Comme* في الفرنسوية للتعجب نحو *Comme il est beau !* اي « ما اجمله » ٠

« *Rien qu'à* » : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : « *Rien qu'à le voir, on le soupçonne* » اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه

نحو: «*une fois que..*» *Cela, doit être vrai une fois que vous me le dites*

اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحاً »

(*c'est*) : لا يجوز أن ننقلها بحرفها الى لغتنا فنقول « هذا » او «هذا هو » فهذه الأداة عندهم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان تقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفهما في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان ننقلها حرفياً ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في منتهى الركاكة والخطإ بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

(*trop*) هذه الاداة عندهم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : « *Il est trop sage pour commettre cette faute* » فمن المضحك ان ننقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيرا لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسويتين *si* و *autant* يرادفهما في العربية « بهذا المقدار» ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجاً ركيكاً . مثال ذلك قولهم :
« *Il est si (tant ou autant) vertueux qu'il aime ses ennemis* »
فلا تنقلها بحرفها الى العربية وتقل : انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القبيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائماً لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسوية موقع « عوضاً عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا تقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني اولادك » او — عوضاً عني — او — بدلاً مني — او — نب عني بتقبيلهم . ثم ان هذه الاداة الفرنسوية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالها . مثال ذلك : *je compte ces fatigues pous rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الاتعاب شيئاً » او — شيئاً مذكوراً — او : شيئاً يستحق الذكر

ولهم أفعال تخالف في بعض مواقعها عندهم ما عرفناه من مواقع مرادفاتها عندنا . أكتفي هنا على سبيل التمثيل بايراد اربعة منها : « *faire avoir. venir. aller* »

« *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في اكثر استعماله « فعلَ او عملَ اوصنعَ » قد يرد بالفرنسوية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسوية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً وتقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » . وان يقال *il a fail ses devoirs* فلا تقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته — او — اداها — او — قام بها — او قام بما عليه . الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظهر المرض — او ادّعاه — او تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسويين فاذا أُلحق به حرف الجرّ الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجر فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحقتين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريده المتكلم . وربما اقتضى اتساق الانشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك — او سيترتب عليك او سيجب عليك — قطع مسافة طويلة . ونحو : *Vous* »

« *n,aurez qu à lui attirer son attention* » وهذا تعريبه : « ليس لك الا ان توجه انتباهه — او ان تنبهه » .

« *aller; venir* » يستعمل فعل المجيء في الفرنسوية احياناً للدلالة على الماضي القريب . وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب . فاذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « *il vient de faire* » ارادوا انه فعله منذ هنيهة . واذا قالوا « يذهب لنعل كذا » *il va faire telle chose* ارادوا انه سيفعله عما قريب . او انه على اهبة القيام به . كما اشتهر انهم يستعملون فعل الذهاب للسؤال عن الاحوال فيقولون : « كيف انت ذاهب » اي كيف احوالك . ويقولون « كيف ذاهبة الأشغال » اي كيف هي .

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تخبيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعى الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه . مثال ذلك قولهم : « *L'orateur se lève, attire l'attention et captive les esprits* » اي « ينهض الخطيب فيسترعي انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع . واما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول: « نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم .

ومما يجدر بنا ذكره مناسبةً لما نحن فيه ان البلاغة العربية يدخل في ابوابها وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنا من مصطلحات الانشاء الفرنسوي . فالبليغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتوم لا ريب فيه . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً »والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » وانما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل منتظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

وقوعه . وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني . وهو نهج معروف في العربية العامية ايضاً . مثال ذلك ان جاركم يقول لك « ان ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تريد ان تقول له « ان ابنك سينجح وسيأخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » . لأنه في ساعة تحادثك انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزه على مستحقيها .

ومما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب الوثنيين ورباتهم وانصاف آلهتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلى قمة من الصفات المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدهاء والذكاء والجمال والغرام والحقد والانتقام وغير ذلك .

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عندهم كثيرة جداً يخطئها العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب الانتباه اليها واتخاذ الحيطة لها :

Il a mis deux heures معناه الأصلي : وضع ساعتين . والفصيح أن يقال : قضى ساعتين . او استغرق ساعتين

Etude معناه الأصلي درس . ويأتي بمعنى بحث . مبحث مباحثة .

Etudier une question الفرنسي يقول : درس فلان المسألة . والعربي يقول: فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

sang froid معناه حرفياً : دم بارد . ويجب تعريبه بقولنا رباطة

الجأش اوثبات القلب او ثبات الجنان · او حضور الذهن

معناه حرفيًا : انقذ الظواهر اوخلصها : و ترجمته *Il a sauvé les apparences* داری ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر · او صان حرمتها

خلق · وكثيراً ما يجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر او ابتدع او انشأ *Créer*

ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه او اشد التوجيه · أو كانت الشبهة العظمى واقعة عليه *Il était étroitem ent compromis*

يحسن الوصف · يصف بدقة · او مهارة او لباقة · انه موفق في دقة وصفه كذا *Il décrit avec bonheur*

الترجمة الحرفية *Cette influence explique son indécision*

ذلك التأثير كان سببًا لتردده · نشأ او نجم تردده عن ذلك التأثير

وهذا القدر اراه الآن كافيًا لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه من زوايا وخبايا

اللاذقية ادوار مرقص

مخطوطات ومطبوعات

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

من جملة مخطوطات المكتبة الأحمدية بحلب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) للعلامة ابن خطيب الناصرية في مجلدين ضخمين الثاني منهما مخروم الآخر .
كان هذا الكتاب معاراً من مدة طويلة ومنذ نحو ثمان سنين استحصل على الجزء الاول ومنذ شهرين استحصل على الثاني ، ولما وصل هذا الى دائرة الاوقاف ارسلته إليّ لارتبه لأنه قد اختلط بعضه ببعض ولا ارقام على صفحاته ، فرتبته ووضعت له أرقاماً وحصرت نقصه من نصفه الى الآخر فبلغ عشر ورقات ، وقد أحببت ان اكتب كلمة عن هذا السفر النفيس معرفاً به لعل ذلك يؤدي الى اخراجه الى عالم المطبوعات لتعم الفائدة منه .

هذا التاريخ كما قال مؤلفه القاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصرية في خطبته هو ذيل على تاريخ الكمال عمر بن أحمد ابن العديم المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي تكلمت عليه وعلى الاجزاء الموجودة منه في مكاتب العالم وعلى ترجمة صاحبه في مجلة الجامعة الاسلامية الحلبية في تسعة اعداد وذلك من عهد قريب .

وتاريخ الكمال ابن العديم ينتهي الى سنة ٦٥٨ الى السنة التي استولى فيها هولاكو على حلب وخربها ، فجاء ابن الخطيب فذيله من سنة ٦٥٨ الى سنة وفاته التي كانت سنة ٨٤٣ قال :

احببت أن اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الاسماء اضدره بفصول:
الفصل الأول في حلب وأسمائها ومن بناها والقابها
" الثاني في ذكر حدودها وأعمالها

الفصل الثالث في عظم فضلها وخصائصها

〃 الرابع في فتحها

〃 الخامس في نهرها وقناتها ومساجدها ومعابدها

وقد ذكر ذلك الصاحب كمال الدين عمر بن العديم في ذيله مستوفى ، الا ان تاريخه تفرق شذر مذر ولا يوجد الا القليل منه ، وكنت وقفت على بعض اجزاء منه من المبيضة قبل الفتنة التيمرية ثم أذكر منها أو من بلادها ومن اجتاز بها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزلها او اجتاز بها او بمعاملاتها من أهل الشعر والانشاء ومن دخلها أو ملكها من السلاطين او وليها من الامراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها والى معاملاتها من فضلاء غيرها من البلاد ، و من كان له بها مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وهي السنة التي اخذ بها هولاكو حلب وخربها ، ثم انشئت عمارتها من ذلك الحين وهلم جرا الى زمني ، ورتبتهم على حروف المعجم في الاسم واسم الأب والجد وان علا مها أمكن وكذلك في حروف الاسم واسم الأب وان علا ليكون اسهل للكشف ، ولم ادع الاستيعاب بل ما وقفت عليه او علمت او غلب على ظني انه دخل حلب او معاملتها او كان من اهلها او ولد بها ، وكذلك النوازل والنوادر اذكرها في ترجمة من توفى في السنة التي اتفقت فيها .

والمؤلف قد وفى ما التزم به كما تبين لي ذلك من تتبعه ، فعلى هذا لا يكون هذا التاريخ خاصاً بحلب بل هو تاريخ عام للبلاد السورية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية ، فتجد فيه من تراجم اعيان هذه البلاد كلها ممن توفي سنة ٦٥٨ الى سنة ٨٤٣ التي هي سنة وفاته مالا تجده في غيره ، وترى فيه تراجم السلاطين والامراء الذين تولوا البلاد المصرية والسورية بصورة مبسوطة بحيث يصلح ان يجمع منها كتاب واسع في اخبار هؤلاء في هذه المدة وتنقلاتهم في هذه

البلاد من امارة صغيرة في مصر إلى نيابة حماة فحمص فطرابلس فحلب فدمشق الى أمارة كبيرة في مصر، فهو على هذا تاريخ لهذه البلاد كلها، وهو مشحون بآثارهم في هذه البلاد، وبالمقارنة مع التاريخين الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المطبوع في الهند والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي المطبوع في مصر تبين لي أن الكثير من التراجم جاءت فيهما وجيزة وهنا مطولة، كما أنه في بعض الاحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين، وهي عند ابن الخطيب مختصرة فلا يستغنى اذا بهذين التاريخين عن هذا.

وقد تكلمت على هذا التاريخ في مقدمة تاريخي (اعلام النبلاء (ص ٢١)، ومما قلته نقلاً عن الرضي الحنبلي مؤلف در الحبب في تاريخ حلب انه لما وصل الى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العسقلاني المصري سنة ست وثلاثين وثمانمائة طالع هذا التاريخ من المبيضة ثم من المسودة والحق فيه أشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بانباء الغمر بابناء العمر واثنى على صاحبه وأفاد أن كلاً منهما سمع من صاحبه.

ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ

(١) نسخة حلب في المكتبة الأحمدية

(٢) « في برلين رقمها ٩٧٩١

(٣) « في مدينة غوطا ٩٧٩٣.

(٤) « في لوندرة ٤٣٦

(٥) الجزء الثالث منه في مكتبة الأمة باريس رقمها ٢١٣٩ هذا الجزء من نسخة في أربعة أجزاء ابتدىء فيه بترجمة عبد الكريم بن أحمد المصري واختتم بترجمة محمد بن تمام الحميدي وهو في ١٥٠ ورقة.

(٦) نسخة في مكتبة لاله لى في استانبول في مجلدين رقمها ٢٠٣٦ و٢٠٣٧.

(٧) نسخة في مكتبة خالص بك مستشار الخاصة في الآستانة وهي مكتبة خصوصية .

هذا ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ في مكاتب العالم .

ومنذ سنتين زار حلب المستشرق الفاضل رايخ فاخبر أن العلامة المستشرق بروكلن الالماني مؤلف آداب اللغة العربية وقف على ٢٣٠ نسخة من هذا التاريخ . واستبعد ان تكون هذه الثنتان والعشرون نسخة هي الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية ، ويغلب على ظني أن بعض هذه النسخ هي الدر المنتخب الصغير المنسوب لابن الشحنة وهو على التحقيق للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالملا الحلبي وقد تخالله زيادات من الشيخ إلى اليمن البتروني . وهذا طبع في المطبعة اليسوعية في بيروت سنة ١٩٠٩ ، والفرق بينهما أن ذاك في مجلدين ضخمين وبعض النسخ في أربعة أجزاء ، وهذا في جزء صغير تكلم فيه على حلب خاصة في ٢٥ باباً .

ونحن ندع تحقيق هذه الناحية الى العلامة بروكلن المومأ اليه .

والجزءان الموجودان في مكتبة الأحمدية الأول منهما تام وهو ٦٧١ صفحة بخط مقروء ، لكن فيه تحريف كثير ، وذلك يفيد أن الناسخ من العوام وكل صفحة ٢٥ سطراً ولا تاريخ في آخره .

والثاني أحسن خطاً وضبطاً ؛ لكن فيه النقص الذي قدمناه وبعض أسطر من بعض الصفحات ممحوة وهو في ٤٦٠ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً ولا تاريخ في آخره بل سقط من آخره ثلاث أو اربع اوراق ، وذلك عدا عما سقط منه قبل ذلك بما يكمل عشر اوراق ، وهو أقدم خطاً من ذلك وحاله يدل انه قد كتب في القرن العاشر الهجري .

محمد راغب الطباخ

شرح الشمقمقية

للسيد عبد الله كنون الحسني (صفحة ١٢١)

مطبعة مصطفى محمد بمصر

والشمقمقية هذه اسم ارجوزة قافية لابي العباس احمد بن محمد بن الونان الحميري ، وعدة اياتها ٢٧٥ بيتًا في النسيب والحماسة ، والحسود والحكم والامثال ومدح الشعر والسلطان ، وقد اعجب بهذه الارجوزة ادباء المغرب كثيراً فعارضها ابو عمرو الرباطي من ادباء القرن الثالث عشر ، وشرحها كثيرون منهم ابو عبدالله الجريري وصاحب الاستقصاء ، وهذا الشرح المطبوع بمصر ، وكانت هذه الارجوزة قد طبعت على الحجر ضمن مجموعة من المتون العلية في مدينة فاس ١٣١٥ هـ .

والشمقمقية نسبة الى ابي الشمقمق الاصغر الذي لقب به ناظم هذه الارجوزة ، اما الاكبر فهو ذلك الشاعر الكوفي الماجن الذي تقرأ اخباره الظريفة في الاغاني والكامل والعقد الفريد ، وكان ناظم الشمقمقية نديمًا لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله فكناه بابي الشمقمق لظرفه ومُلحه . ومطلع هذه الارجوزة :

مهلاً على رسلك حادي الاينقِ   ولا تكلفها بما لم تطقِ

ويقول في خاتمتها :

اليكها ارجوزة حُسانة   لمثلها ذو ادب لم يسبقِ

ما لجرير وجميل مثلها   في غزل وفي نسيب مونقِ

فلو رآها الاصمعي خطها   كي يستفيد بسواد الحدقِ

وقد سما الناظم في بعض ابيات ارجوزته الى درجة المطبوعين ، وأسفّ احيانًا الى دركة المتكلفين ، واكثر فيها من الغريب في وصف اليد والقفار والحيوان والاطيار والأشجار ، كما اكثر من اسماء الاعلام والوقائع التاريخية محتذيًا في ارجوزته حذو ابن دريد في مقصورته ، وقد اوضح الشارح لغة الارجوزة واخبارها ايضاحًا كافيًا صحيحًا ، ولولا ما فيها من اغلاط الطبع والسهو لكملت فائدتها ، والضبط في مطابع الشرق ما زال معوزاً .

التنوخي

الادباء العشر

للاستاذين اسعد طلس وابراهيم الكيلاني

من منشورات المكتبة العمومية بدمشق ، صفحاته ٤٩٦

يسأل طالب الشهادة التجهيزية (البكالورية) في خاتمة كل سنة مدرسية عن عشرة ادباء تختارهم لدراسته وزارة المعارف ؛ وهؤلاء العشرة عرضة للتبديل من سنة الى اخرى ، وقد اعتاد مدرسو الأدب في التجهيزيات ، ان يساعدوا طلابهم بتأليف رسائل عن كل من هؤلاء العشرة ، كما فعل الاستاذان السيد خليل مردم بك والسيد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي ، فقد وضع الأول رسائله (ائمة الادب) في الفرزدق والجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن عباد ، وانشأ الثاني رسائله في امرئ القيس وابن المقفع والامام علي .

وغير هذين المؤلفين قد نحا منحى آخر بتأليف كتاب يجمع الادباء العشرة كما فعل الاستاذ ممدوح حقي في كتابه (ادباء البكلوريا) والاستاذ خلدون الكناني والاستاذ حنا نمر في كتابيهما والاستاذان اسعد طلس وابراهيم الكيلاني في (الادباء العشر) الذي كتبنا عنه هذه الكلمة ؛ غير ان مثل هذا المنحى لا يتسع لاتمام البحث عن العشرة ، ويضطر معه المؤلف الى جمع المتفرق او الايجاز المخل احيانًا ، فيجيء كتابه بعيداً عن البحث الذاتي المستقل ، مما لا يكشف حقيقة او ينير غامضاً ، ولا يهتدي به الطالب الى مواقع الحسن او القبح من التعبير ، والى مواطن الصحة او الخطأ من التفكير ، فلا يتبين لذلك حقيقة الشاعر او الناثر لتلك الأحكام التي تنطبق على كثير من الادباء ولا تريه منه الا صورة مبهمة سريعة الانطماس والدثور ، لا حياة فيها ولا نور .

وقد حاول المؤلفان لكتاب (الادباء العشر) ان يفيدا في هذه السنة طلاب الشهادة التجهيزية ، وان ينجحا في زمن قصير عن العشرة الادباء ، فكانا يكتبان الابحاث ليلاً ، ويقدمانها للطبعة نهاراً ليتمكنا من انجاز كتابهما قبل انتهاء السنة

المدرسية ، فوقع فيه لهذه العجلة الاضطرارية اغلاط في النصوص وفي العروض والرسم ، وبعض آراء لم ينضجها البحث المحتاج الى اطالة النظر ، و كثرة التوقف ومراجعة المظانّ وتمحيصها .

وقد اغفل المؤلفان بهذه العجلة ان يحللا لكل اديب قطعة من شعره او نثره ليقع الطالب على مواطن الحسن او القبح كما ذكرناه آنفاً ، وليندرب على طريقة التحليل العلمي ، ولعلهما قد تركا هذا العمل الخطير للأستاذ المدرس ، وما كل مدرس بقادر على ان يوفي ذلك حقه .

ومن العجلة احتجاج المؤلفين لصحة اسم الكتاب (الادباء العشر) لا العشرة ، بقولهما في آخر صفحة منه ما نصه : (ولا بد لنا في الختام من ارشاد الذين انتقدوا عنوان كتابنا الى مراجعة بحث العدد في حاشية ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب أوضح المسالك للشيخ المراغي فان فيهما نصاً عزيز النقل فليحفظوه!) مع ان ابن عقيل لا حاشية له ، فهو شارح الالفية ، والمحشي هو الخضري ، وكتاب اوضح المسالك أو التوضيح هو لابن هشام ، والمراغي قد نشره نشرةً جديدةً باسم تهذيب التوضيح ؛ هذا وان ما نقله الامام النووي في حاشية الخضري عن شرح الكافية للسيد الصفوي في تجويز تذكير العدد وتأنيثه بعد المعدود موضع نظر ، لان الناقل والمنقول عنه ليسا من أئمة النحو ، وما ورد من الكلام الذي يصح الاستشهاد به لا يقبل مثل هذا التجويز .

أما تراجم الكتاب لادبائه العشرة فكافية للطالب ، ومخففة من عناء بحثه عن اخبارهم واخلاقهم مما يعينه على فهم آثارهم الادبية ، وفي خاتمة كل بحث بيان مفيد للمصادر التي تعين الدارس على التتبع والاستقصاء ، فعسى ان يتلافى المؤلفان هذه النواقص في الطبعة الثانية .

التنوخي

باكورة في تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية

تأليف السيد هنري لاوست

H. Laoust: Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki - d - din Ahmad B. Taimya, Le Caire. 1939

نفذ مؤلف هذا الكتاب الى روح شيخ الاسلام ابن تيمية ، وغاص كما يغوص العالم الذي لامأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام، وهي كثيرة جداً واكثرها معالم تسط عليه غير الدهور ، فاستخرج لآلئ بديعة في منازع ابن تيمية في الاجتماع والسياسة تمثلها وكتبها باسلوب عال باللغة الفرنسية ، ومعلوم أن تقي الدين كان يجمع الى العلم الديني السياسة ، ويعرف زمنه كما يقال في وصف العارفين، يعرفه معرفة اعظم رجال الدولة ، فدرس آرائه ومذهبه في الحقيقة درس لماحوت الشريعة الاسلامية في أجمل صورها واصدق مصادرها .

ان الكلام على ما خاض المؤلف عبابه يحتاج إلى بحث طويل ، ومن امتع ما قرأنا فيه تلطفه في التعليق على آراء شيخ الاسلام تعليقاً مهماً خالف رأي المؤلف ، فهو لا يخرج عن حدود أرقى المؤلفين في تأليفهم .

ولو كتب لكل من يكتب اطروحته أن يمعن في درسها كما امعن الاستاذ لاوست في بحث ابن تيمية لخلفوا لنا مجموعة من الابحاث يعتمد عليها في الموضوعات التي عالجوها ، ولكن غاية معظم من كتبوا اطروحاتهم من ابنائنا كانوا يقصدون بها خدمة انفسهم بنيل شهادة العالمية لا خدمة العلم كما وقع لصديقنا لاوست، وانا لنشكر المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يطرد صدور تآليفه على هذا المنهاج خدمة لعلم لا تكاد تعرف اكثر حقائقه في بلاد الغرب وينشره بهذا الاسلوب الممتع قطع لألسن من يهرفون عن الإسلام بما لا يعرفون، ولا غضاضة عليهم في ذلك وما القصور

الا منا نحن ورثة هذا التراث العظيم ، وباهمالنا وتركنا المجال خالياً لمن يقولون فينا وفي تعاليمنا ما يقولون ، وقد نعترض على من يتوفر على الدرس فيخرج ما يهديه إليه بحثه للناس ، وليس لنا من برهان الا ما يعرض خاطرنا بادي بدء من رأي فطير غير نضيج .

محمد كرد علي



المجلد السادس عشر الجزء الخامس والسادس

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار وحزيران سنة ١٩٤١ م
جمادى الأولى وجمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

المطبوعات العربية

البدء بالطبع وعبث الطابعين

سبقت مصر سائر الأقطار العربية في الأخذ بأسباب الحياة العلمية ومنها طبع الكتب . ولئن بدأت الاستانة بطبع الحرف (١١٣٩ هـ) بعد أن طبعت الكتب العربية في الغرب بزمن طويل ، إن الطبع بالحروف لم يعهد في مصر الا في سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وكان على ضعف حتى سنة ١٨٢٢ م وهي السنة التي أسست فيها مطبعة بولاق الأميرية وطبعت الأمهات القديمة وكتب العلوم الحديثة .

وأنشئت في بيروت مطبعة المرسلين الاميركان البرتستانت سنة ١٨٣٤ م ثم مطبعة المرسلين اليسوعيين الكاثوليك في سنة ١٨٤٨ م ، وفي نحو ذلك الزمن دخلت الطباعة بالحروف الى تونس ، وانشأت الحكومات مطابع لها في بعض أنحاء الشرق . وما بدأ الأفراد بتأسيس المطابع في أرض الشرق العربي الا بعد انقضاء زمن على المطابع الحكومية ، وكانت عنايتهم بما يطبعون دون عناية الحكومات ، ذلك لأن القائمين بأمرها توخوا الربح قبل كل شيء ، وتوهموا الأرباح تأتي من طريق الاقتصاد في النفقة من كل باب ، وكان معظم من عانوا الطباعة لا شأن لهم في العلم والأدب ، فأساء بعضهم الطبع بالطبع ، وأخذت الشناعة بيعض ما طبعوا : لا دقة في التصحيح ، ولا ذوق في وضع الصفحات والحواشي ، وقد يخلطون في الكتاب كتاباً آخر لا علاقة له بالكتاب الأصلي ، فتستغرق الصفحات بالأصول والزوائد ، ويختارون للطبع أسقم الحروف ويتخيرون أدنى الورق ، ويتطلبون الرخص في كل شيء ، وبذلك خلت مطبوعاتهم من كل بهجة وروعة .

ولما كان اكثر من عانوا طبع الكتب من طبقة العامة ، لم يهتموا لجهلهم بغير كتب الخرافات والغراميات على الأغلب ، بدعوى أنهـا اروج من كتب

العلم ، ظانين أن طبع الكتب من جملة ضروب التجارات لا تحتاج الا لما تحتاجه التجارة عامة من رأس مال ، ومعرفة بطرق التوفير ، واقتناص الربح ، والتجارة تخوّلهم أن يطبعوا ما شاؤوا ، ويعملوا بالكتب ما شاؤوا ، على أن تكون الغاية من كل ذلك الكسب المضمون ، لذلك ما تعفف بعض الوراقين عن طبع كتب المنامات والتخريفات وأشياء سموا كتبها الروحانيات ، واشياء هي من الاسرائيليات ، وكتب أسرار الحرف ، والجفر ، وكتب الكيمياء وعمل الذهب ، وكتب السخف والمجون ، وطبعوا واكثروا من طبع كتب ابي معشر والديربي واضرابهما ، وكل الكتب المنسوبة لأمثالها تعبث بالعقول وتزيد قارئها جهلاً الى جهل

طبع كتب العلم

قويت العزيمة على الاستكثار من طبع كتب العلم لما كثر تبرّم الناس بتلك الكتب المضرّة وزاد عدد المتعلمين على الطرق الحديثة ، فأدرك العارفون قصورهم عن احياء كتب السلف ، فطبعوا في مصر أسفار مالك والشافعي وابن حنبل وابي حنيفة والغزالي وابن حزم وابن تيميـة وابن القيم وابن الجوزي وابن قتيبة والجاحظ وثابت بن قرة وحنين بن اسحق والآمدي والشاطبي والقرافي وابن رشد والباقلاني وابن عبد البر والسرخسي واخوان الصفا وابن جني وابن منظور وابن سيده الى عشرات امثالهم من علماء الأمة وحكمائها وأدبائها ومؤرخيها ولغوييها .

واختصت الهند بطبع كتب الحديث ورجاله وما شاكل ذلك من علم الكلام واللغة ، كما تفردت ايران بطبع كتب الامامية بالعربية وغيرها ، وزنجبار بطبع كتب الخوارج والإباضية ، ودمشق وبيروت بطبع الكتب المنوعة ، وخصت أوربا بطبع كتب العلوم كالطب والكيمياء والأقرباذين وجرّ الأثقـال والزيجات والأرصاد والفلك والرياضيات والطبيعيات والنبات والتاريخ والجغرافيـا والرحلات واللغة والأدب والشرع وغير ذلك من العلوم التي نقلتها العرب عن أهل الحضارات

القديمة وزادت فيها ، او كانت وقفاً عليهم كعلوم القرآن والسنة واللغة والشعر .

شرعت أوربا من نحو أربعة قرون بطبع ما عثرت عليه من كتب الرازي والبيروني والبتاني والكندي (الفيلسوف والمؤرخ) وحنين بن اسحق والخوارزمي ونصير الدين الطوسي وعبد الرحمن الصوفي وابن النديم والفارابي وابن سينا ويوحنا ابن ماسويه والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن خلكان وابن الاثير وأبي الفدا والقزويني وحمزة الأصفهاني والشريف الادريسي والمقدسي والاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبة والهمداني والبلاذري والبكري وابن عذاري وابن سعد وابن سعيد ومسكويه وابن جبير وابن هشام والبيضاوي وعشرات من اضرابهم مما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، وكلها كتب مختارة بذلوا الوسع لمعارضتها على نسخ متعددة ووشحوها باختلاف الروايات وحل عويص مشكلاتها ، وزينوها بالفهارس ، وقربوا منال الانتفاع بها على المطالعين ، عملوا كل ذلك بأمانة وتدقيق وتحقيق ، وكانت الغاية من طبعها واحيائها خدمة العلم ، وما قصر الهولانديون والألمان والطليان والفرنسيون والبريطانيون والروسيون والاسبانيون والبولونيون والاميركان وغيرهم في احياء كتب العلوم وطبع كتب اللغة والتفسير والحديث أيضاً

طلع القرن الرابع عشر من الهجرة ، وأهم مواطن طبع الكتب العربية في الشرق القاهرة وبيروت وتونس والاستانة وحيدر آباد الدكن وطهران وفاس ، وجهلة الوراقين قابضون على قياد الطبع لا يهتمون بغير الكسب ، وقلّ من الكتب ما تولى تصحيحه العارفون ، ومنها ما نشرته الحكومة المصرية وبعض الجمعيات العلمية والدينية . وكان المؤلفون في بلاء من أكثر الوراقين يتحكمون فيهم ، ويستثمرون جهودهم ، واذا أرادوهم على عمل فهارس للكتب تسهل على المطالعين تجهموا لهم ، واذا اقترحوا عليهم أن يختاروا الجيد من أصناف الورق هزؤوا بهم .

جمعيات طبع الكتب

وهذا ما دعا الى تأليف عدة جمعيات من الغُيُر على العلم ، ومن أعضائها الشيوخ الأجلاء ومنهم بعض أرباب المكانة في المجتمع المصري فلم يوفقوا في عملهم ، لما كان ينقصهم من بعد الهمة والمشاكلة في الثقافة ، والتجرد عن التعصب ما امكن في اختيار ما يطبعون ، وتألفت منذ أواخر القرن الماضي في مصر عدة جمعيات لهذا الغرض ، ومنها ما طبع بضعة كتب وانهزم من الميدان ، ومنها ما قصد طبع كتاب بعينه فلما أتمه لم يحاول طبع غيره . وقد انحلت هذه الجمعيات لأنها لم تسر على نظام ثابت يضمن لها البقاء ، ولأن القائمين بها أرادوا حلها عجزاً عن المضي فيها ، ولأن الفردية تغلب على الشرقي فلا ينجح مجتمعاً وكثيراً ما يفلح منفرداً الفلاح كله .

وأنشأ بعض النابهين من المتعلمين على الأسلوب الحديث لجنة في القاهرة في سنة ١٩١٢ سموها «لجنة التأليف والترجمة والنشر» وما زالت تزيد رقياً سنة عن اخرى ، تطبع الكتب الجديدة والقديمة ، وتعنى بألاّ تخرج مطبوعاتها قبل عرضها على جماعة من الاختصاصيين من أعضاء هذه اللجنة أو من غيرهم ، وأكثرهم معلمون وأساتذة وموظفون ، وقد طبعوا الى الآن اكثر من مائة وثلاثين كتاباً في الطبيعة والرياضة والفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع وغيرها ومنها ما يدخل في مجلدات ، ومنها ما هو من القطع الكامل ، ومن كتبهم ما نقلوه عن اللغات الاجنبية ومنها ما ألفه الأعضاء أو غيرهم ، فأثبتت اللجنة أن الشرقي اذا أحب العمل وأتقنه لا يقل عن الغربي .

يتنافس الناس اليوم في اقتناء المطبوعات الجيدة ، وكان المأمول أن يكتب لها الرواج اكثر مما قُدّر لكتب المجون ، ومن هذه ما يطبع عشرات الألوف كالقصص والروايات ، ومنها مالا يشبع الجمهور منه لأول نشره بأقل من عشرة آلاف نسخة ، وما يقال في الكتب يقال في المجلات — والمجلات أيضاً كتب

دورية — فان أرقى المجلات العلمية الأدبية باللغة العربية تطبع بضعة الوف ، ومجلات العامة تطبع العشرين والثلاثين الفاً وربما اكثر من ذلك ، وما يروق الخاصة لا يروق العامة ، وخواص كل أمة اقل من عوامها . وكان لارتقاء فن الطباعة في الغرب دخل كبير في رقي المجلات العربية وما صارت اليه من التفنن في الطبع والتصوير . ولم يدخل على الكتب من هذا التحسين شيء كثير يناسب فائدة الكتب ، وتناسى السواد الأعظم ان الكتب تخلد وتورث وتتناقلها الأيدي اكثر من المجلات والصحف، وهذه ما خرجت عن كونها ابنة يومها بل ساعتها .

أصناف الكتب

تقسم الكتب في مصر الى قسمين صفراء وبيضاء ، فالكتب الصفراء هي ما طبع على ورق اصفر من الجنس الرديء ، وهذه يسمونها الكتب الأزهرية ، والبيضاء هي التي تطبع على ورق ابيض ، وهي كتب الجمهور على أنواعها وكتب المدارس النظامية ، والكتب الصفراء رديئة الطبع ، رديئة الوضع ، تشوش القارئ وتبغض اليه المطالعة ، بما تحمل من هوامش وهنات ينبو عنها النظر ، والعكس في الكتب البيضاء المشرقة فانه تستجاد لها الحروف والورق وهي خالية من الهوامش الا ما كان منها داخلاً في الموضوع ، وقد تبذل العناية بتصحيحها اكثر من الكتب الصفراء .

دب الكساد في الكتب الصفراء قليلاً ، وكتب الرواج مع الزمن للكتب البيضاء ، بقاعدة بقاء الأنسب ، وبما دخل من التحسين على أذواق الأمة ، وما برح مع هذا بعض الطابعين بمصر يجوزون لأنفسهم طبعها كما يطبعون كتب التضليل والتدجيل ، يصدرونها الى بلاد الزنوج في أواسط افريقية والى بلاد الملايو ، يطبعون منها مقادير برسم التصدير الى الخارج غالباً ، ولو كان لي من الأمر شيء لجرمت كل من يجرؤ على طبع مثل هذه الأسفار المضرة بالعقل والدين ، ومضرتها لا تقل عن كتب المجون والسفاهة ، وكتب الالحاد والاباحة ، ذلك لأنها تباع على انها كتب دين ، والدين لا يعرفها وليست منه بسبيل .

مضار الكتب الساقطة

لا جرم ان من يبيع من الجهلاء كتباً تزيدهم جهلاً وغباوة كمن يحمل المخدّرات الى السذّج ويزين لهم استعمالها ، او كساقٍ يسقي السم الزُّعاف لمن يطلب اليه ان يسقيه ماءً قراحاً ، وليست كتب الجهالات في تخريب العقول بأقل من تخريب المخدرات والمسكرات في الأجسام . الحكومات تخاف من كتب فيها ما لا ترضاه سياساتها ، ولا ترى واجباً عليها أيضاً أن تحظر على الطابعين طبع المضرّ من الكتب ، لئلا يحملوا الى القراء كتباً غير محرزة ولا معتبرة ، فان هذه بالنسبة لجمهرة الأمة لا تقل مضارها عن تلك

ربما يقول بعضهم ان هذا مما يفتح للحكومة باب التدخل في حرية النشر وسلب حق الناس في الحرية . وما كان لأمة لا تعرف مالها وما عليها ، وما يصلحها وما يفسدها ، وليس لها من نفسها مراقب ولا محاسب ان تتمتع من الحرية بالمقياس الواسع ، وخير أن يرجع في النشر الى قاعدة من ان تطغى هذه الفوضى على ما يطبع ، وترجع الأفكار الى عصور الظلمات ، وينقطع الأمل من تأليف امة منورة متجانسة حتى بعد قرون .

مظاهر الكتب وترويجها

وبعد فقد كان في الامكان الاستعاضة عن هذه التجارة المحرمة في الكتب بتجارة محللة فيها بطبع الكتب المفيدة ، فان ما يطبع في مصر من الجيد تروّجه شهرتها في الأقطار ، وتزيد الكتب رواجاً بين مختلف الطبقات بقدر ما يتقن الطابعون طبع ما يطبعون من الكتب وينتقون أسفارهم ، ويبذلون العناية بالتصحيح والتهذيب . وقد رأينا بأَخَرَة بعض الطابعين تنصرف هممهم الى الخروج عن الطريق القديمة بعض الشيء كأن يقلدوا الطابعين في ديار الغرب بعنايتهم واتقانهم ، ويجعلوا فهارس للكتب ، ويتوقوا الأغلاط المطبعية في الجملة ، فزادت بذلك كتبهم حرمةً وقبولاً .

جمال الكتاب وطبعه مما يزيد الرغبة فيه ويزينه في الأعين ، وفي العادة أن كل بضاعة تبرز في قالب مقبول صنعًا ووضعًا تحتل من النفوس أحسن موقع ، فما الحال بالكتب التي هي أكثر البضائع اعتباراً وخلوداً ، ولقد بلغ حب الاتقان من أهل الغرب ، وحب الاعلان عن كل شيء ان عهدوا الى مفننين عرفوا بسلامة الذوق وسعة الحيلة ، ليصفوا بضائعهم صفًا يلفت الأنظار ، ويملئوا عنها في الصحف وغيرها بما يبعث العزائم على اقتنائها ، وان لم ترغب في ذلك كثيراً ، فهل عنينا نحن بكتبنا وقدرنا أنها على الأقل بضاعة من البضائع تحتاج لمن يروجها ؟ ان الكتب العربية تحتاج الى ان تأخذ حظًا من الاتقان اللازم وتهيأ لها من طرق الدعاية والنشر مثل ما يهيئه الطابعون والوراقون في البلاد المتمدنة لنشر مطبوعاتهم . ولو كانت كتبنا اسفاط جواهر مخبوءة في مستودعات الطابعين ما تنبه الناس لها بدون اعلان ولا دعاية .

بعض طرق الغربيين في نشر الكتب

في يوم واحد ينشر الورّاق الانكليزي [1] الكتاب الجديد في كل بلد تقرأ فيه اللغة الانكليزية من أصقاع الغرب والشرق ، وفي يوم واحد تكتب الصحف والمجلات نقد الكتاب وتقريظه وتلفت الأنظار اليه ، وفي يوم واحد يقرأ هذا الكتاب ابن بريطانيا العظمى وابن اليابان وابن كندا وابن استراليا وابن زيلاندة الجديدة وابن الولايات المتحدة وابن الهند ونزيل جنوبي افريقية ومصر والسودان . والوراق الانكليزي لا يضنّ لترويج كتبه بين القراء بكل مافي وسعه ، ينشرها بكل حيلة ، وكذلك سائر الوراقين من جميع الأمم الممدنة ، فعلينا أن ندرس طرائقهم ، وعلى الوراقين عندنا ألا يضنوا بخمسة أو عشرة في المئة يضمونها على نفقات

(١) ان مما قرأناه في هذا الشأن كتاباً نقل الى الفرنسية من الانكليزية في حقيقة الطبع لمؤلفه ستانلي اونون واسمه Stanley Unwin : La vérité sur l'édition و « الكتاب » لالبر سيم Albert Cim: Le livre

الطبع للاعلان عن مطبوعاتهم ، فيخدمون بذلك أنفسهم ويخدمون المؤلف ، ويخدمون المدنية والمعارف .

قصور وراقينا في النشر

وإنا لنجد الكتاب الذي يصدر في مصر لكثرة تدنيق بعض الوراقين في النفقات قد لا يصل الى البلاد العربية في أقل من سنة . يعتمد الكتبي في ترويج كتابه على الطبيعة والمصادفات اكثر من اعتماده على التذرع بذرائع النشر الكثيرة ، وربما طبع الكتاب الجيد وما عرف به من يهمهم اقتناؤه الا عرضاً وبعد سنين تمضي على نشره ، فهل يحق بعد هذا لوراق أن يشكو من قلة الرواج ؟ والرواج بيده ، ولو بذل القليل لربح الكثير . ولو صرفت العناية بالاعلان عن الكتب وترغيب الناس فيها وعرضها في المدن والقرى وتحبيب اقتنائها للرجال والنساء والأطفال لزاد عدد المطبوع والمبيع من كل كتاب قديم او حديث ، ولقل بهذا العمل عدد العاميين في البلاد العربية جمعاء ، ولا يمضي عشرون عاماً حتى تتغير تصورات الناس وأخلاقهم وآدابهم ومناهجهم في الحياة . بيد الطابع وبيد المؤلف نشر حضارة أمة فلينظر الوراقون ماذا يعملون ، ولتعمل الحكومات الواجب عليها نحو الطابعين ، ولتراقبهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة الجماعة .

نحن في أشد الحاجة الى التجدد في مطبوعاتنا ، وان نجدد في مظاهر الطبع من حروف واشكال وصور ، وقطع ووضع وورق وتجليد ، ونجدد في المبالغة بتصحيح الكتب والتعليق القليل بما يبين غامضها ، فليس كل الناس يفهمون ما يقرؤون ، فعلينا أن نسهل عليهم فهمها ، كأن نشكل دائماً محال الإشكال من الألفاظ ولا نترك غامضاً ولا مبهماً ، ونحن إذا فعلنا هذا لا نغش المطالع بل نستميله الى الاكثار من المطالعة . واذا صنا كتبنا عن تلقين المبتدئين أغلاطاً تتأصل في عقولهم فتؤذيها نصون الدين والآداب والمدنية ، ولا تقل التبعة الملقاة على عواتق الطابعين عن التبعات اللاحقة بالحاكمين والمسيطرين .

نقابات طبع الكتب

نحتاج الى التجديد في طرق النشر ، ولا يتم ذلك الا بانشاء نقابة او نقابات تفكر في اقرب السبل الى الاتقان والنشر والربح ، وتصدر مجلة توزعها مجاناً على دور العلم ورجاله وطلابه ، تفيض في الكلام على ما صدر ويصدر من الكتب ، وعلى مافي القديم منها من الحسنات وغيرها فتكون خير اعلان لما طبع ويطبع ، وأصدق مرشد لمن اراد ان يقتني الاطايب من الاسفار ، ولا ينفق فيها اكثر مما تمكنه حالته من انفاقه ، ويعان على ان يكون له منها مع الزمن خزانة خاصة يستفيد منها هو وأولاده وأحفاده .

العصر عصر الشركات ، وقد رأينا الطابعين او الوراقين الذين ضعفت رؤوس أموالهم لا يأتون شيئًا يعتدُّ به في هذه التجارة ، ورأينا المطابع الكبرى او الشركات المموّلة المنظمة في عملها تربح كثيراً وتفيد اكثر من غيرها . فاذا اجتمع الوراقون في مصر مثلاً ، وألفوا شركةً او شركات يدخل فيهـا فقراء الورّاقين وغيرهم تتغير أشكال الطبع وأشكال الأسفار ، وتخف شكوى التجرين بالكتب من قلة الرواج ، وشكوى المؤلفين والمترجمين والمصححين ، وشكوى القراء من سخافة المطبوع والمنشور ، وشكوى الكتب من الكساد ، وتدخل في طور اتقان وعناية على النحو الذي تراها عليه عند أصغر أمم الحضارة لعهدنا .

سبيل رواج الكتب

يتوهم بعض الوراقين عندنا ان الاشتطاط في الربح يوصل الى الغرض من هذه التجارة ، ونسوا ان الربح القليل من شيء كثير أعود عليهم من ربح كثير من شيء قليل ، ولو ادركوا ذلك ما توقفوا عن تغيير أساليبهم في الطبع والنشر وتقدير الربح ، ولأيقنوا أن من مصلحتهم المهاودة في الأسعار والعناية بتجويد بضاعتهم . ولكتاب يطبعه طابعه ويبيعه في مدة قصيرة أنفع له من كتاب يبيعه في المدد الطويلة

ليربح منه ما يقدّره لنفسه من الأرباح ، وهذا من أيسر قواعد التجارة التي يعرفها الأطفال في الغرب فعلى الرجال أن يتعلموها عندنا ٠

من جملة طرق الرواج في الكتب جودة طبعها وحسن خدمتها ، ونقصد بخدمتها المبالغة بتصحيح أصولها وتجاربها ، وحلّ المشكلات من متونها وشروحها ، فقد كان الطابعون فيما مضى يتوهمون أن كل مخطوط صحيح صالح للطبع لا يحتاج الى اكثر من ان يدفع الى المنضد لتنضيد حروفه وترتيب صفحاته ، ويجعل على الآلة الطابعة تخرجه ملازم ملازم ٠ والكتب التي تطبع لأول مرة والتي يتكرر طبعها تدفع الى رجل أزهري اذا كان على شيء من العلم فيكون من الطبقة التي تعرف الاعراب فقط ، وليس النحو والصرف كل شيء في عالم العلم ٠

الفرق بين الغربيين وبيننا في الطبع

رأينا كتبًا طبعها أعاجم من الغربيين وهم علماء فخرجت صحيحة سالمة من الشوائب ، على ضعف ناشريها احياناً في القواعد وبعدهم عن حفظ الدساتير ، ورأينا اسفاراً طبعت في اتقن المطابع بعناية أقدر المصححين تفيض بالأغلاط ، مثال ذلك تاريخ ابن خلدون المطبوع في المطبعة الاميرية ، لو تصفحته لتعوذت بالله مما فيه من تحريف الأعلام ، وسقطاته كثيرة قد تكون كلمة او اسطراً او صفحات ، ولا تخلو صفحة منه من بضع غلطات شائنة تحرّف النص وتُحيل المعنى ، وظن مصححوه أن ما يعرفونه من قواعد الاعراب كافٍ في تصحيح مثل هذا الكتاب ٠ وإلى اليوم نقع لأعظم المطابع خطراً اغلاط من هذا القبيل تحمرُّ لها الوجوه ، والواجب على من يعرف صنفاً من العلوم ألا يظن نفسه انه يحسن الاضطلاع بجميع الأصناف ٠ ولعل احد الباحثين يضع لنا كتاباً فيه متاع وعبرة ، يلمُّ فيه بأغلاط المطابع ، ويدوّن لنا ما يكتبه المصححون في اول الكتب وآخرها من مدح الطابع ومدح من طبعت في أيامه ، كأن طبع كتاب عدلٌ لفتح قلعة او ثغر ، او اعمار بلد او قطر ٠

تصحيح الكتب المطبوعة مسألة المسائل في فن الكتب ، وكم من كتاب قديم

طبع على نسخة واحدة في بلادنا وزاده جهل الطابع والمصحح أغلاطاً الى اغلاطه ، وقالوا لقارئه انت وشأنك في هذا الكتاب ، ذلك لأنه قلَّ ان يُعنى أرباب المطابع باختيار مصححيهم ، يختارون اكثرهم من المرتزقة ، من الصنف الذي يصحح الملزمة بضعة قروش ، ولو اعطى الطابع مصححاً يكون على شيء من العلم المئات لما كان مغبوناً ، ولهان على من يتناولون الكتاب ان يقتنوا ما أُتقن طبعه وعُني بتصحيحه ، وان يعطوا زيادة عشرة في المئة تضاف على قيمة الكتاب

كان تحريف جهلة الناسخين للكتب وتحريفها بصنع جهلة الطابعين مما أضاع على طلاب العلم اوقاتهم ليتوفروا على اصلاح ما كان واجباً على غيرهم أن يصححه ، ويتعبون وهم مئات ، وكان الأولى ان يتعب واحد او اثنان ولا يشغل الناس بالعبث ولا تباع منهم مجموعة اغلاط . اي كتاب لأجدادنا طبعته مطبعة من مطابعنا التي نعدها راقية قبل هذا العهد الجديد ، ولم تحص عليه الأغلاط الكثيرة حتى الأمهات من كتب الشرع واللسان ? وأي كتاب طبع فأنفق الطابع على تصحيحه مالاً ، وهو يعتقد ان واجبه ان يعمل هكذا بكتابه ? ليت كل ورّاق يعرف ان ما يصرفه في تقويم الكتاب لا يعدُّ مالاً ضائعاً بل لابد منه لرواج كتابه ، والامانة تتقاضاه ذلك .

عبث الطابعين الجهلة بالكتب

ان من اعظم البلاء ان تتقدم العامة فتتولى طبع الكتب ، وما كان اجدر بالخواص ان يعمدوا وحدهم لمعاناة هذه الصناعة ويرقوها بكل ما عند من سبقهم الى الحضارة بأنواع الترقي ، ويغاروا على تجديدها كما يغار المرء على حرماته ومقدساته . نعم ان بعض الوراقين اليوم في مصر هم من الأميين حقيقة لا يعرفون ما يطبعون وما يطبع لهم . وما ينتظر من أمي ان يقوم به في باب العلم ? ومنهم نصف أميين وهؤلاء بلاؤهم أشد ، هم جاهلون ويدعون المعرفة . ولو كانت حكوماتنا تفكر أبداً في نهوضنا العلمي لما سمحت لرجل ان يطبع كتاباً و ينشره الا اذا كان حاملاً

شهادة من المدارس الوسطى على الأقل ، فضرر الكتبي الجاهل لا يقل عن الضرر الذي يأتي على يد الصيدلي الجاهل·

ومما تألم له النفس ألا يكون عمال المطابع على شيء من المعرفة وألا يتخيروا من الشباب الدارسين · وقد شهدت اعظم المطابع الراقية في هذا الشرق القريب تختار صبياناً نصف أميين لتنضيد الحروف وعمل سائر ما يتعلق بالطبع ، ارادة الاقتصاد من أجورهم ، فيتعب بذلك المصحح كثيراً بتقويم التجارب ، ولا يخلو المطبوع مهما صحح من غلطات تبقى بعد معاودة الاصلاح مرات ؛ ولو كان المنضدون يحسنون فهم الكلام لاكتفى الطابع بتجربة واحدة ·

واشهد أني أفضل ان ابتاع كتاباً عربياً طبع في الغرب من كتبنا القديمة بعشرين أو بثلاثين ضعفاً عما يباع به مثله من الكتب المطبوعة في الشرق ؛ لأني اجد في ذاك من المحسنات وكل ضروب الاستفادة والتيسير ما لا اجده في طبعاتنا ، ولا أجد في الكتاب المطبوع في ربوعنا على الأكثر الا بشاعة وركاكة ، وأغلاطاً لا تجد لها اولاً ولا آخراً · وقد اقدم بعض طابعي الكتب الصفراء في العهد الأخير على تحسين نوع الورق والحروف وجادوا بعض الشيء على المصححين فنشروا كتباً خرجوا بها بعض الشيء عن مألوف ما كانوا طبعوه وطبعه آباؤهم ، وأهم ماعملوا أنهم وسدوا النظر في الكتاب الى عالم فخرجت كتبهم عن أسلوب الكتب التجارية ، وصارت تعد في كتب العلم ، واظنهم ما خسروا بما عملوا بل نفعوا وانتفعوا ، فاذا خطوا خطوة أخرى الى الأمام وعدلوا عن صيغهم القديمة في الطبع سيحمدون ولا شك غب عنايتهم ، يبدؤون في الطباعة عهداً جديداً فيه الخير لهم وكل الخير للمدرسين والدارسين·

لجان علماء للنظر في الكتب

حبذا يوم نرى فيه كل مطبعة كبيرة تعهد الى لجنة من الخبراء والعلماء النظر

في كل ما تطبع ، وتراقب الكتاب من وضعه وتأليفه الى صف حروفه الى وضع صفحاته الى تصحيح ملازمه الى طبعها الى طيها الى جمعها وضمها كتاباً برأسه . هذا اليوم الذي تقضي به هذه اللجنة على صاحب المطبعة ان يعمل بقرارها لرواج مطبوعاته ، واختيار ما يعم الناس نفعه ، هو اليوم الذي يكون في تاريخ الطباعة بدء عهد جديد ، بل عهد حضارة ما سبق لنا نظيره منذ أخذنا نطبع الكتب ونقلد الغرب .

نعم ان طبع الكتب يحتاج الى مراقبة شديدة أهونها ألا يطبع شيء قبل أن تنظر فيه لجنة تقر نفعه ، فان المكررات من الكتب التي لدينا من نوعها الأمهات المعتبرة ، وكتب التخريف والتافهات ، وكتب المجون والغراميات وغير ذلك لا ينجينا من آفاتها الا سلطان المراقبة الشديدة في كل كتاب للقدماء والمحدثين فلا يطبع برأي طابع لا رأي له الا النفع المتوخى من الكتاب ، وغايته الوحيدة الاكتساب المرجى منه ، ولو بالقضاء على العلوم والآداب ، والاتيان على الفضائل واحياء الرذائل ، وشغل الناس بالسخف والهراء ، وما كنت أوثر التوسع في هذا الموضوع لولا أن ايراد الأمثلة ضربة لازب لتجلية المراد .

مثال من سخف الكتب المطبوعة

لو عرض طابعا كتاب « حلية الأولياء » للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا يقع في عشرة مجلدات وتبلغ صفحاته اربعة آلاف صفحة — لقال لهما ان هذا الأصل الذي طبعتما عنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما انزل الله بها من سلطان ، وما كانت من كلام المؤلف ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف ، وقرأها من شهد للكتاب بالاجادة . وهاكم مثالاً من مئات الأمثلة من

هذه الزيادات التي شوهت الأصل، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات .

من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مراهقة حقارة الدنيا بعين الاغترار، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨–١) بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال، وحفظ عنه حميد الأفعال، وعصم من الفتور والاكسال، وفضل الله له العهود والحبال، ولم يقطعه سآمة ولا ملال . ونحن نقول: ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال، انها من اسخف ما دونته الأجيال، في تراجم الرجال، وانها املاء دجال لا يخاف الله بحال .

(٣١–١) وقد قيل ان التصوف السكون الى اللهيب في الحنين الى الحبيب (كذا) (٣٣–١) ان التصوف استنفاذ الطوق، في معاناة الشوق، وتزجية الأمور، على تصفية الصدور (٣٩–١) وما عهد منه (سيدنا عمر) في ملازمته للتفريد، ومحاماته على معارضة التوحيد، وان لا ينهنهه عن مصاولتهم العدة والعديد . (٤٨–١) وكان (عمر) عن فناء الملاذ منتهياً، ولباقي المعاد منتفياً، يلازم المشقات ويفارق الشهوات وقد قيل ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذي هو اشرف الموارد (٦٢–١) التصوف مراهقة المودود ومصارمة المحدود (٦٨–١) التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب (٧٠–)التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدرات من الابواب (٧٢–١) التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب (٨٧–١) التصوف النزوح بالأحوال والتخفف من الاثقال (٨٩–) التصوف الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . في ترجمة مصعب بن عمير الداري (١٠٦) ورغب عن التعريف والتسويف، وغلب عليه الحنين والتخويف وقد قيل ان التصوف طلب التأنيس في رياض التقديس (كلام لا معنى له) وأيضاً (ص ١١٠–١) التصوف المفرق البينونة الى مقر الكينونة ! (١١٢–١) التصوف اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب ! (١١٨–١) التصوف الوطء على جمر الغضا الى منازل الأنس

والرضا (١٢١ــ ١) التصوف استنشاق النسيم والاشتياق الى التسنيم ! (١٢٤ــ ١) التصوف مشاهدة المشهود ومراعاة العهود ومحاماة الصدود ! (١٢٩) تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة ! (١٣٩ــ ١) التصوف تسور السور الى التحلل بالحور ! (١٤٧) التصوف قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق (١٥٧) التصوف التأله والتدله من غلبات التوله .

يا سيدي القارئ الكريم بربك اعذرني على نقل هذا الهراء ، ولو أردت لنقلت من هذه السخافات المضحكة المبكية مئات ، دسها الداسون في كتاب حاول مؤلفه أن يترجم لنساك الأمة فاختلط سمينه بغث ذاك العابث . وربما تساءل القارئ وكيف لم يهتد الطابعان الى ما شان الكتاب ? فالجواب هذا من عمل العلماء لا من عمل الطابعين ، ولو وقع الأصل لعارف ما تلكأ لحظة عن القول بما قلناه في هذه النقول ، وانت لو فتحت أي ترجمة لما رأيتها على الأغلب تخلو في مقدمتها من مثل هذا الهذيان . وبالله بعد ان عرفت درجة الحافظ ابي نعيم في العلم هل تجوّز عليه أن يقول : ومنهم الذاكر الفكري ، خليد بن عبد الله العصري ، كان لمحبوبه ذاكراً ، والى مشاهدته ساهراً ، وان تقول ان هذا تصوف . ووالله لا يقول هذا الامن اختل ذهنه باجماع اطباء الامراض العقلية . الا يستحق ان يأوي الى مستشفى المجاذيب من يقول (ص ٢٥٨ ج ٢) التصوف عويل حتى الرحيل وحويل الى المقيل (٢٩٠ ج ٢) التصوف التمتع بالحضور والتبتع للخطور (١٨٣ــ ج ٢) التصوف الصفو للزيق والرقو للفيق !

واي هذيان اعظم من هذا الهذيان ينشر في هذا الزمان منسوباً الى رجل من رجال الحديث المشهورين . ألا يوافق العقلاء بعد ذلك على تأليف لجان علمية تنظر فيما يطبع قبل أن يضيعوا وقت الناس ويؤذوا عقول ناشئتهم واذهان القراء

ولا أحب أن اختم هذه العجالة قبل ان أشير الى كتاب آخر ارتكبت في طبعه فقط مثل هذه السخافات ، عنيت به « البداية والنهاية » لابن كثير . فقد

طبع منه حتى الآن اثنا عشر مجلداً بالقطع الكبير لا تقل عن ثلاثة آلاف صفحة وبقي منه أربع مجلدات ووقع على ما يظهر في أيدي مصحح لا يعرف التاريخ ولا يعرف الأدب ، حتى ليخيل الينا ان مصححه منضد حروف او فراش في المطبعة يرزق كل يوم خمسة قروش . هناك أسماء الأعلام محرفة تحريفاً مخجلاً حتى أنك تقرأ العَلَم على صورة في صفحة من الصفحات فاذا قطعت صفحتين أو ثلاثاً تقرؤه على شكل آخر وهو هو ، وكذلك الأبيات الشعرية ، اجارك الله من تحريفها فانك اذا تلوتها تعاف الشعر وتنكر الأدب ، فان كثيراً منها لا يفهم ، وبعضها لا وزن له مطلقاً ، كأن الناظر فيه من طبقة العوام لا يحسن الوزن ولا يعرف المعنى . الا يجدر بمثل هذا الكتاب الذى يكلف طبعه المئات من الجنيهات أن يصرف على تصحيحه عشرات من الدنانير ويعهد بتصحيحه الى أناس يحسنون فن الأدب وفن التاريخ ، ولا يكتفى منهم ان يعربوا جملة صحيحة ، ويقرؤوا عدة مقاطع بلا غلط ؟ ان طبع هذا الكتاب على هذا النحو يعدُّ جناية على الأدب وتجنياً على العلم والمعارف ، وبه ثبت ان كل شيء يتبدل في العالم الا عقول اكثر الطابعين في مصر فانها جامدة لا تتحرك ولا تحاول ان تتحرك .

الأمثلة كثيرة في هذا الباب وقد مثلنا لذلك بما حضرنا من امثلة ، ويرى القارئ النقاد ان هذا الموضوع جليل في ذاته يجب أن يعانيه الدارسون والمدرسون والعالمون والمتعلمون وكل من يهتمون للحياة العلمية في الأمة العربية ، ونحن الآن إذا قصدنا الطابعين فقد نقدنا من قبلُ المؤلفين ، وكل ذلك بسائق الغيرة على اوضاعنا وحضارتنا وحباً بالتجدد وبعداً عن الجمود .

هذا وقد رأينا بعض النفوس تزهد في الكتب بعض الزهد وتستغني بعض الاستغناء عن القراءة ، ومن ارتقى عقله يستحيل عليك ان تضطره الى قراءة مثل حلية الأولياء بهذه الزيادات عليه . الناس مأخوذون بما هم محكومون له من التفنن في طرق النشر الحديثة من صحف ومجلات ومذياع ، وهذا ما يدعو الى التفكير .

كثيراً في مصير الكتاب والعقبات التي ستقوم في مستقبل الأيام أمامه من أجل رواجه ، وانا ليؤسفنا ان نرى الكتب وما يطبع منها لا يزيد مقدار المطبوع منه كثيراً بالقياس الى ما وصلنا اليه من الحضارة ، فالكتب لم تَرُج الرواج المطلوب بل وقفت عند حد لم تتقدم فيه الى الأمام كثيراً ، ذلك لأن ما كان يرجى أن يزيد عدد المطبوع منها بكثرة قارئيها قد اخذته الجرائد والمجلات ولا سيما المجلات التي لا تعني كثيراً بمسائل الجد ، فكان من ذلك ان شغل جمهور كبير من محبي المطالعة بالتافهات والهزليات ، وكان آباؤهم بالأمس يصرفون كل وكدهم في اقتناء كتب الجد المخطوطة ، ويفاخر حتى العوام بما اقتنوا أو ورثوا من كتب يحتفظون بهـا كما يحتفظ غواة العاديات اليوم بعادياتهم ولا ينزلون عنها لغيرهم ولو افتقروا .

محمد كرد علي

من تراثنا المفقود

ما أُلف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب، فنفضنا الأحاديث نفضاً، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهنّ والعرب وآرائها فيهنّ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه، ونحا نحوهم في تفكيره، فوَهم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهنّ أو يُعنوا بهنّ، ولم يخصوهن بالتآليف أو يفردوا لهنّ التصانيف، وأيد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين.

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لتبيان وهنه ووهيه، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب، فإذا فيه تآليف حسان وتصانيف ملاح؛ خصوها بالمرأة وجنسها، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار، ولم يدعوا امراً أدركوا صلته بهن الا تكلموا عليه وبحثوا فيه.

ولو أنّ هذا التراث العظيم كان قد سلم، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل.

١ – فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها:

١ – كتاب «الموءودات»[1] لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ – كتاب «المعروفات من النساء في قريش»[2] لابن الكلبي أيضاً

٣ – كتاب «مناكح أزواج العرب»[3] له أيضاً

٤ – كتاب «المردفات من قريش»[4] لعلي بن محمد المدائني المحدّث المتكلم (٢٢٥)

(١) معجم الأدباء ١٩/٢٨٨ – ٢٩٢ (طبعة دار المأمون). والفهرست ص ٩٦
(٢) المصدر السابق (٣) الفهرست ص ٩٧ (٤) معجم الأدباء ١٤ – ١٣٣.

٥ — كتاب « الكلبيات » [١] له أيضاً

٦ — كتاب « بغايا قريش في الجاهلية » [٢] للهيثم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:

١ — كتاب « أمهات النبي » [٣] للمدائني الذي مرّ ذكره

٢ — كتاب « أمهات النبي » [٤] لابن الكلبي

٣ — كتاب « أزواج النبي » [٥] لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)

٤ — كتاب « بنات النبي وأزواجه » [٦] لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .

٥ — كتاب « ازواج النبي » [٧] لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً (٣٦٧) .

٦ — كتاب « أزواج النبي » [٨] لابن الكلبي .

٣ — وتكلموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك، في كتب شتى منها:

١ — كتاب « أمهات السبعة من قريش » [٩] لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها . (٢٤٥)

٢ — كتاب « امهات الخلفاء » [١٠] لابن الكلبي

٣ — كتاب « من تزوّج من نساء الخلفاء » [١١] للمدائني وغيرها .

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائعهن وطرق معائشهن . وأوصافهن وما يعجبن به او يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) الفهرست ١٠٢ . ومعجم الادباء ١٤ - ١٣٤ (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ .
الفهرست ص ١٠٠ ، وانظر وفيات الأعيان ج ٢ . (٣) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ .
(٤) الفهرست ص ٩٨ . (٥) الفهرست ص ٩٩ (٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . وانظر الصفدي
في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٣١٩ . (٧) معجم الادباء ١٨ — ٢٧٥ (٨) الفهرست ص ٩٧ .
(٩) معجم الادباء ١٨/١١٥ — ١١٧ . الفهرست ص ١٠٦ . (١٠) الفهرست ص ٩٨ .
(١١) الفهرست ص ١٠١ .

١ — كتاب « النساء » [١] للجاحظ (٢٥٥)

٢ — كتاب « النساء » [٢] للهيثم بن عدي (٢٠٩)

٣ — كتاب « النساء » [٣] لحفص بن عمرو العنبري ذكره ابن النديم

٤ — كتاب «اخبار النساء» [٤] لهارون بن علي المنجم وكان أديباً شاعراً راوية نديماً

٥ — كتاب « أخبار النساء » [٥] للمدائني

٦ — كتاب « أخبار النساء » [٦] للرقي

٧ — كتاب « النساء » [٧] لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رقيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »

٨ — كتاب « اخبار النساء » [٨] لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم يُر مثلها لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .

٩ — كتاب « النساء والغزل » [٩] لمحمد بن خلف بن المرزبان

١٠ — كتاب « النساء والغزل » [١٠] لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٧٦)

١١ — كتاب « اخبار النساء » [١١] لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .

١٢ — كتاب « من وصف امرأة فأحسن » [١٢] للمدائني

١٣ — كتاب « اخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)

١٤ — كتاب « اخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)

٥ — ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

١ — كتاب «الحيض» [١٣] للقاسم بن سلاّم امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

(١) معجم الادباء ١٦ — ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
(٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ — ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣
(٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ — ٢١٦ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
(٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
(١٢) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ — ٢٦٠

٢ — كتاب « العدة » [١] لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)

٣ — كتاب « الرضاع » [٢] له أيضاً

٤ — كتاب (الطلاق) [٣] له أيضاً

٥ — كتاب (الشغار) [٤] له ايضاً

٦ — كتاب (الصداق) [٥] للمدائني

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتلتمس في الفهرست .

٦ – وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ — كتاب (الثياب والحلي)[٦] لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر

٢ — كتاب (الحلي) [٧] لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)

٣ — كتاب (الزينة) [٨] للرقي

٤ — كتاب (التزين) [٩] له أيضاً .

٥ — كتاب (فخر المشط على المرآة) [١٠] لعلي بن محمد الظاهري الميكالي الأديب المفاكه

٧ — ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ — كتاب (المتظرفات) [١١] لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء الرواة (٢٨٠)

٢ — كتاب (المتظرفين والمتظرفات) [١٢] لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٤ — ٣٢٧ . وانظر طبقات المفسرين ص ٣٢٧ ، وطبقات القراء ٢ _ ٩٥ . ووفيات الاعيان ٢ _ ٤٤٧ . (٥) معجم الادباء ١٤ _ ١٣٣
(٦) معجم الادباء ج ٣ _ ٣٩ . (٧) معجم الادباء ٤ _ ٨٤ . (٨) معجم الادباء ٤٠ _ ١٣٣
(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٤ _ ١٥٦ . (١١) الفهرست ص ١٤٦ .
(١٢) الفهرست ص ١٤٧ .

٣ – كتاب (المتظرفات)[1] لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)

٤ – كتاب (عرائس المجالس)[2] لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمفجع الشيعي (٣٢٧)

٥ – كتاب (المحبوبات والمكروهات)[3] للرقي

٨ – ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهن وصلتهن بأزواجهن ، فألفوا في ذلك كتباً كثيرة منها

١ – كتاب (اختلاف الزوجين) [4] للشافعي

٢ – كتاب (من هجاها زوجها)[5] للمدائني

٣ – كتاب (من شكت زوجها)[6] له أيضاً

٤ – كتاب من (ميّل عنها زوجها) [7] له ايضاً

٥ – كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته) [8] له ايضاً

٦ – كتاب (النواكح والنواشز)[9] له ايضاً

٧ – كتاب (المتزوجات)[10] لخالد بن طليق الراوية النسابة

٨ – كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته) [11] لمحمد بن عبد الله بن حيويه

٩ – ثم تطرقوا فألفوا في علاقات الرجل بزوجه مما يكون بينهما ، وهذه التآليف كثيرة لا جدوى في سردها .

١٠ – ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصوا الشذوذ الجنسي بكتب وتآليف منها :

---

(١) الفهرست ص ٨٥ . (٢) معجم الادباء ١٧ – ١٩٤ . (٣) معجم الادباء ٤ – ١٣٤

(٤) معجم الادباء ١٩ / ٣٢٤ – ٣٢٧ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٤ – ١٣٣

(٩) الفهرست ص ١٠٢ . (١٠) الفهرست ص ٩٥ . (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق . قسم المجموعات : أدب ١١٦ .

١ — كتاب (السحق)[1] لمحمد بن حسان النملي أحد الكتاب الادباء في عهد المعتصم .
٢ — كتاب (البغاء)[2] له ايضاً
٣ — كتاب (السحاقات والبغائين)[3] لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥) وكان أديباً مليحاً هجاء ونديماً للمتوكل
٤ — ولقد خصّ ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفت في (الحبائب المتطرّفات) ولم يذكر مؤلفيها منها :
٥ — كتاب (ريحانة وقرنفل)
٦ — كتاب (رقية وخديجة)
٧ — كتاب (سكينة والرّباب) .
٨ — كتاب (سلمى وسعاد) وغيرها[4] .

١١ — وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشواعر والعواقل والصالحات . ومن ذلك :

١ — (كتاب (أشعار النساء)[5] لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الأخباري (٣٨٤)
٢ — كتاب (العواقل)[6] لابن الكلبي
٣ — كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن ابي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه طرائف كلامهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية والاسلام (طبع سنة ١٩٠٨)
٤ — كتاب (الرسا للصالحات من النسا)[7] لعالم الشام في القرن العاشر يوسف ابن عبد الهادي

(١) الفهرست ص ١٥٢ . ومعجم الادباء ١٨ — ١١٩ . (٢) المصدر السابق .
(٣) الفهرست ص ١٥٢ . (٤) الفهرست ص ٣٠٧ . (٥) معجم الادباء ١٨ — ٢٦٩ .
(٦) الفهرست ص ٩٨ . (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقمه ٤١ ادب . جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن وصدّر ذلك بحديث « عوّدوا نساءكم المنزل فانه أزين لهن وأرزن ... ».

١٢ — وقدعنوا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسمعات والمغنيات والنوائح وأمهات الاولاد ، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

١ — كتاب (القيان) (١) للجاحظ

٢ — كتاب (القينات) (٢) لاسحق بن ابراهيم الموصلي

٣ — كتاب (اخبار عزّة الميلاء) (٣) له ايضاً

٤ — كتاب (قيان الحجاز) (٤) له ايضاً

٥ — كتاب (قيان مكة) (٥) للمدائني

٦ — كتاب (المغنيات) (٦) له ايضاً

٧ — كتاب (القينات) (٧) له ايضاً

٨ — كتاب (الاماء والشواعر) (٨) لأبي الفرج الأصفهاني

٩ — كتاب (القيان) (٩) ليونس بن سليمان المعروف بالمغني

١٠ — كتاب (اشعار الجواري) (١٠) للمفجع الشاعر الشيعي

١١ — كتاب (النوائح) (١١) لأحمد بن مطرف القاضي المصري

١٢ — كتاب (امهات الأولاد) (١٢) للطبري المحدّث الفقيه

١٣ — كتاب (عتق امهات الأولاد) (١٣) للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضاعيف الامهات وثناياها ، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

---

(١) معجم الادباء ١٦ ـ ١٠٧ • (٢) الفهرست ص ١٤١ • (٣) المصدر السابق • (٤) المصدر السابق • (٥) الفهرست ص ١٠٢ • (٦) المصدر السابق • (٧) معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣ • (٨) الاغاني ـ المقدمة ـ ج ١ طبعة دار الكتب المصرية • (٩) الفهرست ص ١٤٥ (١٠) معجم الادباء ١٧ ـ ١٩٤ • (١١) معجم الأدباء ٥ ـ ٦٣ (١٢) معجم الادباء ١٨ / ٦١ ـ ٨١ (١٣) معجم الادباء ١٧ ـ ٣٢٤ — ٣٢٧ •

١٣ – على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك خُصت بالنساء وأخبارهنّ وصفاتهن وأحوالهن وتراجمهنّ، كالتي كتبها ابن عبد ربه في العقد، والنويري في نهاية الأرب، والزمخشري في ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة في عيون الأخبار، والقالي في الأمالي والجاحظ في البيان والتبيين والسخاوي في الضوء اللامع وغيرها .

* * *

افبعد ذلك كله — وإن قلّ ! — تقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء ولم يؤلفوا في اخبارهن ..؟

دمشق : صلاح الدين المنجد



الغوطة

- ٢ -

مدينة الغوطة

أجمع من وصفوا الغوطة على اختلاف العصور أن فيها قرى كالمدن ، وأن أهلها كأهل الحاضرة أي دمشق ، ومنذ القرن الثامن قال ابن بطوطة ان في اكثر قرى الغوطة الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم ، ولولا أن تبدلت معالم الغوطة مرات لشهدنا عمراناً قديماً ، وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى نعثر على دمن تدل على عمران قديم فخم ، وعلى ثروة وحضارة . وكان بناؤهم بالحجر الصلب على بُعد المقالع عن الغوطة ، ومعظم بنيانها الآن باللبن ويقل فيها البناء بالحجر .

وحدثتنا الكتب أنه كان في بعض قرى الغوطة جوامع متقنة ، وكان فيها قصور صبرت على الأيام مثل قصر بيت لهيا في طريق الواصل من مدينة السلام بغداد والراحل اليها ، كانت لغنيّ اسمه السكسكي ، وكان له في اقليم بيت لهيا عدة قصور مبنية بالحجر والخشب الصنوبر والعرعر ، في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه ، وكان هذا القصر في ارض حرستا . وروى المؤرخون ان القصر الذي بُني للمتوكل كان في طريق داريا ، وان البانين اختاروا هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها ، قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل بدمشق أبى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ، وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في أعالي الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة واكثر الغوطة ، وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ، وفي عيون التواريخ للكتبي ان المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤

وبنى بها القصور ، وهي التي بطريق داريا ، ثم انه استوخمها ورأى أن هواءها بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ، ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار الى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب ، فضجر منها بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، ومعلوم أن المتوكل كان غريب الأطوار ضجرت منه أمته فقتلته ، ولا عجب أن أضجره هواء دمشق وماؤها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وكان في الغوطة في القرون الوسطى والقرون الأخيرة قصور مشهورة ، منها ما بناه الملوك ، ومنها ما بنته الرعية او الأغنياء . ولما انقطع عيث البادية في الغوطة أوائل هذا القرن الهجري صحت نية اغنياء دمشق ممن يملك أرضين في ضاحيتها او قراها على اقامة القصور الجميلة ، وخربت هذه القصور والدور البديعة في الثورة السورية (١٩٢٥ — ١٩٢٦) . وأهم ما أصابه الحريق والتدمير قصور برزة والقابون والعنابة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدين وحمورية والافتريس وجوبر والمزّة ، ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرين والمنيحة وبرزة كما خربت في دمشق أجمل دورها وقصورها الأثرية .

كانت الأرض الموقوفة في الغوطة كثيرة جداً ، وقد قلت في العهد الأخير واستبدل بعضها ، وكان من السلاطين من يقفون سهماً من ضيعة أو ضيعة برمتها أو ضياعاً على اعمال الخير كما فعل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام فانه بنى قصراً للفقراء في الربوة ووقف عليه قرية داريا اعظم قرى الغوطة واغناها ، لتكون قصورهم الى جانب قصور الأغنياء فقال الشاعر الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنيا
عمر الربوة قصراً شاهقاً نزهة مطلقة للفقرا

وبقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر، وما من اثراليوم لأنقاض قصر الفقراء ولا لقصور الاغنياء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا للقصور الدارسة في الربوة والشرف الأعلى والشرف الأدنى من غربي دمشق ، كل أولئك خرب على عهد العثمانيين ، بما لاقته البلاد في القرن الذي قبل القرن الماضي من تعدي عسكر الانكشارية وسوء ادارة القائمين بالأمر ·

روى البدري انه كان في كل شرف من ذينك الشرفين عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها انواع المفاسد ، قال النواجي :

ألا إن وادي الشام أصبح آية محاسنه ما بين اهل النهى تتلى
وإن شرفت بالنيل مصر فلم يزل دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي ومدرسة التجهيز للذكور ، وهي من المباني المحدثة البديعة ، وفي الشرف الأدنى أقيمت الثكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني ودار الآثار والتكية السليمانية ·

ذكر ابن عبد الهادي من اهل القرن التاسع في تاريخ الصالحية من المحاسن محلات الشرفين المطلين على الميدان أي الميدان الأخضر الذي نطلق عليه اسم مرج الحشيش اليوم ، وكان عامراً من الطرفين ، وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتدق نوباتهم في كل ليلة ، وفيه حوانيت وخانات حتى يوصل منه الى النيرب ثم منه الى الدهشة ومنها الى الربوة ، قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعمائة عامراً آهلاً ، وتعدى عليه في عصر الثمانمائة وبطلت منه الخطب والى الآن ، قال : وبقية الأماكن من الربوة الى السهم والنيرب والشبلية ومحلة طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت بعد الأماكن بالجنان ·

ومع شدة اختلاط الغوطيين بأهل الحاضرة لا تزال الأمية غالبة عليهم ، ولا تزيد المدارس الابتدائية التي أنشأتها الحكومة فيها عن ثنتين وعشرين مدرسة

للذكور والاناث ، والواجب أن تكون ثمانين نصفها للذكور والنصف الآخر للاناث ، ولم ترسل الحكومة اليها الوعاظ والخطباء من طبقة جيدة فأصبح المجال رحباً للمخرفين ، يؤذون العقول بخرافاتهم ويستلبون ما في الجيوب ، ويقل الذكاء في الغوطة ويكثر النشاط .

خرج من الغوطة أجلة المحدثين والفقهاء والأدباء والحفاظ ومنهم الحافظ الزملكاني والحافظ اليلداني ، وخرج من حرستا محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة ، ذكر بعض من أخرجتهم أرضها ممن كتبوا في خطط هذه المدينة وغوطتها ، وعنوا بالرجال من أهلها فترجموا لهم ولا سيما لحفاظ الحديث .

نعم كانت معظم قرى الغوطة أشبه بمراكز علم ورواية ، ومن جملة تآليف الحافظ ابن عساكر من أهل القرن السادس كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء ، وكتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد ، وكتاب أحاديث كفرسوسية جزء واحد ، وكتاب احاديث صنعاء الشام جزءان ، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بها . وكتاب حديث الحميريين وقبيبة جزء واحد ، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء واحد ، وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ، ومن حديث أهل زبدين وجسرين جزء واحد ، ومن حديث سلمة بن علي البلاطي جزءان ، ومن حديث أهل بيت سوى جزء واحد ، ومن حديث دومة ومسرابا والقصير جزء ، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ، ومن حديث أهل كفربطنا جزء ، ومن حديث أهل دَقانية [1] وجحيرة وعين ثرماء وجَدَيا وطرميس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهي جزءان . ومن حديث أهل برزة جزء . اه وجميع هذه القرى من قرى الغوطة والذي دثر منها صنعاء الشام أو صنعاء دمشق ، وكانت في منتصف الطريق بين دمشق والمزة خرج منها محدثون كثار ، ومنها النيرب والحميريون وفذايا وبيت أرانس وبيت قوفا والقصير

(١) ذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة والغالب انها دثرت بعد القرن الحادي عشر

ولاقانية وجديا وطرميس وبيت لهيا وقبيبة · وبعض قرى الغوطة كانت الى القرن الثامن والتاسع تزدان ببعض العلماء والأدباء ، ويكفي ان مثل الحافظ الذهبي في القرن الثامن كان يدرس في كفربطنا ، وزعم ابن طولون الصالحي ان الذهبي من جماعة من الأئمة المحدثين الذين خرجوا من كفربطنا أي انه من أهل هذه القرية ·

وبعد فان الغوطة اليوم ينقصها كثير من مرافق المدنية ، اذ أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيرها وأموالها ولا تنفق عليها واحداً في المئة مما تأخذ ، فتأخرت بمعارفها وتعطلت طرقها وجسورها ومدارسها وجوامعها ، وليس فيها غير بضع طرق معبدة في الجملة ، وهذا مما تم في العهد الأخير ، وطرقها القديمة عريضة جداً فاستصفى اكثرها بعض من يستحلون كل شيء في جمع ثروتهم

هذا وليس في الغوطة من آثار المدنية سوى خط ترام كهربائي يربط دمشق بحاضرة الغوطة الشمالية اي دومة ، وطوله أربعة عشر كيلومتراً يمر ببساتين العنابة وأرض جوبر وزملكا وعربيل وحرستا ودومة ، واذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل بين دومة وداريا فدمشق ماراً بأمهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا و كفربطنا وجسرين والحديثة وزبدين والمليحة وجرمانا وعقربا ويلدا وببيلا والقدم و كفرسوسية والمزة ، اي ربطت الغوطتان القبلية بالشمالية ، ومدت قساطل ماء عين الفيجة الى القرى كافة (والقوم يشربون الى اليوم من آبار لم ترشح من الأنهار القذرة) تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق احاطة الهالة بالقمر ، وتغدو هذه المزارع والقريات كأنها بعض أحياء الفيحاء ومحلاتها ، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصايف ومشاتي ، وكلما زاد عدد الجادات العظمى فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتنزهين ، وكلما زاد عدد البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض زراعية الى منازل تتسع بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة ·

اذا تم هذا يتحقق في الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في قوله تعالى « إرَم ذاتِ العمادِ التي لمْ يُخلق مثلها في البلادِ) من أن ذات العماد هي دمشق حاضرة

الغوطة وكان فيها فيما قيل أربعمائة الف عمود ، وفي قوله تعالى (وآويناهما الى رَبوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين) من انها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .

طرائقها الزراعية

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ومناحيها ، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الأخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في ارجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم تتسرب اليها الأساليب الحديثة الا قليلاً ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلحظ أنها تمثلته وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد ، ولكن مع الاتقان والاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغابرة ، ومعظم ما عملته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه التجدد الا بقدر الحال في الوجه الجميل ، ذلك لأن من عادة الغوطيين الا يبادروا الى اقتباس الجديد الا اذا قامت لهم البراهين على عظيم فائدته ، ويعصون على مالم يألفوا ، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات :

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم ، والدبس من عنبهم ، والعصير (القمر الدين) من مشمشهم ، والورد والعطور من زهرهم وورودهم ، والصابون من زيتهم ، والأجبان والسمون والزبد والقشدة من البانهم ، والطحينة والشيرج من سمسمهم ، والنشاء من برهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيهم ، وينقعون القنب في حفرهم ، ويستخرجون ألياقه على أسلوبهم ، ومنها يفتلون حبالهم وخيوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سختيانهم ، ويحيكون من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من اخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبناؤهم من ترابهم وما برحوا يعلفون دوابهم بالقديم من طرائقهم ، ويحرثون الأرض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما كان يفعل آباؤهم .

وما جلب بعض الغوطيين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لإرواء صعيدهم إلا

لما أعوزتهم اسالة المياه من أنهارهم ، وشحت الجداول في بعض السنين تخافوا أن تصوّح ادواحهم ، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية الا عندما قلت الأسمدة الطبيعية ، وما عادت تكفي لما طمحت نفوسهم الى تسميده وتجديده من الأرضين ، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي اوجدها احد مواطنيهم الا لما ثبت لهم ان تذريتها بالمذراة وتجين هبوب الريح ، مما يطيل امد استخراجها من تبنها ، وتضيع عليهم بعض حباتها .

وكأن الغوطة السمحة التربة ، المعتدله الهواء ، الصافية الأديم تعطف على الفقير أيضاً ، فلا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل من أبنائها أجور سواعدهم ، فلا تعمد الى الآلات والأدوات الحديثة الا في أحوال شاذة . الغوطة تتوقى الغلطة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات ، فهي لا تريد أن ترتكب هذه السقطة لئلا يكثر فيها الناقمون والموتورون ، ثم تعم الاشتراكية ، وتنتشر الفوضى ، ويفسد الأمن ، ويتقلقل الحكم .

ورث الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار ، وأخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة تربتها واروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يخلون بشيء مما نقلوه عنهم ، وأساليبهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون أقرب الى العمل من كثير مما اهتدى اليه العلم الحديث ، وصعب عليهم تطبيقه ، والانتفاع به حق المنفعة . رسخت في نفوسهم طرائقهم القديمة ، فمن الصعب ان تزين لهم طرقاً جديدة يتبعونها ، وندر من تعلم الزراعة من ابنائهم على الأصول الحديثة ، اكتفاء بالذي ثقفوه عن أجدادهم .

فعلى عاتق الحكومة ، والحالة هذه ، واجب تعليم الغوطيين فيما تربو به مكاسبهم ، وتعتقد فيه هناءتهم وناعم عيشهم . وعليها ان تقيم لهم المخابر والمشاتل والمناحل وحظائر الدواجن الى ما شاكل ذلك على ما يقضي به العلم العصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها انماء الثروة العامة ، أن توجد للعاطلين أشهراً من كل عام ، عملاً

يقتاتون به . ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والنحل وتربية الدواجن والطيور اكثر مما عليه الحال الآن ، لكان للغوطة من وراء ذلك أرباح ثابتة لا يُستهان بها تُضاف الى ريع أرضها وغاباتها ، فان البقر البلدي والماعز البلدي في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما يدرّ من الألبان الجيدة . وهذه الأنواع من الضرع لا تعيش في غير ظلال الغوطة ، ولا تستمرئ غير مراعيها ومياهها ، ويسقط النحل بما في الغوطة من أشجار مثمرة وأزهار عطرة على غذاء شهي لا مثيل له في الأقاليم الأُخرى .

كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعتها صناعات أرقى ظهرت في اقطار أخرى ، فعطلت تلك الصناعات او ضعفت ضعفاً محسوساً لقلة الصادر منها الى الاقطار المجاورة على الأقل ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة ايضاً لانتشار الكيمياء ، وكما توقفت منسوجات القطن والكتان والحرير فبارت .

وقد أبقى لنا شيخ الربوة من أهل القرن الثامن في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) صورة استخراج العطر من ازهار الغوطة وورودها ، قال : ان حراقته تلقى على طرقات المزة وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحتــه نظير ، ويكون ألذّ من المسك الى مدة انقضاء الورد . وذكر صنعة اخراجه بالكركات والانابيق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ، وما هنالك من كركات أُخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلا ماء بل بوقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وزهر النارنج والشقشيق والمندباء او بورق القرنفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . ومما أرخوه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شوز الزهر طولها مائة وعشر خطوات ، وعرضها خمس وسبعون خطوة ،

باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم ، وذلك سنة خمس وستين وستمائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

وفي العهد القديم أيضاً كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في «عقربا» العنب الزيني الذي لا نظير له ، واليوم ليست كذلك ، ولا يجود هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا ، ويجود في مدينة دمشق وحدائقها انواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما ، وكان ينسب القماش الى عقربا ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الأغلب

روى البدري في محاسن الشام انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها اربع فواكه كالمشمش والخوخ والتفاح والكمثرى ، وبها ما يحمل الثلاث واقلهن اللونان من الفاكهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا (القرن التاسع) فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيربين شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم ، وذكر صورته كما هي معروفة الى اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز وغيرهما تليق ان تكون كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتفويفها ، وقد نازعتها الألبسة الجديدة حتى كاد يقضى على انفع لباس اخترعته العرب في الدهر السالف ، وهو صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووطاء ، يقي البرد والحر ويتجمل به الرجال والنساء .

متنزهات الغوطة

في الغوطة عدة متنزهات هام بها الشعراء وذكروها ، وحنوا اليها حنو الحبيب لحبيبه ، منها (سَطرا) و (مَقرا) وفيها يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد أحسن التورية :

خليليّ ان وافيتما الشامَ بكرة ... وعاينتما (الشقراء) والغوطة الخضرا

قفا واقرأا عني كتاباً كتبته ... بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطرا)

و (الشقراء) مطلة على المرج الأخضر وعندها اليوم طاحون يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مَقرَا) المكان المعروف عند طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) عند جامع منجك قرب برج الرؤوس من ناحية الشرق ، وكان (البلكي) متنزهاً حسناً بين سطرا ومقرا . روى البدري ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارها ، ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ، ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار ، ويضربون الخيام في بستان الحاجب ، ويقطعون فيه أياماً وأوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها .

قال ابن طولون الصالحي : أعظم متنزهات دمشق (الربوة) كان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (النخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان بها خمسة مقاصف[1] اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ، وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى (العذول) . وقال : انها خربت ثم عمرت وهكذا مراراً ، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش قال بعضهم :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا (وبان ياسي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكى (ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية (بالجنك) جاوبها شبابة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدر (جبهتها) والدف (ربوتها) وخلها مات في (خلخالها) كمدا

و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك) و (الجبهة) و (الدف) كلها من متنزهات دمشق في غربي المدينة .

(١) التقصف : اللهو واللعب على الطعام والشراب ، والمقصف محله وكانت المقاصف قبل ان تكون المقاهي وكلاهما يتشابهان .

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائحي ومقاصفي وقد خربت ، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة) على حافة نهر بردى له مسجد ودكاكين ومقصف ، وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية[1]) من متنزهات الصالحية وقال انه مرّ أيضاً في طريقه الى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور وهي أسماء متنزهات . وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادي النيربين سقى ربابك عني من الوسمي مدرار
كم مرّ لي فيك أيام هواجرها أصائل ولياليهن أسحار
حيث الشبيبة بكر في نضارتها وللصبابة احلاف وأنصار
حيث الرياض تغنيني حمائمها (بالدف) و(الجنك)و(الميطور)لي جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت زهر من الزّهر والندمان أقمار

وتشوّق ابو المحاسن الشواء الحلبي الى متنزهات دمشق ، ومنها ما دثر اسمه اليوم بقوله :

عاطياني حديث (سطرا)و(مقرا) وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشربَ كاسات خمر شغلتني عنهن كاسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت لهيا) بلهو وعلونا (بالقصر) و (السهم) قصرا
ومررنا (بدير مران) نشدو فيه نظماً وتسجع الوُرق نثرا
تتفيا مابين (الارزة[2]) والقا بون دوحاً يبدل القيظ قُرا
إن عندي يا (بيت أبيات) و (السيـ ـلون[3]) شوقاً النيكما مستمرا

(١) لم يذكر اسمها فيما أمامنا من الأسفار .
(٢) أرزة كانت الى القرن العاشر موجودة كما قال ابن طولون .
(٣) بيت ابيات حارة كانت غربي الصالحية ـ قاله ابن طولون الصالحي ـ ولم يذكر في المراجع اسم (سيلون) وسيلون اليوم بستان مطلّ على الربوة من أرض المزة وهو ملك سمو الامير يوسف كمال .

بأبي (برزةً) فكم قد برزنا نتهادى فيها الى القصف جهرا
يا خليليّ ساعداني واني كنت بالحب قبل ذا اليوم غِرّا
خبراني عن (القصير[1]) و (حرنا) بخبير وددت لو كان خبرا
(معربا)و(الدريج[2]) و (التل)جنا ت بعدنا عنها ولم نأت وزرا
و (مَنين) بها مناي فمن لي أن أقضي فيها من العمر شطرا
فثنايا على (الثنية) قصا وابسطا لي عذراً بأكناف (عذرا)
عللاني (بكفربطنا) و (جديا) وذراني من ذكر لُبنى وعَفرا
واسألا لي عن (جوبر) ثم (جر مانا) فلي فيهما مآرب أخرى
ولكم بين (دومة) و (حرستا) غرف توقف النواظر حسرى
وَدّ جفني ان لو غدا بين (يروى) و(كثار[3]) بكاثر المزن قطرا
(فلقلبين) بات قلبي مشوقاً و (لعربين) ظلت العين عبرى
(بزملكا)و (عين ثرما)و(سقبا) و (بجسرين) ظلت اربع شهرا
لي رياض كأنهن السموا ت تضاهي زهر الكواكب زهرا
ثم قصّا عليّ أخبار (أشفا نية[4]) تغنما بذلك اجرا
فلنا حولها مطارح لهو مسّ كف الحيا ثراها فأثرى
(حلفباتا) و (بيت قوفا) و (ببيلا) و (يلدا) قرىً بها أنا مغرى
انتحي حيثما توجهت ظلاً وأرى حيثما تلفت نهرا
ولنا تحت دوحها حرم نأ وي اليه اذا الهجير استقرا
(بجحيرا) و (تلفياتا) و (دير البا لسي[5]) انهمكت في اللهو مرا

(١) في ضرب الحوطة ان القصير غربي كفرسوسة
(٢) معربا والدريج وحرنة ومنين والثنية ثنية العقاب من قرى جبل سنير آي قلمون، شمالي الغوطة.
(٣) ان كلمة كثار ويروى اسم قريتين أو متنزهين من متنزهات الغوطة على ما يظن .
(٤) أشفانية لم نتحققها ولعلها شفونية أو اشفونية من قرى المرج
(٥) من القرى التي لم نعرف لها ذكراً فيما لدينا من الكتب .

دمن لو أقيس حسن دماهـا بسواهـا لجئت شيئـاً نكراً
واذكرا (عقربا) و (دير العصافـ ـير[1]) لسمعي ان شئتما أن تسرا
فالى (بيت رانس) والى (دير النوا طير[2]) هزني الشوق سكرا
ولنا (بالبلاط) أوقات أنس نجتليهـا محجلات غرا
كم فتكنا بالهم فيها وأوسعـ ـنا صروف الزمان هجراً وهجرا
وشممنا من روض «راوية» نفـ ـحة ريح أذكى من المسك نشرا
ياليالي «بكفرسوسية» كانت وهي «بالمزة» الأنيقة زهرا
ويك عودي لا اخضر عودي ان رمـ ـت مدى الدهر عن جنابك صبرا
فسقى واكف الحيا زبوة ذا ت قرار بهمي ليالي عشرا
جاء في محكم الكتاب لها وصـ ـف فماذا يقول من قال شعرا

ومن متنزهات الغوطة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية قال البدري في محاسن الشام : وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور وميـاه تجري بهدير كالبحور ، وفيه يقول القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهمّ
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها [نصيب] [ولا سهم][3]

قلنا : ان من متنزهاتهـا الخلخال ، وكان هو والمنيبع محلتين ، وفي محلة الخلخال سويقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك المنيبع والشرفان وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان ، وفي المنيبع محلة وسويقة وحمام وافران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها وبجوارها دار الأمير ابن منجك [قاله البدري] يتبع

(١) من قرى المرج (٢) قرية أو متنزه لم نر له ذكراً في الكتب .
(٣) السهم من متنزهات دمشق والغالب أن اسم نصيب هو متنزه أيضاً ولكن ليس له ذكر فيما رجعنا اليه من المصادر ، ونصيب قرية من قرى حوران .

مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمداً رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام بغرفة تطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام: شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء طبعه ، واني لفي زيارته في يوم من الايام اذ مرّت بالشارع صِرْمة من الإبل يحدوها فتى أعرابي ، فوقعت عين السيد الشبيبي على تلك الإبل فانحدرت دموعه على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكنني لم اسأله عن بكائه ، ولم يستطع ان يكتم سبب البكاء ، فقال: أتعرف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الإبل ، ذكرت العراق وإبل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئاً ذا بال فله رأيه ، غير اني لا استطيع ان امرّ بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلة قوية بشاعرية السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رقته من ان يكون ديوانه مرآة صادقة تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب فيه من آلام .

وسواء أكانت هذه المرآة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه البحتري وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في زمننا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لهم : طالعوا ديوان

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حياً ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه — رضيتُ بسيط القول لم أتأنق

ولماذا لا اذكر نموذجاً من هذا الشعر :

يا راكبين الى دمشق تزودوا — منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه — جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها — ولرائديها مربع ومراد
وهل الربا حال ضواف طرز — وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف — خضرُ الأديم ، وفوفت أبراد
بين الغصون ومن مشين تشابه — في الحال ، كل مورق مياد
تلك القصور كأنهن قلائد — فوق الشطوط كأنها اجياد
أو ما تزال على معاهد جلقٍ — ترد الضيوف وتصدر الوراد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربياً عليه آثار بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة في هذا الأسلوب ولا رطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري

كتاب الذخيرة أيضاً

في مثل هذه الايام من العام الماضي علق البصر بهذا السفر النفيس لابن بسام فسرحت الطرف في فهرسه ألتهم موضوعاته وانا لا اكاد اصدق من فرط السرور ان الزمان سيسمح بنشر هذا الكتاب . وقفت عند رقم يتعلق بالامام ابن حزم الذي كنت انتهيت من اصدار كتابي عنه قبيل ذلك، فقرأت متثبتاً ما ذكر عنه ابن بسام، فوقفت عند بعض التصحيف ولما طالعت ما كتب في التعريف بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي احببت ان ارفع ماعنّ لي من ملاحظة الى الأساتيذ الأجلاء الذين فرغوا انفسهم لخدمة هذا الأثر الجليل ولحضراتهم الفضل :

١ — في ص ١٤٤ هذا البيت :

كأنك بالزوار لي قد تنادروا وقيل لهم اودى علي بن احمد

ولا معنى فيه لـ [تنادروا] والصواب : [تبادروا] بالباء كما في ارشاد الأريب ونفح الطيب [ترجمة ابن حزم]

٢ — في ص ١٤٥ :

هنالك تدري ان للعبد غصة وأن كساد العلم آفته الغرب

والصواب كما يقتضيه السياق وكما في المصدر السابق :

هنالك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب

٣ — أرجح ان [تشوقوا] في قوله ص ١٤٥ :

فوا عجبا من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب

محرفة عن [تشوفوا] بالفاء بمعنى اشرأبوا ، وهو اجود .

٤ — لم اجد معنىً مناسباً لكلمة [سغب] الواردة في قوله ص ١٤٦ :

وان رجالاً ضيعوني لضيع وإن زماناً لم انل خصبه بسغب

والصحيح مافي ارشاد الأريب : وان زماناً لم انل خصبه جدب

٥ — وكذلك كلمة (ميقعة) في قوله ص ١٤٦ :

ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميقعة وتارة في ذرى تاج على ملك

والميقعة — كما في القاموس — خشبة القصار يدق عليها ؛ والمطرقة ؛ والموضع الذي يألفه البازي والمسن الطويل . وليس لأخذ هذه المعاني مناسبة في البيت . وانما الصواب : « تحت متربة » كما في نفح الطيب

٦ — في ص ١٤٢ : « جهله بسياسة العلم التي هي اعرض من ايعابه » والذي احفظه: « اعوص من اتقانه »

٧ — في ص ١٤٢ : « ابوه الوزير المعَقَّل في زمانه » ولم ار مسوغاً للتشديد لأن [المعْقِل] بالتخفيف اسوغ .

٨ — في ص ١٤٢ : « فما من شرف الا مسبوق عن خارجية » ولعل صوابها : فما من شرف إلا مسوق عن خارجيته : كما في ارشاد الأريب [ترجمة ابن حزم] .

٩ — لعل الأولى في كلمة [رحم معقومة] المذكورة في ص ١٤٢ ان يقال : « رحم معقوقة » بالقاف لا بالميم

١٠ — ضبطوا في ص ١٤٤ [تحرقوا] بفتح فسكون ؛ وانما الفعل بالمعنى المذكور رباعي لا ثلاثي ؛ فالصواب : [تُحرقوا] بالضم فالسكون .

١١ — في ص ١٤٣ : « الفصل بين اهل الآراء والنحل » والمعروف من المصادر : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » والكتاب مطبوع متداول . وكذلك كتاب « كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » صواب [ما] ان تكون [لما] .

هذا ما لفت نظري في الصفحات الخمس المتعلقة بابن حزم . وقد اعجبني الاعجاب كله كلمة الدكتور طه حسين في ختام مقدمته :

هناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق الى اقامتها ، ومن الجائز بل من الراجح ان تكون هناك إغلاط قد مرت بنا أو مررنا بها فلم ترد ان تكشف لنا عن

نفسها ولم نستطع نحن ان نكشف لانفسنا عنها . ولكن الانتاج العلمي مشاركة كله ، بل أخص صفاته انه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول اصحاب الاقتصاد. فليصلح القراء ما فات الناشرين ومن يدري لعلهم ان يضطروا في كثير من الاحيان الى ان يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم ان نعمل وان نسعى جهدنا الى الخير وعلى الله قصد السبيل »

ان هذا الكلام لا يقوله الا الاثبات الثقات من العلماء الذين كثرت معاناتهم لآثارنا وتصحيحها ، والذين استطال تجرهم وتدقيقهم . واني بعد لشاكر لكل من ساهم في هذا العمل المجيد أخلص الشكر ، مكبر لهم غاية الإكبار .

سعيد الافغاني



الآداب الاسلامية

تأليف السيد علي فكري في ٢٥٥ صفحة

طبع في مطبعة عيسى البابي بمصر سنة ١٩٣٧ م

كتاب لطيف الحجم حسن الطبع ضمنه مؤلفه الفاضل أهم ما يحتاج اليه المرء في دينه ودنياه من الآداب الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة . وقد جعل الاستشهاد فيه مقصوراً على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة : فكان اول ابوابه ادب المرء مع الله تعالى ثم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور والوالدين والاقارب والجار والصاحب وسائر الناس : كيف يزورهم ، ويجالسهم ، ويحادثهم ويؤاكلهم : فهو يذكر الآيات والاحاديث الواردة في ادب من الآداب ثم يفسرها موجزاً تارة ومسهباً أخرى . ويعلق عليها من عنده احياناً تعليقاً فيه سهولة وفيه لين في التعبير بحيث يفهمه حتى عامة الناس . مثال ذلك تعليقه في موضوع الصدق قوله [فالتزم

ايها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تغشَ الكذب حتى لا تكون الفاجر الاثيم ، والكذاب المهين . واجعل صفحتك بيضاء نقية ، ومكانتك في المقربين علية ، ولقد صدق الشاعر في قوله :

واكرم الآداب صدق المنطق   اكرمْ به اكرمْ به من خلق

اعدل شاهدٍ على الصلاح   اقوب منهاجٍ الى الفلاح

ولم يستشهد المؤلف في كتابه الا بقليل من الشعر على نمط ما سمعت من هذين البيتين . ومن الشعر الذي استشهد به قصيدة ابتهالية في الحث على عبادة الله للشاعر اللبناني المشهور [الشيخ ناصيف اليازجي] وقد جاء في هذه القصيدة قول الشاعر [واطلب رضاه فانه لا يحقد) والقول ان الله تعالى لا يحقد على عبده المذنب تعبير مسيحي كان ينبغي للمؤلف ان ينبه اليه في ذيل الصفحة : لان وصف الله بالحقد ونفيه عنه لم يردا في الشرع الاسلامي كما لم يرد وصفه سبحانه بالحسد . بخلاف ما ورد مثل الغضب والانتقام مثلاً فان الله يوصف بهما ولكن لا يقاس عليها غيرهما مما لم يرد .

وفي الكتاب اغلاط لغوية قليلة : من ذلك ما في ص ١٢ [دين الملة الحنفية السمحاء] وصوابه السمحة وفي ص ٤٥ [ان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم رجل يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره] فقوله وتهذيبه صوابه ان يقال مكانه [وتعزيره] بالراء وبالزاي وكلاهما بمعنى التعظيم والتوقير ، وفي ص ٤٧ قوله [ومكالمتكم معه] صوابه ومكالمتكم اياه او له على ان التكليم هنا افصح من المكالمة وغير ذلك مما تحملنا قلته على شكر المؤلف الفاضل واكبار عنايته في ابراز هذا الأثر المفيد ، فنلفت انظار الآباء والمربين اليه .

المغربي

الحضارة الاسلامية

في القرن الرابع الهجري

تأليف آدم متز وتعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة طبع على نفقة بيت المقرب
الجزء الأول في ٤٥٦ الجزء الثاني والجزء الثالث في ٣٨١ صفحة
مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

كان مؤلف هذا الكتاب من أساتذة جامعة بال في سويسرا كتب كتابه بالالمانية ونشر بعد وفاته «١٩١٧» ثم نقل الى الانكليزية والاسبانية وتقدم احد مدرسي كلية الآداب بالقاهرة الاستاذ بوريدة ونقله الى العربية بلغة راقية راداً فيه نصوص المؤلف الى الاصول العربية التي اخذ عنها من الكتب العربية القديمة ومعتمداً على نحو اربعين تأليفاً عربياً حفظت في خزائن الكتب في باريز وليدن ولندن وبرلين وليبسيك ومونيخ وفينا مما لم يكتب له ان ينشر بالطبع ، وهو عمل شاق قام به الاستاذ الناقل احسن قيام .

وموضوع الكتاب من اجل الموضوعات المفيدة للباحثين من ابناء الشرق والغرب في هذه الحضارة الاسلامية العجيبة ، تناول المؤلف كل ما رآه مهماً في جلاء حقائقها فتكلم على المملكة وعلى الخلفاء والامراء وابناء الذمة من النصارى واليهود وعلى الشيعة ، وعرض للادارة والوزارة والوزراء والمسائل المالية ورسوم دار الخلافة والاشراف والرقيق والعلماء وعلوم الدين والمذاهب الفقهية والقضاة واللغة والادب . وافاض في الجزء الثاني في خدمة العرب لفن الجغرافيا وما حدث من التطورات في الدين والأخلاق والعادات ومستوى المعيشة واحوال المدن والاعياد والحاصلات والصناعات والملاحة النهرية والبحرية والمواصلات البرية .

كل ذلك بأسلوب الافرنج الراقي في التأليف ، يأتيك بالنصوص وقد سلكها في سلك بديع ، وما رأى ان يدخل شخصه ويبين رأيه الا عند الضرورة ، ولئن

كان المؤلف لم يواته الاجل لاعادة النظر في كتابه ونشر بعده قبل ان ينقحه ويزيد وينقص فيه، إنه من خير ما كتبه الغربيون في هذه الحضارة تشهد فيه مسحة جميلة من الانصاف ومعرفة ثاقبة في ايراد الحقائق من دون عصبية ولا عنجهية ، وهذا قلّ ان يشاهد فيمن يكتبون في غيرهم من امم الحضارة الحديثة . قلّ في الناس من ينصف غيره من نفسه ، ولذلك كان معظم من كتبوا فينا من اهل الغرب كانوا اما مفرطين في كيل المديح لنا كيلاً وإما مغرضين في محاسبتنا على النقير والقطمير بدون انصاف ولا قسط ؛ اما آدم متز فنمط جديد فهو الهدوء والكمال والخلق والعلم .

ان هذا الكتاب من ابدع ما يقتنيه العربي ليقف على اقوال الباحثين في مدنية اجداده ، والشكر للمعهد الخليفي وللجنة التأليف على اختيارهما هذا الكتاب لنفع الناس . ومعظم الثناء يتوجه الى الاستاذ الناشر ولا يبعد ان يكون عانى من التعب في نقل هذا السفر البديع اكثر مما تعب المؤلف في جمع مواد كتابه ، أثابهم الله كلهم عن العلم .

محمد كرد علي



مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء السادس حزيران سنة ١٩٤١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠

صفحات مطوية

عنيت منذ سبع سنين بوضع تاريخ لمدينة صفد عاصمة إحدى الممالك الشامية في دولتي المماليك المصرية واستعنتُ على ذلك بالعالم المصري أحمد تيمور باشا الذي توفاه الله في سنة ١٣٤٩ ﻫ ١٩٣١ م فأعانني بكتبه وخزانته الغنية وقيد لي بيده الكريمة شتى الفوائد مما سأذكره له في مقدمة التاريخ عند تمثيله بالطبع.

أما ما أريد نشره من الصفحات المطوية فهي أيضاً من فضل الاستاذ تيمور باشا رحمه الله وقد كان بث بعضها الي في عداد مواد تاريخ صفد والبعض الآخر في سياق الاخبار التي تلت فتح عكا الاخير واجلاء الصليبيين عنها لأنني أخذت بالعمل على اعداد المواد اللازمة لتاريخ عكا أيضاً.

ولما كانت تلك الاخبار والتراجم المنقولة عن كتب مخطوطة تتعلق بدمشق وما اليها رأيت أن في نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي فائدة لتاريخ البلاد لأن بعض هذه الاخبار لم يدوّن في التواريخ المطبوعة

عبد الله مخلص

من كتاب تاريخ الاسلام (1) للحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ ﻫ ١٣٤٧ م نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

من حوداث سنة ٦٩١ ﻫ ١٢٩٢ م

وفي جمادى الاولى دخل دمشق الملك الاشرف ثم صلى بجامع دمشق يوم الجمعة بالمقصورة ، وأسرجت له شموع كثيرة وخلع على الخطيب عز الدين الفاروقي ، واقام السلطان بدمشق عشرة أيام وسار الى حلب فدخلها في اواخر الشهر بالجيوش

(١) تاريخ الاسلام للامام الذهبي من أجلّ كتب التاريخ الاسلامي وقد أثار كثيراً من غوامض تاريخ دمشق خاصة ، مما أوجز الكلام عنه في التواريخ الاخرى ، وسننشر في جزء خاص من أجزاء المجمع ما جاء فيه عن تخريب المغول لدمشق سنة ٦٩٩ – ٧٠٠ للهجرة بتحقيق المستشرق المجري الاستاذ يوسف صومغي مع مقدمة له ممتعة.

وضيفه صاحب حماة وبالغ في الاحتفال وادخله الحمام . الى ان قال : وفي ثامن جمادى الآخرة نازل السلطان وجيوشه قلعة الروم وحاصرها شهراً وثلاثة أيام . وفي حادي عشر رجب فتحت قلعة الروم بالسيف عنوة ودقت البشائر وزينت البلاد وترحل السلطان وبقي عليها عسكر الشام والشجاعي لعمارتها وترميم ما تشعث بالمجانيق . وقدم السلطان حلب وعزل عنها قراسنقر المنصوري وأمر عليها سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري متولي الساحل وامر على السواحل طغريل الايغاني وامر على قلعة الروم الامير عز الدين الموصلي . وفيه فتح الشجاعي الذاكات ، وهي معاقل الارمن على الفرات ، واخذ منها نحواً من الف نفس . وفيه بدت من الجمال المحقق معيد القيمرية هفوة في الدرس ، فقام مدرس القيمرية صدر الدين بن رزين وشكاه ، وجرت امور اوجبت ان المحقق اسلم عند القاضي شرف الدين الحنبلي وحكم باسلامه وحقن دمه ، وترك اعادة القيمرية وقايض نجم الدين الدمشقي الى اعادة الرواحية . وفي تاسع شعبان دخل السلطان دمشق مؤيداً منصوراً والأسرى بين يديه منهم خليفة الارمن ، واما نائب السلطنة بيدرا وسنقر الأشقر وقراسنقر وبكتوت العلائي وكثير من الجيش فسار الى بعلبك ثم الى جبل الجرديين (كذا) ووافاهم من جهة الساحل ركن الدين طقصو وعز الدين أيبك الحموي فنزلوا على الجبل فخفر الى بيدرا من فتر همته عنهم ، وتمكنوا من اطراف الجيش في تلك الجبال الوعرة ونالوا منهم ، فرجع الجيش شبه المقهورين ، وحصل للجبليين الطمع والقوة ثم هادنتهم الدولة وخلع على جماعة منهم وحصل بذلك للعسكر وهن . ثم قدم بيدرا دمشق فعاتبه السلطان فتألم ومرض وزاره السلطان ثم عوفي وعمل السلطان ختمة بجامع دمشق لعافيته . وليلة نصف رمضان توفى صدران كبيران موقعان عديما النظير فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، ومن الغد توفى سعد الدين سعد الله الفارقي . وفي رمضان احضر الامير علم الدين الدواداري من حبس الديار المصرية الى دمشق وانعم عليه السلطان وأعاده الى الامرة وافرج عن امواله

وحواصله ثم سار صحبة الركاب الشريف · وفيه ولى الخطابة دمشق [1] موفق الدين محمد بن محمد بن جيش الحموي عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروقي فباشر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وحضر السلطان يومئذ بالمقصورة · وهرب الامير حسام الدين لاجين بسبب مسك الامير ركن الدين طقصوز وخرج السلطان الى المرج في طلبه ونادت المنادية بدمشق علي الامير لاجين · وفي سابع شوال دخل الشجاعي بعسكر دمشق اترا من ناحية قلعة الروم وقد فرغوا من اشتغالهم · ويومئذ قيد الامير شمس الدين الاعسر وبعث الى مصر وُعزل الشجاعي من نيابة دمشق بعز الدين الحموي، وتوجه السلطان الى مصر في عاشر شوال بسحر ، وبات اهل الاسواق بظاهر البلد مرتين بالشمع الى ميدان الحصى · الى ان قال : وفي ذي الحجة قدم الشام نحو ثلثماية فارس من التتار مفقزين وتوجهوا الى القاهرة · وفي أوائلها وقيل في اول سنة اثنتين احضر السلطان بين يديه سنقر الاشقر وطقصور فعاقبهما فأقرّا انهما عزما على قتله وان حسام الدين لاجين لم يكن معهما فأمر بهما فخنقا بوتر وافرج عن لاجين بعد ان كان الوتر في حلقه ، وقيل ُخنق وُترك بآخر رمق فشفع فيه بيدرا والشجاعي فأطلقه وانزل الآخران الى البلد فسلما الى اهلهما واهلك معهما امراء منهم جرمك وسنقران والهاروني ·

سنة ٦٩٢

في المحرم حكم بدمشق القاضي حسام الدين الحنفي للضاكيين بصحة نسبهم الى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه بعد ان سعوا وتعبوا · وفي المحرم جاءت ريح عظيمة على الركب بمعان وبرد ومشقة · وفيه نزل لصدر الدين بن الوكيل حموة شيخنا تاج الدين بن ابي عصرون عن تدريس الشامية الجوانية ·

وفيه طلب السلطان من صاحب سيس قلعة بهسنا ومرعش وتل حمدون ؟ اه

(١) لعلها سقطت كلمة بجامع بين الخطابة ودمشق عند النسخ

بهسنا فكانت للناصر صاحب حلب وبها نوّابه ، فلما اخذ هولاكو البلاد كان في بهسنا الامير سيف الدين العقرب فباعها لصاحب سيس بمائة الف درهم وسلّمها اليه فبقي على المسلمين منها ضرر فأذعن صاحب سيس بتسليمها واضعف الحمل مع ذلك وتسلّمها نواب السلطان في رجب ودقت البشائر · وفي المحرم قدم الدواداري وجماعة من امراء الديار المصرية وعز الدين ايبك الخزندار متولياً نيابة طرابلس عوضاً عن سيف الدين طغريل الايغاني · وسرح الى حلب ابن ملى فولى بعده تدريس الرواحية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني · وفيها طهر السلطان أخاه الملك الناصر دام بقاؤه وابن اخيه موسى بن الملك الصالح واحتفلوا لذلك بالقاهرة احتفالاً زائداً · وفيها عمل للسلطان دهليز جليل اطلس مزركش بطراز وغرم عليه اموالا عظيمة · وفيها ولى ولاية البريد بدمشق سيف الدين اسندمر في رجب · وحج بالناس الامير بكتاش الطيار · وفي صفر جاءت زلزلة هدمت وانكت في غزة والرملة والكرك · وسار من دمشق اميران وعدد من الحجارين والصناع لاصلاح ما تهدم من ابرجة الكرك · وفيها مسك الامير عز الدين ازدمر العلائي وقيد بدمشق وبعث الى مصر وتوجه من دمشق شمس الدين سنقر المساح بطلب الى مصر وجاء على خبزه بدمشق بلبان الجبلي الخزندار · وفي ربيع الآخر توجه على البريد الى مصر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل علي وجاء مملوك لسيف الدين طغجي برسوم بالحوطة على ابن جرادة فمسك ونفذ الى مصر واخذ ماله ونكب · وفيه تردد عيارة الفرنج في البحر الى الساحل وشعثوا بانطرسوس وطلعوا الى صيدا · وفي جمادى الاولى عزم السلطان على البيكار وتقدمه الاغسر فهيأ اقامات ومؤنة من الناحية القبلية ، وقدم الصاحب ابن السلعوس في جمادى الآخرة ثم قدم بعده بيدرا نائب السلطنة ثم السلطان فنزل بالقصر · وفيه تسلم نواب السلطان حصنين للأرمن وهما كديربرت وايرما ثم تسلموا حصن بكازر وقد كان السلطان في مجيئه من بقلعة الشوبك وبالكرك ثم بعث جماعة لخراب قلعة الشوبك ثم خرج الى المرج ·

وفي رجب دخل دمشق الامير حسام الدين لاجين وصحبته الامير مهنا بن عيسى واخوته محتاطاً عليهم وذكر ان السلطان أمر بالقبض عليهم عند سلمية لأمر نقمه عليهم . وفي اثناء رجب رجع السلطان الى الديار المصرية ، ودرس بعد الشيخ تقي الدين بن الواسطي بمدرسة الشيخ ابي عمر الفقيه شمس الدين بن التاج ثم عزل بعد ثمانية اشهر . وفي رجب سافر طوغان نائباً عن قلعة الروم . وفي آخر رجب انكسفت الشمس وصلى بجامع دمشق خطيبه موفق الدين الحموي وخطب . وفي رمضان جاء الى دمشق مرسوم بالزام الدواوين (١) بالاسلام ومن امتنع يؤخذ منه الف دينار فأسلم اربعة في ثامن رمضان . وفي شوال بلغنا ان السلطان صادر الامير عز الدين الافرم ايبك وضيق عليه واخذ منه اموالاً كثيرة واعطى خبزه للامير حسام الدين لاجين المنصوري .

سنة ٦٩٣

في ثاني عشر المحرم قُتل السلطان الملك الاشرف بتروجه اقدم عليه نائبه بيدرا وعطف عليه بالسيف لاجين ، ثم قُتل بيدرا من الغد وحلفوا للسلطان الملك الناصر محمود بن المنصور ، وهو يومئذ ابن تسع سنين ، وهلك الصاحب ابن السلعوس تحت العقوبة المفرطة الخ .

من كتاب تاريخ الدول والملوك لمحمد بن عبد الرحيم

المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الامبراطورية في وينا بالنمسة »

في حوادث سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م

ورحل السلطان « الظاهر بيبرس » من صفد متوجهاً الى دمشق فنزل بالجسوره وأمر بأن العساكر لا تدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس ، ودخل

(١) لعلها سقطت كلمة عمال قبل الدواوين والمفهوم العمال غير المسلمين

دمشق جريدة ورسم بتوجه الملك المنصور صاحب حماة مقدماً على العساكر الى سيس ووصاه بما يعتمده وجهزه ، وفي ثالث ذي القعدة من هذه السنة توفي كرمون آغا ، وفي ثامنه انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشاريف ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به وازال صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين قال الله تعالى « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلاة ، وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف ظلامات الناس والتوقيع على القصص بدار السعادة وتوجه السلطان الى عذراء وضمير متصيداً وما أحضر احد صيداً الا خلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقية وفرغت الخلع فاطلق السلطان لهم دراهم .

من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين

خليل ابن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٧٤هـ ١٣٧٢ م « نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة »

ترجمة علاء الدين طيبرس الوزيري

طيبرس الامير الكبير الحاجّ علاء الدين الوزيريّ صهر السلطان الملك الظاهر توفي بمصر سنة تسع وثمانين وستمائة ، وكان كثير الصدقات قليل الأذية أوصى بثلاثمائة الف درهم تنفق في الجند الضعفاء ، ووصفه الشيخ شهاب الدين ابو شامة بكل قبيح فقال وفي ثالث القعدة سنة ستين وستمائة وصل من مصر الى دمشق عسكر مقدّمة الامير عز الدين الدمياطيّ وبكر الدخول الى دمشق فخرج الناس يتلقونهم ومعهم الحاجّ علاء الدين طيبرس الوزيريّ نائب السلطنة بدمشق فلما وصل اليه ليكارشه على ما جرت به عادة الملتقين قبض الدمياطيّ بيده الواحدة على عضد طيبرس الوزيريّ وبيده الأخرى سيفه وانزله عن فرسه واركبه بغلاً وشدّه عليه ثمّ قيده وتركه بمصلى العيد ، فلما دخل الليل عليه وكل به وسيره الى مصر وهرب

أصحابه ثمّ استخرجت امواله التي بدمشق بعد ما سير منها ما كان سير مع العرب وقبضت حواصله وكان الحاجّ طيبرس قد اهلك اهل دمشق باخراجهم من بلدهم والترسيم على اكابرهم باخراجهم عيالهم وانفسهم وأهانهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من التتار فكان البدويّ يجلب الجمل ويبيعه بأضعاف قيمته ويشتري به الغلة رخيصة لأن الناس يحتاجون الى السفر الى مصر ٠

وله ترجمة بالمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م لا تختلف عن هذه الاّ بأنّ وفاته ذكرت بآخرها بدل ذكرها بالأول ٠

من كتاب الاعلام بتاريخ الاسلام

لأحمد بن محمد قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ ١٤٤٧ م

«نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الاهلية في باريز بفرنسة»

ترجمة القونوي

سليمان بن علي بن امين القونوي الحنفي قال ابن رافع سمع متأخراً من قاضي القضاة علاء الدين القونوي ودرس بالاقبالية ، توفي في ذي القعدة سنة ٧٦٨ ودفن بمقابر الصوفية وخلف ثروة ٠

عبد الله مخلص

القَسَم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التوكيد والتوثيق يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه ، ومعلوم ان القرآن الكريم جاء على اسلوب كلام العرب ومناحي خطابهم ، ولذلك جاء فيه اقسام متنوعة في مواضع شتى ، لتوكيد ما تقتضي الحال بتوكيده من الأخبار ، لتقريرها في النفوس ، وتثبيتها في الأذهان . وقد جاء القسم فيه على ضروب شتى : فمن القسم بذاته تعالى وصفاته الى القسم بأظهر ما يقع عليه الحس ، او يدركه العقل ، من نماذج البدائع الكونية ، الدالة على عظمة المبدع ، وبالغ حكمته ، فأقسم بالسماء وما بناها ، وبالشمس والقمر ، وسائر السيارات ، والثوابت ، وبالليل والفجر ، والصبح والضحى والنهار ، وبالعصر ، والليالي العشر ، والشفع والوتر وبالارض وبحارها وجبالها ، والتين والزيتون والبلد الامين ، والبيت المعمور ، وبالرياح المرسلات والذاريات الناشرات والسحب والأمطار وبالنفس وما سواها ، وبالوالد وما ولد ، وبحياة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، وباليوم الموعود ، وبالقوى الروحانية الصالحة ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون وما لا يبصرون . اما الامور المقسم عليها فلا تكاد تخرج عن اصول اربعة :

١ — تثبيت اساس التوحيد وترصينه .

٢ — تقرير أمر الرسالة والاشارة بصدق صاحبها .

٣ — البرهنة على الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب فثواب او عقاب .

٤ — ايضاح بعض التصرفات البشرية في هذه الحياة .

وهذه كما تراها اسس الدين واراكينه ، وقد تكلفت التفاسير بايضاح المقاصد المختلفة في هذا الباب : كما ان بعض الاعلام افرده بالتأليف . وقد كنت — ابان قيامي بتدريس التفسير في جامعة آل البيت — رأيت ان الخص زبدة ما وقفت

عليه من كلام الاولين ، في رسالة خاصة . مع اضافة ما عنّ لي من النقد والتحليل لبعض تلك الآراء .

وابرز ما عنيت به في رسالتي تلك البحث عن المناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، مما لم اوفق للوقوف على الكثير منه في كلام الأسلاف عليهم الرحمة .

ولا يخفى ان هذا النوع من التناسب يرفع من قدر الكلام ، ويزيد في روائه وبهائه . ولما كانت الانظار تتفاوت فيه والافكار تختلف ، رأيت ان انقل للقراء الكرام نماذج مما جاء في تلك الرسالة على سبيل الايجاز ، فمن ذلك قوله : (والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ...) اقسم بالكوكب المنير الذي لا يضل السبيل ، وبه يهتدي السارون في ظلمات البر والبحر . ان النبي الكريم على اهدى السبل واقصدها . ومعلوم ان العرب تضرب الامثال بهداية النجم والاهتداء به . يقولون : فلان اهدى من النجم . ولا يضل حتى يضل النجم (وبالنجم هم يهتدون) فالمناسبة بين المقسم به وهو النجم عند انحداره في سيره على محيط دائرته ، والمقسم عليه وهو كون الرسول على انهج الطرق واقومها — ظاهرة جلية .

وقريب من هذا قوله : (فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم ...) .

فالنجم من اعلام الاهتداء في الماديات ، والقرآن علم الهداية في المعنويات ، كما ان النجم يضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، وكذلك القرآن فانه في المكانة التي لا تسامى ؛ ومواقع النجوم : مجاريها في دوائرها ، اومابينها من الابعاد المتناسبة .

ويقرب من هذا قوله : (فلا أُقسم بالخنس الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم) فانه اقسم بالدراري التي تراها ونحن على الارض ، تجري مع الشمس ، ثم نراها كأنها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك بالليل عند إدباره ، والصبح عند اقباله — على ان القرآن وحي ينقل بواسطة ملك شريف والوحي الالهي بمثابة النور يستضاء به لمعرفة مالا

تستقل العقول بادراكه (وانزلنا اليكم نوراً مبيناً) فالقسم بالنيرات ، على اثبات النور ، من المناسبة بمكان . ومعلوم ان الوحي يأتي حيناً دون حين ، وعند ظهوره تنجاب امامه دياجير الضلالة في المعنويات ، وكذلك النيرات في الماديات . والواقع ان ما يتلقاه الرسل من الوحي يتداوله اتباعهم على حقيقته حيناً من الدهر ، ثم يأخذون بالانحراف عنه شيئاً فشيئاً ، حتى تترامى الشقة بينهم وبين الاصل ، فيرسل الله رسولاً يوحي اليه مابه صلاح الفاسد وتقويم المائل ، وتجديد الداثر ، فيتلقاه أتباعه عنه على حقيقته . ثم — مع الزمن — يأخذون بالابتعاد عنه الى ان تقضي الارادة الإلهية بارسال رسول يعيد امر الاصلاح الى نصابه ، مع زيادة مايقضي الزمان بزيادته ! وهكذا . وبهذا تتجلى المناسبة بأجلى مظاهرها بين الوحي والنيرات التي تظهر حيناً فيهتدي بها المهتدون ، ثم تختفي حيناً ، ثم تظهر وهكذا كما تتضح المناسبة بين الوحي واقبال النهار ، لأن هذا للابصار ، وذلك للبصائر (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) .

فان قلت : اذا كان من ديدن اتباع الرسل — اذا طال عليهم الامد — الانحراف عن الجادة وسلوك بنيات الطرق ؛ فمن الضروري الاستمرار على ارسال الرسل ، فكيف نوفق هذا مع القول بأن محمداً (ص) خاتم النبيين ، وآخر المرسلين ؟ قلنا : ان ما أشرنا اليه كان والبشرية لم تبلغ من الرشد مكاناً علياً ، أما البعثة المحمدية فقد جاءت على حين ارتفعت مكانة العقل الانساني ، واصبح قادراً على القبض على زمام كثير من شؤون الحياة ، ولذلك عقد له القرآن الحكيم راية الزعامة ليسير في نوره الى حيث الكمال الانساني (والعلماء ورثة الأنبياء) —

وقال : (ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون ...) كان المشركون يقولون للرسول الامين : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فجاء الجواب بالسلب المؤكد ، فأقسم بأبسط عناصر القول ، وبأخص أدوات العلم ،

وبالعلم نفسه ، على تنزيه النبي الكريم عما رموه به زوراً وبهتاناً ، فحروف الهجاء أبسط عناصر القول ، والقلم من اوائل أدوات العلم ، ثم العلم نفسه . كل ذلك من خصائص الانسان العاقل ، فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه اجلى من ان تحتاج الى جلاء .

وقال : (والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ...) اقسم بالضوء في شباب النهار ، وبالظلام عندما يضرب على الارض بجرانه انه لم يهمل أمرك أيها الرسول ولم يبغضك . جاء هذا القسم على اثر تخلف الوحي عن الرسول الكريم ، بضعة عشر يوماً ، فاشتد حزنه (عليه السلام) واندفع اعداؤه بأراجيفهم فقالوا : « ان ربه ودعه وقلاه » ومن هنا تتضح المناسبه بين المقسم به والمقسم عليه ، فالصلة بين الضياء والوحي وثيقة ، بقدر وثوق الصلة بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفيه اشارة الى ان الوحي وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، فمن كان في الليل لا ييأس من قدوم النهار ، ومن كان في النهار لا يتردد في مجيء الليل . وفي هذا تسلية للرسول (ص) وتبكيت للمرجفين من اعدائه .

وقال : (والذاريات ذرواً ، فالحاملات وقراً ، فالمقسمات امراً ، ان ما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع ...) اقسم بالريح التي تذرو البخار فينعقد سحاباً ، ثم تحمله فتجري به في اجواز الفضاء ، وتوزعه على مختلف البقاع — على صدق الموعود من البعث والنشور والحساب فالثواب او العقاب .

وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تتفرق ذرات دقيقة ، وتبعثر في متايه الفضاء ، ترجع الى سيرتها الاولى من جديد فتنحدر الى انهارها ، فبحارها ، وان طال عليها الزمن ، وكذلك حال الانسان (كما بدأكم تعودون) فالمناسبة ظاهرة .

ومثله قوله (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقاً ، فالملقيات ذكراً ، عذراً أو نذراً ، ان ما توعدون لواقع ...) فالمرسلات

الرياح الطليقة والعرف التتابع والعاصفات الشديدة والناشرات الرياح التي تثير ذرات الماء فتنشرها في الفضاء (يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء) والفارقات : المقسمات . والرياح واسطة يستمد منها الانسان كثيراً من المعلومات الجوية ، فهي الملقيات ذكرا اي علما ، فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) ، كما تنذر بكثير من العوارض الجوية ، فالمعلومات المستمدة من خواص الرياح منها ما يبشر بالخير ومنه ما ينذر بالشر (عذراً او نذراً) .

وجواب القسم قوله (انما توعدون لواقع) فالمناسبة ظاهرة على ما ألمعنا اليه آنفاً .

ومن هنا نعلم ضعف القول المشهور من ان المراد بالمرسلات هنا طوائف الملائكة ، يرسلهن الله تعالى بأوامره فيعصفن في مشيهن عصف الرياح الشديدة ؛ وبطوائف أخرى تنزل بالوحي فتنشر الشرائع وتحيي بها النفوس الميتة ، وبذلك تلقي على المرسلين علماً يكون عذراً للمحقين او نذراً للمبطلين . وهذا القول — على شهرته — يأباه اسلوب العربية ، اذ لو اريد هنا الملائكة لجاءت الصفات مجموعة جمع الذكور العقلاء كما هو المعروف في العربية والمعهود في القرآن نفسه . قال : (وترى الملائكة حافين) ولم يقل حافات . وقال : (الملائكة المقربون) ولم يقل المقربات . وقال : (والملائكة باسطوا ايديهم) ولم يقل باسطات ايديها ، فلو كان المراد بالمرسلات الملائكة لجاء بصيغة المرسلين ؛ وأما التأويل المشهور وهو ان المراد طوائف الملائكة فتكلف لا داعي له ، زيادة على ما فيه من ضياع للمناسبة التي اشرنا اليها .

طه الراوي

الغوطة

- ٣ -

أدب الغوطة

أعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون اليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما زالت الغوطة في الاسلام يتغنى بها الشعراء ، ويعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارزمي :ان جنان الارض اربع : صغد سمرقند ، ونهر الأبلة ، وشعب بوان ، وغوطة دمشق . قال انه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن ، وقال : كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه الأرض . وبالطبع لم يكن يومئذ ذكر لحدائق بلاد الغرب الآخذة بمجامع القلوب لجمعها بين الجمال الطبيعي والصناعي

يتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف ، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين ، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف والعاطفة والتاريخ ، وأرض كلها شعر لايستغرب فيها أن توحي الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها مجمعين على محاسنها .

ولا بأس ان نقتطف بعض باقات من تلك الازهار ونذكر بما طاب من جماع تلك الاشعار ، نقدمها متعة للنفس ، وذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات .

أطلق البحتري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك الى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها:

العيش في ليل داريا اذا بردا   والراح نمزجها بالماء من بردى .

الى ان قال :

أما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفاً خضلاً أو يانعاً خضراً او طائراً غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري :

امرُ (بدير مران) فأحيا واجعل بيت لهوي (بيت لهيا)
ونبرد غلتي بردى فسقياً لأيامي على بردى ورعيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعدُ خداً ومن رمانة لم تخط ثديا
ونعم الدار داريا ففيها حلالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى ظبياً فظبيا
هي الدنيا دمشق لساكنيها فلست أريد غير دمشق دنيا

قال ابن منير الطرابلسي من أهل القرن السادس

حيِّ الديار على علياء جيرون [1] مهوى الهوى ومغاني الخرّد العينِ
مَرَاد لهوي اذ كفى مصرّفة أعنة العيش في فيح الميادين
(فالنيربين)(فمقرى)(فالسرير)(فجمـ ـرايا) فجو حواشي جسر (جسرين)
(فالقصر) (فالمرج) (فالميدان) (فالشـ ـرف الاعلى)(فسطرا)(فجرمانا)(فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) فجارتها (فآبل) فمغاني (دير قانون).

---

(١) جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحولها المدينة تطيف بها — قاله في المعجم • وفيه .أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كبيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها •

تلك المنازل لا (وادي الأراك) ولا (رمل المصلى) ولا اثلات (يبرين[1])
واهـاً لطيب غديات الربيع بهـا وبرد أنفاس آصال التشارين
ويطبيني[2] لدار الروم ما شهرت (بدير مران) أعيـاد الشعانين
أبدت دمشق ربيعاً جلّ صانعه يأتيك في كل حين غير ممنون

والماطرون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها ونسب ليزيد بن معاوية قوله :

ولها بالماطرون اذا أكل النمل الذي جمعا
خُرْفة[3] حتى اذا ربعت ذكرت من جلق بيعـا
في قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد ينعا

ويستبعد ان يقول أمير المؤمنين يزيد هذا فانهم وضعوا عليه أشياء لم يفعلها ، ومنها بيتان قيل انه قالها لما أصاب المسلمين سبأ بأرض الروم وهما :

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم[4]

وقال العماد الكاتب كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب :

اهدى النسيم لنا ريا الرياحين أم طيب أخلاق جيراني بجيرون
هبت تنبه أطرابي وتبعثهـا مني وتوجب للتهويم تهويني
وما درينا أ (داريا) لنا أرجت أم دار في دارنا عطار (دارين[5])
ورب همّ فقدناه (بربوتها) ورب قلب أضعنـاه (بقلبين)
لولا جسارة قلبي ما ثبت على الـ ـعبور من طرب في جسر (جسرين)

---

(١) وادي الاراك قرب مكة يتصل بغيقة والمصلى موضع بعينه في تحقيق المدينـة ، ويبرين من أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة يبنه وبين الفلج ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما (ياقوت) (٢) في القاموس : طَبَيْته عنه صرفته وإليه دعوته كأطبيته (٣) الخرفة بالضم المخترف والمجتني كالخرافة (٤) الموم البرسام وأم كلثوم امرأته والخذقونة أو الغذقدونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زربة .

(٥) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (ياقوت)

يصبيك(ميطورها)طوراً(ونيربها) طوراً وبوليك احساناً (بتحسين [1])
نعيمها غير ممنوع لساكنهـا كالخلد والمن فيها غير ممنون
أهوى مقري(بمقرى) والرياض بها للزهر ما بين تفويف وتزيين
هاجت بلابل قلبي المستهام بهـا بلابلُ الأيك غنتنـا بتلحين
تتلو (بسطرا) أساطير الغرام على صوامع الدوح وُرق كالرهابين
قمريها مقريءٌ يشدو بنغمتـه آياً يعلمهـا من غير تلحين

وختمها بقوله :

حرستها في (حرستا) العيش من شظف دوما (بدوما) على حفظ القوانين

ولابن منقذ الكناني في وصف دمشق حاضرة الغوطة الكبرى وما اليها قصيدة مطولة جمع بها كل المحاسن ومما قال فيها :

وإذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تسطيع ان تتمثل الـ فردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقـه الفتى لم يلق الا جنـة او جدولا
او روضـة او غيضـة او قبـة او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعبـا او مذنبـاً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيـه الرخام مجزّعاً ومفصلا
وفواكه متخالف أصنافهـا ممـا يشوقك مطعماً وتأملا
مصفر تفاح بدا في أحمر يحكي المحب أتى الحبيب مقبلا
والورد مثل الخد يعلوه من الـ ريحان صدغ شعره قد رجلا
وبنفسج كنفاضـة من اثمد تبديه أجفان البكاء تذللا
وتخال نورْ الباقلاء اذا بدا للواحظ الأبصار طرفاً احولا

(١) لم نعرف قرية أومتنزهاً بهذا الاسم .

نشرت مطارفه وجاءك نشرها   فحسبتها وشياً تأرج مندلا
ويهزّ مرّ نسيمها أشجارها   فتخال غادات تشكت إفكلا (١)
وعلت غصون خلافه محمرةً   وهفت بها ريح فضاهت مشعلا
واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وجده متبلبلا
ومتى هوى ورق الغصون وجدته   ذهباً وكان زمرداً لما علا
وكأن واديها قراب اخضر   يستل من بردى حساماً منصلا (٢)

وقال ابن عنين وهو بالهند يتشوق الى دمشق وغوطتها

حنين الى الأوطان ليس يزول   وقلب عن الأشواق ليس يحول

الى أن قال :

كأن الثريا غرة وهواءهم   له من وميض الشعريين حجول
ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة   وظلك (يا مقرى) علي ظليل
وهل أربني بعد ماشطت النوى   ولي في ذرى روض هناك مقيل
دمشق فلي شوق اليها مبرح   وإن لج واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها   عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق   وصح نسيم الروض وهو عليل
فياحبذا الروض الذي دون(عزتا)   سحيراً اذا هبت عليه قبول
ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت   جداول (باناس) اليه تسيل
وفي كبدي من(قاسيون)حرارة   تزول رواسيه وليس تزول
اذا لاح برق من(سنير)تدافعت   بسحب جفوني في الخدود سيول
فلله أيامي وغصن الصبا بها   وريق واذ وجه الزمان صقيل

وعزتا او عزة قرية من نواحي وادي بردي ربما كانت قرب الفيجة ، وقد

(١) الرعدة من الخوف أو البرد   (٢) حسام منصل مخرج من قرابه .

أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه ، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: ان عين الفيجة تخرج من مكان تحت حصن عزتا فلعلها هي التي يتغزل بها الشاعر.

وقال: في روضة (بالنيربين) أريضة رضعت أفاويق السحائب حفّلا

أنى اتجهت رأيت ماء سابحاً متدفقاً او يانعاً متهدلا

وكأنما أطيارها وغصونها نغم القيان على عرائس تجتلى

وكأنما الجوزاء ألقت زهرها فيها وأرسلت المجرة جدولا

ويمر معتل النسيم بروضها فتخال عطاراً يحرق مندلا

وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح ببردى ، وهو من أهل القرن السابع :

كأن طيور الماء فيه عرائس جلين على شاطيه خضر الغلائل

اذا كرعت فيه تيقنت أنها تزق فراخاً وهي زغب الحواصل

وكم سمك فيه عليه جواشن من التبر صيغت وهو بادي المقاتل

جريح بأطراف الحصا لخريره أنين له من جس تلك الجنادل

اذا قابل النهر الدجى بنجومه أرانا بقعر الماء ضوء المشاعل

تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل

فعانقها حتى انثنت مشمعلة نقل على ظهر الصفا بطن حامل

قال ياقوت وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف كثيراً من نواحيها ، وجلق كحمص بكسرتين مشددة اللام وكقنب دمشق او غوطتها .

ومن أجمل ما ورد فيه اسم جلق من الشعر القديم ابيات لأبي فراس طراد بن علي السلمي الدمشقي المتوفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وهي :

يا نسيماً هب مسكاً عبقاً هذه أنفاس ريا[1] جلقا

(١) ازيا الريح الطيبة

كفّ عني والهوى ما زادني برد أنفاسك الا حُرَقا
ليت شعري نقضت أحبابنا يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غَدِقا
وانثرى عقد دموع طالما كان منظوماً بأيام اللقا

ذكر الصلاح الكتبي ان هذه الابيات اشتهرت وغنى بها المغنون، وروي عن بعضهم انه مرّ يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حُمولتها تفاح فتحي من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فأكثر التلفت لها ، وكانت امامه امرأة ، ففطنت لما داخله من الاعجاب بتلك الرائحة فأومأت اليه وقالت : هذه أنفاس ريا جلقا .

ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس (أجارة بيتينا أبوك غيور) مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها الى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصيب جاء فيها .

عسى من ديار الظاعنين بشير ومن جور أيام الفراق مجيرُ
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت همومي ولكن المحب صبور
وكم بين أكناف (الثغور) متيم كئيب غزته أعين وثغور
وكم ليلة (بالماطرون) قطعتها ويوم الى (الميطور) وهو مَطير
سقى الله من (سطرا) و(مقرا) منازلاً بها للندامى نضرة وسرور
ولازال ظل (النيربين) فانه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا (بردى) لازال ماؤك بارداً وماء الحيا من حافتيك نمير
أبى العيش الا بين أكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

وقال عرقلة أيضاً :

أما دمشق فجنات مزخرفة للطالبين بها الولدان والحورُ

ما صاح فيها على أوتاره قمر إلا وغناه قمريه وشحرور
يا حبذا ودروع الماء تنسجها أنامل الريح الا أنها زور

وقال :

تؤرق ورق الغوطتين لواحظي وينحل جسمي حب غزلان (جاسم)[1]
أأحبابنا ان كنتم قد عزمتمو على البعد من أطلالكم والمعالم
فلا ترسلوا برقاً الى غير ساهر ولا تبعثوا طيفاً الى غير نائم

وقال :

دمشق حييت من حي ومن نادي وحبذا حبذا واديك من وادي
يا رائحاً غادياً عرج على بردى وخلني وحديث الرائح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية في ظل دالية تنبيك عن عاد
في جنب ساقية من كف ساقية كادت تثنى بقد غير مياد
لها بعيني اذ ماست معاطفها جمال مياسة في عين مقداد

وقال ابن الدهان الموصلي من قصيدة

نشوى تغنى لها ورق الحمام على أوراقها ويد الأنواء تسقيها
صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها حتى ضفا الظل وابيضت أعاليها
وصفق النهر والاغصان قد رقصت فنقطته بدر من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها وخانها النظم فانثالت لآليها
واعين الماء قد أجرت سواقيها والأعين النجل قد حارت سواقيها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت أقمارها فأجابتها قماريها

ومنها :

سماء دوح ترد الشمس صاغرة عنا وتبدي نجوماً في نواحيها
ترى البدور بها في كل ناحية ممدودة للنجوم الزهر ايديها

(١) جاسم من قرى حوران ينسب إليها ابو تمام الشاعر العظيم .

اذا الغصون هززناها لنيل جنىً ... صارت كواكبها حصباء ارضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة ... تخالها جمر نار في تلظيها

وقال عين بصل الحراني من قصيدة :

اما ترى الأرض اذ أبكى السحاب بها ... آذارها ضحكت اذ جاء نيسانُ
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت ... في الروض منه الى الأبصار ألوان
زمرّد قضب فيها مركبة ... جواهر ويواقيت ومرجان
كأنما الورد خد الحب حين غدا ... له العذار سياجاً وهو ريحان
كأن منثورها اذ لاح مبتسماً ... جيش من الروم بانت منه صلبان
كأنما البان اهدى المسك حين بدا ... فعطر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى ... من الرياض فكل الكون نشوان
كأنما حمرة التفاح خدّ رشا ... لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نار وباطنه ... ثلج وفيه لجين وهو عقيان
والطير تطرب بالعيدان نغمتها ... ما ليس يطرب بالأوتار عيدان
أبدت فنوناً فأفنت صبر سامعها ... بالنوح اذ حملتها فيه افنان
بلابل هيجت منا بلابلنا ... وهاج منا صبابات واشجان

وقال مجد الدين الاربلي يتشوق الى دمشق من قصيدة :

مواطنُ فيها [السهم] سهمي فكلنا ... نحث مطايا اللهو فيه ونُعنقُ
كلا جانبيه معلم بجمد ... من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب ... وان حجبتها دوحه فهو أزرق
وان فرّج الأوراق جادت بنورها ... قرَقَم[1] أجادته الاكف منمق
أطل عليه قاسيون كأنه ... غمام معلى او لغام معلق

(١) الرقّم ضرب مخطط من الوشي او الخز او البرود

تسافر عنه الشمس قبل غروبها … وترجف اجلالاً له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها … محب من البين المشتت مشفق
وفي (النيرب) المرموق للبر سالب … من النظر الزاهي وللبر مونق؟
بدائع من صنع القديم ومحدث … تأنق فيه المحدث المتأنق
رياض كوشي البرد تزهو بحسنها … جداولها والنور بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه … ترى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مقيم وزائل … تضاعف رياه الرياح فيعبق
كأن قدود السرو فيه موائساً … قدود عذارى ميلها يترقرق
اذا ما تداعت للتعانق صدها … عيون من النوْر المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه … الى النسر نسر في السماء محلق
زها ببديع الوشي حسناً كأنما … مدبّج روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولاً … وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة … وكم قسطل في الماء للماء يدفق
وكم منزل يغشى العيون كأنما … تألق فيه بارق يتألق
وفي (الربوة) الشماء للقلب جاذب … وللسمع اصمات وللعين مرمق
فهام بها الوادي ففاضت عيونه … فكل قرار منه بالدمع يعلق
تكفل عن دون الجداول شربها … (يزيد) يصفيه لها ويصفق
اذا أشرف الولدان من شرفاتها … رأيت بدوراً في بروج تألق
وفي (بردى) مغنى يشوق ومنظر … يروق ومأوى للسرور ومطرق
اذا أنت من أعلاه اشرفت ناظراً … تجيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به بحراً من الدوح مزبداً … وغدرانه خيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنان فيه كأنها … نشاوى وما دار الرحيق المعتق

وتعطف اعطاف الغصون حمامة   اذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجمع فيه كل حسن مفرق   وشمل الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياض الغوطتين جنوده   يقسم فيها جوده ويفرق

وهكذا اجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا وبيت ابيات وجسرين وتل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها توفي سنة ٦٩٧

وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الغوطة ايضاً ويذكر أرباضها ورياضها بدأها بقوله :

لي نحو ربعك دائماً ياجلق   شوق أكاد به جوى أتمزق

الى ان قال مخاطباً دمشق :

ولكم أحدث عنك من لاقيته   وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائماً   لم يحو مثلك غربها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله   لا(الرقمتين)او(رامة)و(الأبرق)[1]
وسقى ديار (الصالحية) وابل   يهمي على تلك المنازل مغدق
و (السهم) مااقترت ثغور أقاحه   الا ودمع سحابه يترقرق
كم فيه من قصر منيف مشرف   يبدو به قمر منير مشرق
(وبيت لهيا) لا تعداه الحيا   طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثاره مشهورة   ولأهله عهد عليّ وموثق
وحياك يا أطلال (جوبر)واصلا   غيث مربع مستهل مشفق
لله سرحة[2] ذلك الربع الذي   قلبي يهيم به وذاك الجوْلق[3]

(١) الابرق في اللغة والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة اماكن تضاف الى امكنة أخرى • ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء المثل : تسألني برامتين سلجما • والرقمتان تثنية الرقة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقمتان روضتان احداهما قرية من البصرة والأخرى بنجد •

(٢) السرح شجر عظام اوكل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال (القاموس) . (٣) الشوك

والوادي الشرقي لا برحت به ديم تسح ووبلها يتدفق
فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يغرق
ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه ما دمت حيّاً أرزق
في سكرا(زبدين)الى(جسرين) كم حيا الحيا حيّاً عليه رونق
فالواديان كلاهما الغربي والـــشرقي نزهة من برفق يرمق
أنى اتجهت رأيت دوحاً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
و (القصر) و(الشرفان) و(الشقراء) (والميدان) عشقاً للذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
فمخضب ومؤزر ومعمم ومزنر ومبرقع ومقرطق
كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب وا لجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير مصفق
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض سرادق في ظلها من كل لون نُمرق[1]
والورد بالألوان يجلو منظراً ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بلابلاً وكذاك أثواب الشقيق تَشقق
وهزاره يصبو الى شحروره ويجاوب القمريّ فيه مطوق
وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزمومه والمطلق
والوُرق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخليّ المؤثق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

(١) النمرُق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة والنمرقة بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق

ومن أجمل ما يروى في ادب الغوطة قصيدة عبد المنعم الجلياني الأندلسي شاعر صلاح الدين ، وكان نظم فيه عشرة دواوين قال :

عهود ليلى وما ضمت لياليها أهدت جديد صباباتي بواليها
لا تقدحي في ضنا جسمي معاتبة فشعل أعضائه الأنفاس توريها
أيام جلق والأهواء مسعدة ونضرة العيش تنهيها مباديها
في الغوطة الغبطة الممدود نعمتها أرواح جنة عدن في نواحيها
جلنا بأعطافها ترعي نواظرنا منادحاً يزع الأوصاب زاهيها
حتى استقلت بنا وخادة رُسم مضمرات غايظ قلب حاديها
يفري المهامه ما استصرخت فرقاً أجاب داعيها أو خاب راعيها
بطاويات الفلا ثقلاً حقائبها وراميات الدجى خفاً هواديها
كأن من بمطاها في ذرى قزح في كفه النسق الشامي يثنيها
اذا وخدن فما تنحاز أرجلها وان زملن فما تمتاز أيديها
شتى المطالب جمع في مساربها قصوى المنازل دنيا في مساريها
وردن مصر فأبقت من تذكرها دمشق ناراً نواريها فنوريها
ويومنا والمنى تعطي أعنتها طوع القياد وتجني حب جانيها
والمرج كالعين والأنهار ادمعها وظل شجرائها جفن يغشيها
كأنه ثبج[1] يحوي زمردة أو طرف زرقاء مكحول مآقيها
للطرف والطرف في ميدانه نزه تأتي النفوس له مرضى فيشفيها
ترخي الضحى والعشايا وسطه عذباً تعلو الظهيرة فوضاها فتزويها
ونحن نرفل في ثني ملاءته مقلصاً ذيلها طوراً ومضفيها
أنسيتنا ذات خلخال تجول به ولا يجول ويجلوه تثنيها
شق الحياة مزاج الروح جائلة في رُوعه فمعانيه معانيها

(١) اعالي الامواج.

لو لم يشق حسنها شاقت جبلتها قبل التلاقي تلاق في مبانيها
تجر للدّل ذيلاً في ترقبها وتشعر الشمس ليلاً في ثراقيها
وما نسيت فلا انسى عشيتنا (بالنيربين) وقد رقت حواشيها
للآبنوس على الغيطان راصعة من الاصيل وعاجاً في روابيها
وساجع غرد في يانع خضل ترتج قضبانه أنى يغنيها
وقفت بين سماء ين الكواكب من فوقي وتحتي نجوم لست أحصيها
من كل زاهرة غضراء باهرة تفرق الحسن نهباً في نواحيها
قد فوّف الناجم النامي أسافلها وزخرف الساجم الهامي أعاليها
وأزهرت فبرت حسني ديابجها واثمرت فمرت اسنى أياديها
وصافح الكرمة التفاح معتنقاً فاحمر نشراً لما تطوي دواليها
والورد نجلان من ضحك البهار له والظل يغضبها طوراً ويرضيها
والحمل شهب بأفق القضب طالعة والياسمين سحاب فوق أرضيها
كم سطرت فيه كف الصنع من حكم يقرا بها أثر الابداع قاريها
من نظم مشتبه في جيد مختلف يسقى بمتحد شتى مجاريها
السارحون جدام في مناشرها والسائحون مداهم في مطاويها

* * *

وليلة الربوة الشماء معلمة حتى الصباح بروح الذكر نحييها
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها قد بوركت بمعانيه مغانيها
تحفها سبعة لو سد مسربها لطم شامخة الآطام طاميها
كأنها الحجر الملقى عصاه به موسى ففجر للأسباط جاريها
كأنها درة أضحى (يزيد) لها خيطا بلبات آكام تواليها
معينة بمجار يلتطمن بها معينة لخيار أبخبتوا فيها

* * *

وصخرة المزة الغراء ناطحة قرن الغزالة في مبدا تجليها
محلة السفح ما شيب السفوح بها بل مثل ما روّق الصهباء ساقيها
يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر فلن يحل الوبا أطراف ثاويها
ان الهواء اذا رقت مناسمه في بلدة لطفت أخلاط أهليها
واذكر محي الشرف الاعلى اذا طلعت ذكاء من أفق أشجار تواريها
ومنظراً يستبي الألباب رائعه ويشغل النفس عن أشهى أمانيها
يرنو الى بردى ينساب في بَرَد في بردتي سندس خضر حواشيها
تكسر الماء بلوراً وراكده كالفضة الحوق(1) مصقول عواليها
وحيث شئت فأشجار تمد على ال أنهار ظلاً يغشي من يوافيها
فكل صورة أنس في منازلها وكل نزهة نفس في روابيها
لولا أمور وأرزاق مقدرة لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها

وقال في وصف الغوطة امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين من قصيدة :

آمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها الارض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى) كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دمر) اوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان
و(ربوة) الواد في جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عريان
والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه فهو اصباغ والوان
وقد صفا (بردى) للريح فابتردت لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذيال وأردان

(1) المحوّق من حاق الشيء يحوقه : دلكه وملسه

خلفت (لبنان) جنات النعيم وما ‌ ‌ ‌ ‌ نبئت أن طريق الخلد لبنان

سيداتي سادتي

هذا ما امكن التقاطه من ادب الغوطة ومن استقصى اكثر مما استقصيت يسقط على شعر كثير في هذا الباب ربما كان ما كتب لي جناه احط مما يجنيه الباحث اليقظ . وهذا ما عرفته مما يفيد تردادهُ في الغوطة وخيراتها وحسناتها جعل الله أيامكم كأيام الربيع في الغوطة .

محمد كرد علي



مخطوطات ومطبوعات

تلخيص وتصحيح

رحلة الوزير في افتكاك الأسير

تأليف

الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني

[٢٨٢ صفحة بقسميه العربي والإسباني والفهارس]

مطابع الفنون المصورة ، بوسكا ١٩٦٠ العرائش (المغرب)

السلطان المظفر مولاي إسماعيل من أعاظم سلاطين المغرب وأكثرهم حزما وعقلاً ودهاءً وضرباً في الأرض في سبيل التوسع . بويع سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م) «فنهض بأعباء الملك وضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها وأخمد ثورة مراكش وثورة فارس . فلما دانت له البلاد المغربية من أقصاها الى اقصاها بعد معارك وحروب طويلة واستتب الأمن في الداخل وأجبر الانكليز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ م واسترجع العرائش من الإسبان سنة ١٦٨٩ وضرب الحصار على سبتة ، فكر في الفتوحات الخارجية : فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها الى ما وراء النيل ، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان .

فهابته دول أوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها الى خطب وده والتقرب اليه ، فبادلهم الولاء وابرام معاهدات الصداقة وإرسال السفراء .

وكان أقربهم اليه الدولة الاسبانية فبعث الى ملكها كارلوس الثاني وزيره «محمد بن عبد الوهاب الغساني»[1] سفيراً في أمرين هامين : تخليص الأسرى المسلمين

(١) ص 9

لدى الاسبان وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية في مختلف المكاتب الخاصة والآثار الاسلامية ، فقام الوزير بهذه الرحلة سنة ١١٠٢ هـ الموافقة سنة (١٦٩٠ — ١٦٩١ م) واستغرقت ثمانية أشهر من المحرم الى رمضان المبارك ، عاين خلالها الجليل والدقيق من أمر اسبانيا وشعبها وعاداتهم وأديانهم وأزيائهم وخيراتهم ووصف كل ذلك وصفاً شائقاً جذاباً ولم يترك أن ينعت لنا الحالة السياسية والدولية لعصره ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي نحن بصدده .

يشعر قارئ الرحلة بلذة فائقة ، اذ استطاع الوزير الغساني ان يجعلنا على كثب مما شاهد بصدق لهجة وأمانة وسذاجة فذكر الوزير المؤلف ما عاين « من مرافق الحياة والعمران والحضارة في البلاد الإسبانية وما لاحظه من عادات ذلك الشعب ومدنيته ، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحوير أنظمة الدول ، وما لقيه من الإكرام والاحترام وحسن الضيافة ، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين إسبانيا والمغرب وأبرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمتين ، فقد أتحفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيمة ورسم لنا صورة مصغرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كارلوس الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة وأفضل ما كتب عن اسبانيا في ذلك الزمن .

وقد بين المؤلف من ناحية أخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد . وما كان لسلاطينه العظماء من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة ، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك ، وما كان له من فضل عميم وسعي مشكور في افتكاك ما بقي من اسارى المسلمين بإسبانيا ، وجلب كل الوسائل الفعالة التي تؤدي الى مـا فيه عظمة الإمبراطورية المغربية وخيرها »[1] .

وقد يعجب القارئ من دقة ملاحظته حين يسجل من التفاصيل كل ماهو

(١) ص 3

ذومغزى فقد عرفنا منه ان الاسبان على عهده كان لهم سوق عامة في فسيح من الأرض يقوم موسمها خمسة عشر يوماً في السنة (ص ٣٥) على مثل ما كان عليه العرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ، وأن من (الاكليريكيين) من يختصي لتحسين الصوت وترقيقه (ص ٣٦) ، وأن القوم كانوا يرتعون في بحبوحة من غنى مستفيض عقب استيلائهم على أمريكا فترفعوا عن التجارة والتغرب والمهن وصار اكثر من يقوم بذلك عندهم نزلاء فرنسيين لأن بلادهم كانت ضيقة المعاش (ص ٤٤) ، ونرى (ص ٤٦ — ٥٦) معلومات طريفة عن أولية البيت المالك في اسبانيا ، ولم ينس أن يفيدنا عن سبب بناء الإسكوريال (ص ٤٨) ، ولا أن يصف لنا نظام تولية البابا ص ٦٧ ولا تصوير الانزلاق على الجليد تصويراً لاذاً (ص ٥٩) ، كما لم ينس نعت مقابلته لملك اسبانيا ووصفه ونعت قصره وحاشيته وطراز حياته ولا الساحة العامة في مدريد ولا مصارعة الثيران ، ولا المشافي (البيمارستانات) وعنايتهم بالمرضى الخ . ثم لم يهمل ان يطلعنا على اهتمام القوم بالأخبار الخارجية فقد عرف من منشوراتهم [جرائدهم] (ص ٧٩) أخبار السلطان سليمان القانوني وحربه مع امبراطور المانيا وازماعه حصار ويانه . كما عرفنا كثيراً عن التاريخ الدولي إذ ذاك وأيقنا بأن الوزير المؤلف خبير بعلاقات الدول دارس لتاريخهم درساً جيداً ، عليم بشؤون عصره وتفاصيل الحوادث ، فهو رجل دولة .

ويكاد ما ذكره ص ٨٣ — ٨٥ عن عاداتهم في الميراث وحوادثهم فيه ودقائق اموره سواء كان الموروث لقباً او مالاً أو عقاراً . . يكون نظاماً كاملاً في الإرث .

ومما يدل على فطنته وبعد نظره انه تكهن بوراثة امير فرنسي لعرش اسبانيا قبل حرب الوراثة الاسبانية وترشيح فيليب آنجو للعرش (ص ٨٥) وكان دقيقاً جداً حين علل شروع الاسبان بتعلم الفرنسية . الى آخر ما في الرحلة من فوائد .

وذيل كتابه بفصل ممتع عن دخول العرب للأندلس وأحداثها الأولى

وعرفنا أنه دخلها رجل واحد فقط من أصاغر الصحابة مع موسى بن نصير اسمه المنيذر الافريقي وساق حديثًا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ·

ومما يبعث على الاعجاب العظيم في هذا الفصل ويثير في العربي بل في كل إنسان أنبل الشعور وأسمى العواطف ماذكره ص ١١٥ من عادة خلفاء بني أمية بدمشق من أنهم « اذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجاله وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لا دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو : ما فيها دينار ولا درهم أخذ الا بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من العيال والذرية !! »

الحق ان الحضارة تحتاج الى قرون كثيرة حتى تسمو الى فهم الاسلام والمسلمين

* * *

وبعد فهل علي من حرج اذا أنا أثنيت على المؤسسة التي تعنى باخراج مثل هذه الكتب ونبشها من قبورها فتضيف الى تاريخنا صفحات مجيدة ، واذا خصصت بشكري الأستاذ ألفريد البستاني الذي توفر — على قدر طاقته — على نشره كتابنا بهذه الحلة · وأرى من تمام شكري لهذا السيد أن الفتها الى أمور لا يجهلها في أصول نشر المخطوطات منها:

١ — اننا لم نعرف قيمة المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها ، ولا تاريخ كتابتها ومن الواجب أن ينشر صورة فتوغرافية لأول صفحة وآخر صفحة منها

٢ — الكتاب يكاد يكون حديثًا واحداً غير متميز الأجزاء ، ومن أول واجب الناشر أن يبوبه ليستريح القراء عند أول كل موضوع جديد · والكتاب ١٢٠ صفحة لم يذكر الناشر الواجب عليه الا في نحو خمس صفحات ·

٣ — نعيد هنا مالاحظنا عليه في كتاب آخر وهو ان الفهارس قليلة الغناء لأنها لا تخضع لترتيب ما فلا هي مرتبة على الحروف العربية ولا الاسبانية ولا على ترتيب القدم في الزمن · ونزيد هنا ان اهم الفهارس التي على المؤلف إثباتها ولا يستغنى عنه قط وهو فهرست الموضوعات ، قد أهمله الناشر اهمالاً تامًا وصار الذي

يريد ان يرجع الى حادثة في الكتاب مضطر الى اعادة قراءته من أوله حتى يظفر بضالته وهذا عيب في النشر كبير .

٤ — هناك بعض جمل غامضة أو محرفة لم يجتهد الناشر في معرفة صوابها ولم يشر الى استشكاله اياها : كقوله : ص ١ « وتصرفه الكاية ... بالبيض الحامي »

وتقديره ما أنفق على منبر جامع قرطبة بـ (٥٣٥) دينار فإن الصواب فيه ماذكر في حاشيته ص ٢٢ وهو (١٥٣٥) دينار وللناشر ان يستصوب ، وقوله ص ٢٧ « والمتجالات » لم نفهم المقصود منها فاما أن تكون محرفة واما ان يكون لها معنى محلي على الناشر ان يوضحه . ونرجح ان هناك خرماً بعد السطر الثامن عشر ص ٩٥ لأن الجملة ناقصة . وقوله ص ٩١ الرجل الى مدجرة الماء متبعوه ، وص ٩٨ (قنانيط وجباب كيبار ؟) مما لم نفهمه

٥ — ملاحظة الناشر ص 3 أن المؤلف خلط بين طارق بن زياد وطريف بن مالك غير صحيحة ابداً وكل مافي الأمر ان الناسخ أخطأ فكتب طارقاً وهو يريد طريفاً وذلك في صفحتي ٥ ، ٧ بدليل ان الكلمة في مخطوطة بني بوزين (رقم ٢) جاءت صواباً (انظر ص ٥) . فعلى من يقدم على تخطئة المؤلفين ان يتثبت ويتروى طويلاً .

٦ — وجدت في الكتاب هذه الجمل الملحونة : « ص ٢٤ يزعمونه النصارى ، ص ٢٥ يتولونها بقايا ص ٢٧ يحطن به اربعة عجائز ، ٢٩ طلبوا أهل ص ٨٦ لا يقدرون أهل الصليب ، ٩٦ ما يلقونه عليهم معلومهم ، فلم يفهموه جميع النصارى ، ٩٩ العشر كلمات ، يسمع لهم (أنية النواقيس) صوت ، ١٠٠ خمس طواغي ، مسجد طليطلة وقرطبة وإشبيلية الشهيري الذكر ، ١٠٦ كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً » وظاهر أن جمع الضمير في الجمل الثلاث الأولى لغة ضعيفة وكذلك في (ص ٦٢ ويأتون بهم ويدخل اليهم (يقصد الثيران) و ٦٤ و ٦٦ الخ

وان الصواب في الرابعة : العشر الكلمات ، وان ضمير الذكور العقلاء في الخامسة

خطأ وكذلك الصواب في الشهيري : الشهيرة أو المشهورة لأنهـا صفة مالا يعقل ، والصواب أيضاً ان يقول : خمسة طواغي ، وستة وثلاثون شبراً . هن غلطات ست يستطيع الانسان أن يحملها المؤلف كما يستطيع ان يجعل اكثرهـا من تحريف الناسخين وهو ما أجزم به ، وكيفما كان فليس من السائغ أصلاً ان يقول الناشر : « أما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتعابيرها ركيكة تظهر عامية أحياناً » [١] و الصحيح أن لغة الرحلة سلسة صحيحة لا عامية فيها ولا ركاكة ، بل الإنشاء قوي متين كما احس به المستشرق الفرنسي الجحانة هنري بيرس [٢] على أعجميته . وجودة الوصف والإنشاء في الرحلة مما لا ينبغي — كان — أن يخفى على احد .

٧ — حذف الناشر ثلاث صفحات من الرحلة وصف فيهـا المؤلف « بصورة مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الإنجيليين ، وتعرض الى سر تجسد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنه من الشرائع والاحكام ، وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة في استعمالهم سر الاعتراف وأورد بعض أخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها » [٣] واكاد أقول ان هذا الحذف جريمة شنعاء في قانون النشر وتساهل في الأمانة العلمية . هذا وليس على الناشر من اداء الامانة حرج في دينه ، فان أبت عاطفته الا التنفيس فان الاصول المتبعة تبيح له التعليق والرد بعد اثبات النص بحذافيره . وعلى كل فان هذه الرحلة بتراء بسبب فعلة الناشر فقد حرمنا الاستمتاع برأي مشاهد مخالف . وغريب جداً ان يقول مع ذلك ص 2 : « فقد توخينا الامانة والصدق في النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية » والعلم لا يجد في عمله هذا امانة ولا محافظة على قيمة الاصول التاريخية

٨ — على الناشر ان يتجنب ما امكن الجمل المهلهلة التي لاطائل تحتها من مثل

(١) ص 2 (٢) ص 6 (٣) ص ٩٦

قوله ص 7 : «وبينا نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مـائدة التشريح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية الخ»

وأن يعتني بدرس قواعد لغته العربية فإن العمل الذي يمارسه يتطلب ذلك كما سترى .

٩ — قيمة الرحلة ونفاستها وجلال الموضوعات التي عالجتها ، كل ذلك يوجب علينا ان نثبت الاغلاط التي انتبهنا اليها وهي كثيرة جداً وغالبها من البدائه التي لا يجوز جهلها ابداً واني لأرجو ثانية [بكل حرارة] من السيد البستاني ان يتقن لغته ويدرس قواعدها ويعرض أعماله على من هو أخبر منه فيها فإن هذه الجريدة من الأغلاط في [١٢٠] صفحة إحدى الكبر في هذا العصر :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
5	واستلاء الفرنسيون:	واستيلاء الفرنسيين	١٠	المقصودين	المقصودات او المقصودة
	التي وضعناه	التي وضعناها		الدار الذي	الدار التي
٢	هاتك	هاتيك	١١	الجوز	الجو
٣	مبدئ	مبدأ	١٤	واعتقادتهم	واعتقاداتهم
	دُعي	دعا	١٥	فتشير	فتثير
	١١٥= فغزى	فغزا	١٨	وسبعة	وسبع
٤	فاطمئن	فاطأن	٢٠	كسى	كسا
٥	وقع هذا	ومع هذا		شمط	شحط
٦	للاقتنا	للاقاتنا	٢١	أيمحوا	أيمحو
	ثلاث مراكب	ثلاثة مراكب		هام	رام
٧	للملاقات	للملاقاة [٨٠،١٠،١١٦،		المراعات والمحابات	المراعاة والمحاباة
		١٧،٨،١٦،٣٦،٣٩،١٣ الخ]		جدبت ضبغي	جذبت ضبعي
٩	دار	داراً		زاد	زادي

ص	الخطأ	الصواب
٢٢	مصدفين	مصفدين
	العظيم أثر	عظيم أثر
	نزهت المشتاق	نزهة المشتاق
٢٣	القناطير	القناطر
٢٥	المندثر	المندثر
٢٧	اربعة عجائز	اربع عجائز
٢٨	ذي	ذوي
	ابنة عشرون	ابنة عشرين
٢٩=٨٤	الغير	غيرهم
٣٠	اناس ذو	أناس ذوو
٣١	ثلاثة مسافات	ثلاث مسافات
	في كذلك	كذلك
	ونساءهم	ونسائهم
٣٢	ليس	فليس
٣٣	آخراً	آخر
٣٦	منتقات	منتقاة
	يستحسنوها	يستحسنونها
	وله سنين	وله سنون
٣٧	ليعصرونه	ليعصروه
٤٠	يسكونونها	يسكنونها
٦٩=٨٦،٨٢	تزويجها	تزوجها

ص	الخطأ	الصواب
٤١	يتهيئ	يتهيأ
	كلت الاثنى عشر	كل الاثنا عشر
٤٢	ورجالاً	ورجالاً
٤٤	سينين	سنين
٥٢	للاختلاطهم	لاختلاطهم
٥٤	ألزاموا	ألزموا
	احسن ومن	احسن من
٥٥	ستةوعشرين سنة	ست وعشرين سنة
٥٦	علىم	علام
	اربعة عشر سنة	اربع عشرة سنة
٥٧	ذالك	ذلك
٥٩	الاخيريين	الاخريين
=١١٩	عصى	عصا
٦٠	بلادنا	في بلادنا
٦٣	حضرت عيد	حضرت عيداً
	ليراه الناس ويعرفونه	... ويعرفوه
٦٤	كنائساً	كنائس
	عجائزاً	«
	آخراً	آخر
٦٧	ولم يتولى	ولم يتول
٦٩	ابنت	ابنة
٧٠	فال	فقال
	فأغلقها	فأغلقه

ص	الخطأ	الصواب
٧١	ابدلواه	ابدلوه
	مبلغه اثني عشر	مبلغ اثني عشر (او مبلغه اثنا عشر)
	ونساءهم	ونسائهم
٧٢	والردا	والردى
٧٣	الشنئان	الشنآن
٧٤	بد حرب	من حرب
٧٥	تدعوني	تدعونني
٧٦	مزعمين	مزمعين
٧٨	ست مائة داراً	ستمائة دار
	فجهوا	فوجهوا
٨١	أخلا	أخلى
٨٣	ولداً ذكر	ولداً ذكراً
	يرثه	يرثها
٨٤	يتوعدون	يتواعدون
٨٥	مبالات	مبالاة
٨٧	الكنائسي	الكنسي
٨٨	مزجاً	ممزوجاً
٩٠	معد	معداً
	يدعوا	يدعو
	تناوله	مناولته
	الستة	في الستة
٩١	تغسل له	تغسل لي

ص	الخطأ	الصواب
٩٣	بالسان	باللسان
٩٤	تجد	تجسد
٩٥	ثلاث ابواب	ثلاثة أبواب
٩٧	الستة واربعين	الستة والأربعين
	زينته	زنته
	اربعة عشر مدرسة	اربع عشرة مدرسة
٩٨	تسمع اصوات	تسمع اصواتاً
١٠٠	يمت	يموت
	إذا	إذ
١٠١	داره الذي	داره التي
١٠٣	ترجوا	نرجو
	نقضوه	نقضيه
١٠٤	في بناءه	في بنائه
١٠٦	ثلاثة ارباع الذراع	ثلاثة ارباع الذراع
١٠٨	بالهباء	بالهبات
١١٠	بأكثره من	بأكثر من
١١٥	قريئت	قرئت
	المعنى ؟	
١١٦	خباسة ؟	
	وصاروا	وصدروا
١١٧	التابعان	التابعيان
١١٨	لسبليه	لسفيله
١١٩	الشي	السبي

هذا وقد احسن الناشر بترجمته ترجمة موجزة الأعلام الواردة في مقدمته وفي الكتاب باللغتين العربية والاسبانيـة • وآسف لجهلي الاسبانية وحرمان القراء من إطلاعهم على قيمة الترجمة ودقتها •

وأتمنى في الختام لهذه المؤسسة اطراد التوفيق وللناشر الفاضل زيادة الاطلاع على مبادئ لغته وترقيه في خدمتهـا ، وإذاً نهنئه بدقة الاخراج كما هنأناه هنا بالإخراج ، ولا ننكر ان مهمته شاقة ولكن همته الصادقة كفيلة بالتغلب على الصعاب فله منا — إذا فعل الشكر — والتحية والتقدير

سعيد الافغاني

الموافقة بين اهل البيت والصحابة

هذا سفر جميل لمؤلفه الحافظ ابي سعيد اسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ اختصره العلامة جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ وحذف منه الاسانيد والمكررات • ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ابن زنجويه بقوله انه صدوق لكنه معتزلي جلد • وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان واشار الى من اخذ العلم عنهم وقال ان له تصانيف وحفظاً وأشعاراً ورحلة كبيرة ومشايخ يجاوزون ثلاثة آلاف • ونقل عنه ابو الحسين المطهر ابن محمد بن علي العلوي بالري قال : سمعت أبا سعيد السمان إمام المعتزلة يقول : «من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الاسلام» وقال فيه إنه كان من الحفاظ الكبار ، وكان فيه زهد وورع ولم يتأهل ، وله تفسير في عشر مجلدات وسفينة النجاة في الإمامة وغير ذلك •

ذكر صاحب الموافقة كيف أحب الصحابة بعضهم بعضاً ، وما قال بعضهم في

وصف بعض ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين ، ورأينا فيه أن علياً يعلي مقام أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر وعمر يعرفان لعلي مقامه ، ومشاهده وفضله وقرابته ، ويعليان أبداً قدره . وفي هذا الكتاب مقتل عمر بن الخطاب ومحضر الشورى وما قيل فيها ووصف بكاء الامة يوم وفاة ابي بكر وموت عثمان ، وفيه خطب بليغة وكلمات بارعة نقل بعضها رجال التاريخ والادب ، وبعضها مما رواه الباقلاني في اعجاز القرآن مثل خطبة علي في تأبين أبي بكر . وفيه حوار طويل وخطب لعلي عن سويد بن غفلة ، وهو ممن صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من التابعين ، في الرد على من تنقصوا أبا بكر وعمر ، وقول علي في الشيخين انهما أخوا رسول الله ووزيراه قائلاً : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون بريء ، وعلى ما يقولون معاقب ، فو الذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يحبهما الا مؤمن تقي ، ولا يبغضهما الا فاجر ردي ، صحبا رسول الله بالصدق والوفاء ، يأمران وينهيان ، ويعاقبان فما يجاوزان فيما يقضيان ، الى أن قال : ان أبا بكر سار سيرة رسول الله حتى قبض ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، واستأمر في ذلك الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وكنت ممن رضي ، فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً ، فأقام الأمر على منهاج النبي وصاحبيه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه .

أما أخبار الفتنة فتنة عثمان ففيها اشارات مهمة لبراءة علي كرم الله وجهه من الانغماس فيها على ما حقق المؤرخون . ومنها عن ابن ربيعة سمعت علياً يقول : والله لئن شاءت بنو أمية لأتيتهم بخمسين غلاماً من بني هاشم يحلفون بالله ما قتلت عثمان ولا مالأت عليه .

وأصل هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وهو جدير بالنشر

محمد كرد علي

حول تاريخ الكهرباء

قصص العلماء والمخترعين : أخبارهم ونوادرهم وسر نجاحهم

للاستاذ محمد عاطف البرقوقي

مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف المصرية وخريج جامعة بريستول بانكلترا

الجزء الاول عن الكهربية واللاسلكي من قدماء المصريين الى القرن العشرين

انا لا نوفي هؤلاء العلماء والمخترعين جزءاً مما ندين به لهم مهما عملنا من اجلهم تمجيداً وتخليداً فالمدنية الحاضرة والمقبلة صنع أيديهم وبنات افكارهم قضوا الليالي والأيام وراء حقيقتها العلمية يبغونها في تواضع واخلاص لا يبغون في الغالب اجراً ولا شكوراً . وقد طغى تاريخ السياسة بل تاريخ الأدب على ذكر هؤلاء العلماء واخبارهم ومن رأينا ان التاريخ الجدير بالدرس والاعتبار ليس بتاريخ الدم البشري يسيل في المعارك والمجازر للاسباب الدنيا وانما هو تاريخ الفكر البشري يحمل شعلته المباركة هؤلاء العلماء المخترعون يسيرون بها في طريق الخير دوماً الى الامام .

ولهذا نستقبل خير استقبال كتاب السيد البرقوقي عن تاريخ الكهرباء واللاسلكية : وقد وفق المؤلف في سرد تاريخ الكهرباء وهو الحافل بالقيم والطريف فأتى كقصة جذابة لم يكن الشرح العلمي وهو مختصر قليل لينفر منها ، قصة حوادثها كشوف الكهرباء الخطيرة ، وكل منها عنوان عصر في حياته وتفكيره ومبلغ رقيه ، وابطالها جمهرة من اساطين العلم نكبر قدرهم لما بلغوه من شأن في كشوفهم ويزداد اكبارنا حين نطلع على الناحية الانسانية في حياتهم وجهادهم وعلى النوادر المستحبة المأثورة عنهم ، قصة تبدأ بكشوف الاقدمين على حجري المغناطيس والكهربا وأرادها المؤلف ان تنتهي باللاسلكي المعاصر .

وفي الواقع يشعر المطالع لهذا الكتاب من الصفحات الأولى ان اللاسلكي هو الخاتمة المنتظرة والحلقة الاخيرة لسلسلة الكشوف في الكهرباء «حمام الزاجل ، الاتجاه الصحيح نحو اللاسلكي ، جرثومة اللاسلكي ، مفتاح اللاسلكي . . .» كأن جهود العلماء

والمخترعين من قدماء ومحدثين رمت كلها الى اللاسلكي في الحين الذي يبعد فيه تعيين ما تقود اليه الابحاث العلمية وما سيبنى عليها في المستقبل . والكشف العلمي ، على قول فاراداي وكما اورده المؤلف ، كالطفل ساعة ولادته لا يعرف ماينتظره في مستقبله ، والعالم في مخبره كالرائد في الأرض لا يعلم ما تخبأ له الآفاق البعيدة . لقد كان اللاسلكي نتيجة طبيعية مهمة لتقدم الكهرباء اما ان نرى فيه الهدف الأول والآخر لهذا الفرع من العلوم الذي لما تفرغ جعبته ولن تفرغ ففي ذلك اكبار للاسلكي واهمال لحلقات اخرى بعده ذر قرنها ولها شأنها .

ذلك اننا لم نكن لنأخذ هذا على المؤلف لولا ان الأبواب الاربعة الاخيرة من الكتاب ضحيت على هامش اللاسلكي — اللاسلكي في البواخر والطيارات وفي الأمن والحروب وفي مصر ... — مما لا علاقة كبيرة له بصلب الموضوع فأتت هذه الأبواب غير منسجمة أبداً في سويتها الثقافية وفائدتها مع الأبواب الاولى من الكتاب ، مع ان هنالك ، كما تقدم ، مادة غزيرة حول كشوف كهربية قيمة — انفراغ الكهرباء في الغازات وفي الخلاء والأشعة المهبطية وتطبيقاتها ، دقائق الكهرباء من كهارب وسواها وعلاقتها بالمادة ، حقيقة الكهرباء والتموج الكهربا مغناطيسي على ضوء النظريات الحديثة ... — لم يتعرض المؤلف لها ، وكم كان من المستحب ان تملأ فراغ الأبواب المذكورة فيكون تاريخ الكهرباء تاماً حتى السنين الأخيرة .

وقد اراد المؤلف وهو على حق ، كما جاء في مقدمته ، ان يكون الكتاب مفيداً للخاص والعام ، ولكنه جاء في سويته العلمية مسايراً للعام بل كأنه أخذ بميل الجمهور الى السهل الطريف الأخاذ مما ضيق على الايضاح العلمي المجال ولو انه رفع من مستوى الكتاب وجعله أغزر مادة لكان فيه التوجيه العلمي المبتغى .

وتبدو هذه المسايرة العامية في الباب الأخير واضحة جلية : فما جاء فيه اجدر بمجلة اسبوعية للجمهور الكبير منه بكتاب علمي رفيع : « اشعة الموت » علماء بناء

وعلماء تدمير ، انتصار هؤلاء على اولئك ، انتهاء قصة الحياة ... خلاص العالم من هذه الحياة الدنيا» . وما كنا لنزيد لتاريخ الكهرباء الطلي هذه الخاتمة المفجعة : ان الفكرة العظيمة التي يجلي عنها تاريخ العلوم هو ان العلم بريءٌ في الأصل وسائر الى الامام دوماً ، واذا كان هنالك من تفاوت بين تقدم علوم المادة والاخلاق فلهذا حديث آخر .

وكما في كل كتاب علمي تبرز معضلة المصطلحات العلمية العربية الى العيان والمؤلف العلمي في اللغة العربية أول من يعاني صعوبتها فان هذه المعضلة لم تستوف حقها من البحث سواء كان من قبل علماء اللغة او من قبل الاخصائيين في العلوم .

وأخيراً نصارح المؤلف القول بالطابع المصري والمحلي الذي طبع به كتابه وهو مؤلف عالمي انساني : فالكتاب يبدأ من قدماء المصريين على بعدهم عن الموضوع وينتهي ببحث مطول للاسلكي في مصر ولقضايا محلية عديدة قد تكون مفيدة في كراس خاص ولكنها لا تجد مكانها في قصص العلماء والمخترعين . انا نجل الرجالات الذين اتى على ذكرهم والذين كان لهم في تاريخ اللاسلكي والاذاعة في مصر شأن دعا المؤلف ، لاعتبارات يسهل فهمها ، الى التحدث عنهم ولكنّ لامثال فاراداي وماكسويل شأناً ولهؤلاء شأن على تقديرنا لهم وانما يزين الكتب العلمية التجرد قبل كل شيءٌ .

وعلى الاجمال فموضوع الكتاب قيم وفق المؤلف في اختياره وهو حري بالمطالعة وقد اصابت وزارة المعارف المصرية بمنحه جائزة المباريات الادبية لعام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ وانا للأجزاء التالية لمنتظرون .

جمال الفرا

تفصيل آيات القرآن الحكيم

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة (١٣٤٢)
يقع في (٧١٤) ص بالقطع الكبير عدا مقدمته وفهارسه البالغة (٢٤) ص

وهو كتاب وضعه باللغة الافرنسية الاستاذ جول لابوم ، ونقله الى اللغة العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقدم له في أوله الاستاذ محمد فريد وجدي ، وكنا نود لو ان مقدمة المؤلف اثبتت مع الكتاب ليطلع القارئ على غاية المؤلف من وضع هذا الكتاب ، وعلى منهاجه في الترتيب ، ورأيه في الاسلام والقرآن .

والكتاب يرتب آيات القرآن الكريم على موضوعات مقسومة الى (١٨) باباً ، ولكل عدة فروع يبلغ مجموعها (٣٥٠) فرعاً ، وكل فرع له عنوان يأتي تحته جميع ما ورد في موضوع هذا العنوان من آيات التنزيل ، وقد تتكرر الآية الواحدة في عدة عناوين لدلالتها على عدة مواضيع .

والابواب الثمانية عشرة هي : التاريخ ، محمد صلى الله عليه وسلم ، التبليغ ، بنو اسرائيل التوراة ، النصارى ، ما وراء الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعي ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الاخلاق ، النجاح

ومن استقراء عدة مواضع في الكتاب وجدنا ثلاث ملاحظات ينبغي التنبيه عليها :

أولاً — لا توجد المطابقة في بعض الاحيان بين الآيات وما عنون لها به ، من أمثلة ذلك ما ورد في ص (٥٠٩) (السبت) ذكر تحت هذا العنوان آيتين الاولى : انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ، وهذه الآية مطابقة لما عنون له ، ولكن الانسان يحار في الآية التي بعدها اي علاقة لها في هذا الموضوع وهي : يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون

وكما في عنوان (مكة) ص ٥٠٩ فقد أورد تحت هذا العنوان عدة آيات لا يدل عليها هذا العنوان وغاية ما فيها انه خطاب لقريش راجع ص ٥١١ و ١٢ و ١٣

ثانياً — ان المؤلف لا يتتبع في بعض الأحيان كل ما ورد في الموضوع الذي عنون له كما في عنوان السبت ص ٥٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آية واحدة تتعلق بالسبت ، وآية أخرى تتعلق بالجمعة لا بالسبت مع وجود اربع آيات اخرى تتعلق بالسبت وهي (١) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم (٢) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت (٣) كما لعنا اصحاب السبت (٤) وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ، وكعنوان المساجد ص ٥٠٩ ذكر فيه آيتين فقط مع وجود عدة آيات أخرى

ثالثاً — انه يضع عدة عناوين لآيات موضوعها واحد كما في ص (٦٧٨) عنوان العهارة وفي ص (٦٨٤) عنوان الخلاعة ، ولكن الآيات الواردة تحت عنوان الخلاعة ينطبق عليها عنوان العهارة لا عنوان الخلاعة فلو أضيف ماجاء تحت عنوان الخلاعة الى ما جاء تحت عنوان العهارة لكان اجمع للبحث واخصر للعناوين .

وهناك ملاحظات أخرى تعوذ على الترجمة كما في عنوان (العفو) ص ٥٢٠ والصواب ان يكون العنوان (الترخيص) لأن الآيات الواردة فيه هي في الترخيص والتيسير لا في العفو وقد عنون له في ص ٦٤٨ و ٦٥٣ ، ومثل ذلك عنوان (المبادهة) ص ٧٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آيتين بمعنى ولفظ واحد : قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل ، ولا معنى للمبادهة هنا والصواب ان يكون العنوان هكذا

(المباراة) ففي المختار : فلان يباري فلاناً اي يعـارضه ويفعل مثل فعله وهذا ما تدل عليه الآية ٠

وبعد فان فكرة تقسيم القرآن الى عدة موضوعات هي فكرة قديمة حاولها كثير من المتقدمين كابن جرير الطبري الذي قسم القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام : التوحيد ، والأخبار ، الديانات ، وقسم علي بن عيسى القرآن ايضاً الى ثلاثين موضوعاً كما ان بعضهم افرد نوعاً خاصاً منها على حدة كآيات الاحكام ، والجهاد ، والقصص ، وآيات الصبر ، والمصيبة الخ ولكننا لم نطلع على مؤلف جمع واستوعب جميع اصناف موضوعات القرآن ، لذلك فان هذا السفر الذي نكتب عنه هذه الكلمة هو الكتاب الوحيد في هذا الموضوع ، وقد سد فراغاً كبيراً لدى الباحثين ممن يتطلب موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم ، كما أحسن كل الاحسان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في اختياره ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، والعناية بنشره فعمت به فائدة الدارسين والباحثين

دمشق : محمد أحمد دهمان

حياة دزرائيلي

في ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط

ألف هذا الكتاب الأديب الفرنسي الشهير أندره موروا ونقله الى العربية السيد حسن محمود وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر ٠ وهو صورة جميلة للحياة السياسية في انكلترة خلال القرن التاسع عشر ، وتاريخ روائي لحيـاة هذا الرجل

العصامي واليهودي المتنصر الذي تمكن بذكائه ومطامعه وصبره وجده وإخلاصه للملكة فكتوريا، من أن يصبح اكبر رجل دولة في بريطانيا العظمى مدة غير قصيرة ·

ولغة الترجمة حسنة اجمالاً · ومما لاحظناه على المترجم (ص١٢ و٨٩) استعماله لفظة الغذاء بالذال المعجمة بدلاً من الغداء اي طعام اول النهار او طعام الظهر، واستعماله في تضاعيف الكتاب الكهولة بمعنى الهرم، والكهل للطاعن في السن · وقوله في الصفحة ٤٣ «عندما زار قصر الحمراء جلس على عرش بني سريج · وهم بنو سراج · وقوله في الصفحة ٤٩ «والبلاد التي لها حق التمثيل اختيرت بطريقة غير نظامية قط» ومن المعلوم ان لفظة (قطّ) ظرف زمان لاستغراق ما مضى وانها تختص بالنفي · فلكي تصح الجملة وجب جعلها هكذا «والبلاد التي لها حق التمثيل ما اختيرت قط بطريقة نظامية» · وقوله في الصفحة ١٨٦ «نحن المؤلفون يا سيدتي» والصحيح «نحن المؤلفين» · وقوله في الصفحة ٩١ «في معرض اثبات صحة نيابة اعضاء المجلس» وهو تتابع خمس إضافات لأسماء ظاهرة · وقد ساغ في جانبه قول الشاعر «حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي» ·

ولئن كان ذكر هذه الملاحظات ضرورياً في مجلة مجمعنا فمما لا مرية فيه ان الكتاب الذي نحن في صدده يعدّ من غرر التراجم وان في تلاوته فائدة ولذة ·

الشهابي

آراء وانباء

نظائر « التكملة » للجواليقي

كتب الاستاذ « التنوخي » في مقدّمته لرسالة « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » لأبي منصور الجواليقي[1] أن لهذه الرسالة نظائر ذكر منها ·

١ — ما تلحن فيه العامة	للكسائي [١٨٩][2]
٢ — لحن العامة	للدينوري [٢٩٠]
٣ — لحن الخاصة	للعسكري [٣٩٥]
٤ — اللحن الخفي	لهاشم بن احمد الحلبي [٥٧٧]
٥ — لحن العامة	للسبتي [٧٣٣]

وقد اهتديت اثناء مطالعاتي الى كتب أخر تشاكل التكملة وتناظرها ، اردت ذكرها للفائدة :

١ — كتاب « ما يلحن فيه العامة »

ألفه احمد بن حاتم ابو النصر الباهلي ، وكان راوية ثقةً مأموناً مات سنة [٢٣١)[3]

٢ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه ابو عثمان بكر بن محمد المازني امام عصره في النحو والآداب وتلميذ ابي عبيدة والاصمعي مات سنة [٢٤٩][4]

٣ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

---

(١) كتاب ذو شأن حققه الأستاذ التنوخي فعلق عليه وجعل له الهوامش والشروح واتبعه بالفهارس والمسارد · وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي ·   (٢) ذكر الأستاذ التنوخي ان وفاته كانت سنة (٢٨٩) وهو خطأ والصواب ما ذكرت · وفي الفهرست أن وفاته كانت سنة ١٨٧ (٣) معجم الأدباء ج٣ ص٢٨٤ (طبعة دار المأمون بمصر) · (٤) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٢٢ والفهرست ص٥٧

ألفه ابو الهيذام اللغوي كلاب بن حمزة العقيلي المحدث العالم بالشعر [١]

٤ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه سهل بن محمد ابو حاتم السجستاني مات سنة ٢٥٥ [٢]

٥ — كتاب « الفاخر فيما يلحن فيه العامة »

ألفه المفضل بن سلمة اللغوي النحوي ، وكان منقطعاً الى الفتح بن خاقان [٣]

٦ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

ألفه ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ [٤]

صلاح الدين المنجد

عظماء العلماء والكتاب

فجعت الآداب العربية في العهد الأخير ببضعة رجال من المصريين خدموا الآداب والعلم والاجتماع أجل خدمة وخلفوا آثاراً خطيرة استفاد منها ابناء الجيل الحاضر وستستفيد منها الاجيال القادمة . منهم الاستاذ فخري ابو السعود صاحب المقالات البديعة في مجلة الرسالة في المقابلة بين الادبين العربي والانكليزي . ومنهم الاستاذ محمود مصطفى صاحب كتاب اعجام الأعلام والادب العربي ومنهم العلامة محمد بك مسعود صاحب التآليف العلمية والادبية الكثيرة ، وآخرهم الاستاذ عبد القادر حمزة باشا صاحب المقالات الرائعة في السياسة والتاريخ ومنشئ جريدة البلاغ ، واليه انتهت مشيخة الصحافة المصرية ، وكان في مناقشاته السياسية آية في اعتداله وجميل مأتاه ، ومن اعرق المنشئين في عرض افكاره بايجاز معجب واسلوب مقنع . اجزل الله ثوابهم وعوض الآداب عنهم خيراً

(١) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١ . وقد ضبط الاسم هكذا « ابو الهيذام » أما في الفهرست فقد ورد « ابو الهندام » ص ٨٢ (٢) معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٣٣ . والفهرست ص ٥٨ . (٣) الفهرست ص ٧٧ . (٤) الفهرست ص ٥٤

